تاريخ إقليم طرابلس الإسلامي

من القرن السابع إلى العاشر

دراسات في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية

د / زكية بالناصر القعود

جامعة بنغازي / قسم التاريخ الإسلامي

دكتوراة في التاريخ الإسلامي



دار النشر	شركة مطبعة السلام
عنوان الكتاب	تاريخ إقليم طرابلس الإسلامي من القرن السابع إلى العاشر
اسم المؤلف	د/ زكية بالناصر القعود
رقم الطبعة	الأولى
تاريخ الطبع	١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م
رقم الإيداع القانوني	٢٠٢٤/٦٨٢
رقم ردمك	٩٧٨- ٩٩٥٩-١-٣٥٠٧-٠
تصميم الكتاب والغلاف	ضياء نور الدين

الإدارة: +201005289375

E-mail:M-mursy@hotmail.com

العنوان: أسيوط - بني غالب

جمهورية مصر العربية

دراسات في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية

تاريخ إقليم طرابلس الإسلامي

من القرن السابع إلى العاشر


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء



قال البديع الأسطرلابي:

أهدي لمجلسه الكريم
وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب
وماله فضل عليه لأنه من مائه

إهداء إلى روح والدي

فهرس المحتويات

المقدمة ٩

الفصل الأول: الجانب السياسي ١٣

١.١: الإمارات الإسلامية في إقليم طرابلس الغرب من القرن (٥-٩هـ / ١١-١٥م) ١٥

٢,١ نظم الحكم والإدراة في طرابلس إبان عهد دولة الموحدين والحفصيين:.......................... ٢٩

٣,١ المكونات السكانية في الأقاليم الثلاثة (الليبية) ٥١

الفصل الثاني: الجانب الاقتصادي ٦٩

١,٢ الحياة الاقتصادية في طرابلس في العهد الحفصي: من القرن (٦-١٠هـ / ١٢-١٦م) ٧١

٢,٢ الزراعة والثروة الحيوانية والصناعية للإنتاج الزراعي والحيواني: ٧٤

٢,٣ المعاملات الاقتصادية في إقليم طرابلس في العهد الحفصي................................ ١٠٣

الفصل الثالث: الجانب الثقافي.. ١٢٥

١,٣ العوامل التي أثرت على الحياة الثقافية في طرابلس خلال العهود الإسلامية ١٢٧

٢,٣ دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط ١٤٨

٣,٣ دراسة للكتاب تذييل المعيار (النوازل) للعلامة عبد السلام عثمان التاجوري ١٦٠

٤,٣ دور التراث المالكي الفقهي في تحقيق الوحدة بين أقاليم ليبيا (٧-١٠ هـ / ١٣-١٦م). ١٨٩

٥,٣ دور التراث المالكي في تحقيق الوحدة... ١٩٥

٦,٣ صمود المالكية في طرابلس الغرب أمام الإسماعيلية خلال القرن الرابع الهجري ٢١٠

الخاتمة والمراجع ٢٣٥

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أعان وأنعم، والصلاة والسلام على نبيّ الهدى والرحمة؛ سيدِّنا محمدٍ، وأصحابه الذين اتبعوه ونصروه، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

تعتبر دراسة تاريخ ليبيا في فترة العصر الوسيط، من القضايا المهمة في تاريخ ليبيا، وتاريخ المغرب الكبير، ولا سيَّما أن هذا البلد ساهم بدور فعال في أحداث المغرب الكبير في ظل الدولتين الموحدية والحفصية، إلا أن هذا الدور يحتاج إلى المزيد من الدراسة والاهتمام، للكشف عن، العلاقات المغاربية في ظل حكم الدولتين الموحدية والحفصية، وإبراز دور ليبيا في الحياة السياسية، بالتركيز على نظم الحكم والإدارة والاقتصاد، وجوانب من الحياة الثقافية؛ لمعرفة إلى أي مدًى كانت إسهامات هذا القطر في الحضارة الإسلامية، بالإضافة إلى صور من الحياة الاجتماعية.

ليس من السهل أن يُكتب في الجانب الحضاري في هذا القطر في الفترة بين القرن السادس والربع الأول من القرن العاشر الهجري، بمعزل عن تاريخ إفريقية والمغرب الأقصى، خاصة في عهد دولتين الموحدين والحفصيين اللتين تتضمنا فترة الدراسة؛ لأن تاريخ هذا القطر - ما يسمى ليبيا حاليًا - في معظمه أوأغلبه كان مرتبطًا بتاريخ المغرب الأدنى، الذي سيطرت عليه الدولة الحفصية بعد انسلاخها عن الدولة الموحدية في المغرب الأقصى.

وإن المطلع على هذه الفترة سيرى - بدون شك - من أول وهلة أنه من المبالغة السعي إلى الإحاطة الكاملة الشاملة بها، وهذا لا يبتعد عن الحقيقة، ولكن الباحث في هذا الموضوع يحاول تسليط الضوء على جانب من جوانب حضارية من خلال ما توفر بين يديه من المصادر والمراجع.

وأن تعددت الدراسات حول هذا الموضوع؛ فإنني أرى أنه لا مانع مِن أن يَتناول أكثرُ مِن واحد مِن أهل العلم وأصحابِ الأقلام الوطنية جانبًا من البحث في هذه الفترة، والمَبدأ في ذلك كشف تاريخ هذا القطر الذي لا يزال كثير منه يحتاج للدراسة والبحث، من خلال طرح قضية واحدة، أوقضايا محدَّدة، ويركِّز عليها الباحثون ويعالجِونها، ويُلِحُّوا في طرحها؛ كُلٌّ بأسلوبه ومنهجه، حتى تتجلَّى وتتأكدَ من جميع جوانبها، وتصيرَ في إطارها ووضْعِها الصحيح من الناحية التاريخية، ولا نكتفي بطرحٍ واحدٍ أومعالجَةٍ واحدةٍ لقضية ما، بل

يَكتُب فيها كلُّ مَن يرى في نفسه القدرةَ على ذلك، وإن كان قد تناولها غيره، ولا شك أن لهذا النهج أثرَه في تعزيز وتدعيم مواجهة ما يقال، بأن طرابلس (ما يعرف بليبيا اليوم) في العصور الوسطي لم يكن لها تاريخ مستقل، أوليس لها إسهامات في الحضارة الإسلامية، كباقي أقاليم المنطقة - أوالدول - مثل تونس، ومصر، والمغرب.

وهذا البحوث والدراسات تناول زمنيًّا الفترة ما بين القرن (٦-١٠هـ)، وجغرافيًّا إقليم طرابلس الذي يمتد من سرت شرقًا إلى صفاقس غربًا، ومن البحر شمالًا إلى غدامس جنوبًا، ونظرًا لأن إقليم برقة من سرت شرقًا إلى درنة كان ضمن التقسيم الإقليمي التابع إلى دولة

الأيوبيين والمماليك في فترة الدراسة، من خلال المنهجية التاريخية المتبعة في هذه الدراسة التي ترجع إلى فترة التاريخ الوسيط لا يمكن نطلق مصطلح «ليبيا» على هذا الامتداد الجغرافي، لأن هذا المصطلح لم يظهر إلا في العصر الحديث بالتحديد سنة ١٩١١م، وعليه سنستخدم مصطلح «إقليم طرابلس» أو«الطرابلسيين»؛ نقصد به المنطقة الغربية من أراضي ليبيا الآن، كما أن هذه الدراسة لا تشمل تاريخ إقليم برقة ـ المنطقة الشرقية ـ خلال هذه الفترة؛ وذلك لأن كلًّا من الجزء الغربي والشرقي - إقليم طرابلس وإقليم برقة ـ كان يخضع كل منهما لمنطقة نفوذ الدول المجاورة له.

الله ولي التوفيق.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الجانب السياسي

١.١: الإمارات الإسلامية في إقليم طرابلس الغرب من القرن (٥-٩هـ /١١-١٥م)

○ ولاية بني مطروح (٥٣٣ هـ / ٥٤١ هـ/ ١١٣٠-١١٥٨م)

كانت طرابلس تحت الحكم الصقلي ثلاثة عشر سنة تدفع الجزية، وجعلوا بها حامية، وعهدوا بولاتها إلى رافع بن مطروح التميمي[١][٢]، وعُيِّن على القضاء أبوالحجاج يوسف بن زيري[٣]. ولم يرجعوا إلى صقلية إلا بعد أن أخذوا عددًا من الرهائن، كان من بينهم أمير من المتونيين، وعدد من بني مطروح وآخرون، ورحلوا عنها تاركين أحكام المسلمين كلها في يدي واليهم وقاضيهم[٤]. واستطاع الوالي يحي بن رافع بن مطروح التميمي أن يسوس أهالي طرابلس بسياسة حكيمة، فلقد عمل على تحسين أحوال الناس المعيشية في المدينة؛ فشجع النشاط الاقتصادي بصفة عامة والتجارة البحرية بصفة خاصة، ومما ساعد كذلك على الانتعاش الاقتصادي تشجيع الحكومة الصقلية الهجرة إلى طرابلس؛ فهاجر إليها عدد من المستثمرين ممن أسهموا في إصلاح حالها وانتعاش اقتصادها[٥].

وأقام مجلسًا للشورى مكونًا من عشرة من شيوخ البلد، «وكانوا يجتمعون في مسجد العشرة، فيدبرون أمر البلد، وذلك قبل تملك الموحدين لها، فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم، وزال عن المسجد ذلك الاسم»[٦].

---

(١) هو أبو يحيي رافع بن مطروح التميمي، تولى ولاية طرابلس من قبل الإفرنج بعد سيطرتهم عليها سنة ٥٤٠هـ، ثم تولى طرابلس ثانية سنة٥٥٥هـ بعد أن ثار الطرابلسيون على الفرنجة وأجلوهم عن طرابلس، ثم أقره عليها عبد المؤمن بن علي خليفة إمام الموحدين محمد بن تومرت (ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي، ص٥١). المتونيون: هم أمراء من دولة المرابطين (الملثمين) يرجعون إلى قبيلة متونه (ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص٢٥٣).

(٢) ابن غلبون،١٩٦٧، ص٥١. (٣) الزاوي، ٢٠٠٤، ص ٤١٩.

(٤) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص ٣٦٥. ضضضضضضض

(٦) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد(١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة

غير أن أهالي طرابلس ضاقت صدورهم لهذه التبعية، وأتاحت لهم ظروف الثورة على الحامية الصقلية، فثاروا عليها في سنة ٥٥٣هـ / ١١٣٠م وطردوهم، واستقام الأمر للوالي يحيى بن رافع بن مطروح وحكم البلد، «وكان رجلًا شهمًا حازمًا، وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله»[١].

فلقد استطاع أن يؤمن طرابلس من خطر قبائل العربان التي كانت نازلة خارج سور طرابلس تتحين الفرص للانقضاض على المدينة والاستيلاء على خيراتها، فقد عمل على اصطناع شيوخ القبائل بالأعطيات والترضيات والهدايا، فضمن بذلك الأمن والاستقرار للمدينة، حتى استولت جيوش الموحدين على إفريقية سنة ٥٥٥هـ، وما أن استقر السلطان عبد المؤمن في المهدية حتى أقبلت عليه وفود البلاد، وكان من جملتها وفد طرابلس، وعلى رأسه ابن مطروح، واستقبل عبد المؤمن وفد طرابلس بالتقدير والتكريم، وأقر ابن مطروح على رئاسة بلده، فظل يحكمها حتى أيام يوسف بن عبد المؤمن من سنة ٥٥٣-٥٦٨هـ/ ١١٣٠-١١٧١م، وتعد الولاية الثانية لرافع بن مطروح على طرابلس، وفي سنة ٥٦٨ هـ استأذن والي تونس الموحدي أبوزيد أبا حفص بالتوجه إلى الحج فأذن له، وبذلك تنتهي ولاية بني مطروح على طرابلس،ودخلت في مرحلة أخرى[٢].

ثانيا: طرابلس بين الموحدين والمغامرين (٥٦٨ هـ- ٦٢٥ هـ/ ١١٧١-١٢٢٧م):

تعرضت طرابلس لأطماع العربان والمغامرين في ظل دولة الموحدين.

وهما: قراقوش قراقوش[٣] وإبراهيم بن فراتكين من الشرق إلى الغرب، والمغامران من

الرسمية.،١٩٥٨، ص ٢٣٧.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٢) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص ٣٧٠.

(٣) قراقوش: هو من موالي تقي الدين عمر بن شاه بن نجم الدين أيوب، وهوابن أخي صلاح الدين، فغاضب مولاه في بعض

الغرب إلى الشرق هما: علي بن غانية[١] وأخوه من أمراء دولة المرابطين[٢].

فلقد استطاع قراقوش بمساعدة العربان والتحالف مع ابن غانية السيطرة على طرابلس ما بين ٥٦٨ ـ ٥٨٣ هـ، وتمكن الموحدون في سنة ٥٨٣ هـ من هزيمة قراقوش وابن غانية، إلا أن قراقوش عاد وسيطر على طرابلس في آخر عام ٥٨٣هـ بعد أن جمع مناصرين له من قبائل العربان، غير أن الأمر لم يستقم له في حكم طرابلس؛ لأن حليفه في الأمس أصبح عدوه اليوم يحيى بن غانية؛ إذ أراد قراقوش أن يتفرد بحكم طرابلس وحده، فخرج إليه ابن غانية متجهًا إلى بلاد الجريد بتونس تاركًا مملوكه ياقوت الافتخار لينوب عنه في حكم طرابلس.

والتقى الخصمان المغامران في وادي محسن، فانتصر يحيى بن غانية على قراقوش وقواته، وفر قراقوش إلى الجبال ثم إلى الصحراء، وانتهى به المطاف إلى ودان، أما يحيى بن غانية فقد توجه إلى طرابلس وحاصرها حتى دخلها سنة ٥٨٦هـ، وأخذ ياقوت الافتخار أسيرًا وأرسله إلى أخيه في ميورقية[٣]، ولما استقر الأمر له في طرابلس عيَّن ابن عمه تاشفين الغاني واليًا عليها، وتوجه هو إلى مدينة قابس بتونس[٤].

وظلت طرابلس من سنة ٥٨٦هـ - ٦١١ هـ تحت حكم ابن غانية، فلقد كان الموحدون مشغولين بحرب ضروس في الجبهة الأندلسية؛ ولذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يلتفتوا إلى تحركاته

النزعات وذهب مغاضبًا إلى المغرب، وفي سنة ٥٦٨هلحق بزويلة وفتحها وخطب فيها لصلاح الدين، وغلب ابن الخطاب الهواري على ملك فزان، ظل يفتح البلدان إلى أن وصل طرابلس، واجتمع عليه عرب ذباب، وسليم، ونهض بهم إلى جبل نفوسة، وأقام هنالك دعوة موالية (الأنصاري، د. ت، ص١٣٠-١٣٢).

(١) ابن غانية الميورقي: هوعلي بن إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين بن غانية، ويعرف بالميورقي نسبة إلى جزيرة ميورقة الإسبانية، وهومن أعيان الملثمين ويلقبون بالمرابطين الذين كانوا ملوك المغرب الأقصى، لقد انتهت دولته على يد عبد المؤمن مؤسس دولة الموحدين، فكانت مدة دولتهم نحوثمانين عامًا، فلقد قدم ابن غانية في جموعه إلى بجاية برًّا وبحرًا فملكها (الدرعي، د.ت، مج٢، ص١٥٩).

(٢) الدرعي، مج٢، ص١٥٩.

(٣) ابن سعيد، ١٩٥٥، مج٢، ص٤٦٥

(٤) شارل فيرو، ١٩٩٤، ص ٥٩-٦٠.

هوومن التف حوله من العربان في إفريقية، فاستغل ابن غانية تلك الفرصة أحسن استغلال، فثبَّت أقدامه في طرابلس وتونس، وعين العمال على مختلف النواحي، واجتهد في سبيل إخضاع جبل نفوسة فشَنَّ عليه كثيرًا من الغارات التي أسفرت عن حرق وتخريب كثير من قرى الجبل، وقد صمدت مدينة جادو، فلما عجز عن اقتحامها حرق كل ما حولها من مزارع وحدائق، وحاول بعد ذلك الاستيلاء على مدينة شروس[١]، إلا أن قوات الإباضية صدته عنها بقيادة زكريا بن إبراهيم الباروني[٢].

وفي سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م توفي المنصور زعيم الموحدين، وخلفه أخوه الناصر، وقد تولى ما بين ٥٩٥هوحتى ٦١١هـ،/١١٩٨-١٢١٤م ورأى أن الظروف مواتية للخروج إلى إفريقية وتهدئة الأحوال فيها، فسار إليها بجيش يواكبه أسطول بحري، ولما علم أهل طرابلس بأنباء زحف الناصر بن يعقوب الموحدي ثاروا على عاملها تاشفين بن غاني وطردوه من المدينة، ولكن يحي بن غانية باغتهم واستولى على طرابلس وخربها، ثم بدأ يستعد للقاء الناصر الموحدي، والتقى الجيشان وهُزِم ابن غانية وكان ذلك سنة ٦٠٢ هـ،/ ١٢٠٥م ودخل الناصر قابس، وهناك قدم عليه وفد وجهاء طرابلس فقدموا له الولاء والطاعة، وأمَّر عليهم عبد الله بن إبراهيم بن جامع الموحدي، ولمّا استقر له الأمر في إفريقيةارتحل الناصر عائدًا إلى المغرب الأقصى سنة٦٠٢هـ / ١٢٠٥م، وجعل الشيخ أبا محمد عبد الواحد الحفصي واليًا لإفريقية، فأغتنم يحي بن غانية تلك الفرصة وعاد إلى منطقة طرابلس فحشد أعوانه من جديد فانضم إليه محمد بن مسعود في قومه من الزواودة، والتفَّت حوله قبائل رباح وعون وهيب، وخاض ضد الوالي أبي محمد العديد من المعارك على مدار ثلاثة سنوات (٦٠٤- ٦٠٥ -٦٠٦ هـ)،

(١) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص٣٨١
(٢) الشماخي السير٢٠٠٩،، مج، ص١٦٦.

وكان في المعركة التي خاضها ضدهم سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م في جبل نفوسة فهزم عسكرهم وغنمت أسلحتهم وقتل عدد من حلفائهم من شيوخ القبائل، وتوجه إلى ودان واستقر بها بعد أن قضى على قراقوش الذي كان مستقرًّا فيها نظرًا لبعدها عن الساحل، وعن سلطة الموحدين في إفريقية وطرابلس[١].

وفي هذه الأثناء كان أبومحمد عبد الواحد الحفصي مستمرًا في نشر الأمن في ربوع إفريقية فقضى على أكثر الفتن، وأصلح وسائل الدفاع عن المدن، فقد زار مدينة طرابلس سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وأمر بأن يُبنى حول سورها فاصلاً أقصر منه يسمى بالستارة، فلما تولى أبومحمد سنة ٦١٨ هـ م ١٢٢١موخلفه على ولاية إفريقية أبوالعلاء إدريس بن يوسف، وكان ابن غانية قد استرد أنفاسه فاغتنم فرصة وفاة أبي محمد الحفصي وبدأ يجدد محاولاته من ودان، ولكن الموحدين بادروا بإرسال جيش لحصاره فيها ففر عنها إلى الزاب في الجزائر، ولكن الجيش الموحدي تعقبه حتى نازله سنة ٦٢١هـ م ١٢٢٤مفي معركة قرب مدينة تونس هُزم فيها ابن غانية وقتل كثير من قومه اللموتيين ونجي هوبنفسه.

وعندما استقل أبوزكريا الحفصي بإفريقية عن الموحدين (٦٢٥هـ ـ ٦٤٧ هـ /. ١٢٢٧ـ ١٢٤٩م) استأنف مطاردة ابن غانية وتتبعه حتى أرغمه على العيش بقية عمره مشردًا مع الأعراب إلى أن مات في برية تلمسان سنة ٦٣١هـ ـ٦٣٣هـ /١٢٣٣ـ١٢٣٥مبعد أن قضى نحوًا من ثلاث وخمسين سنة يحاول أن يستغل الأعراب في سبيل استعادة الملك والسيادة لنفسه ولقومه اللموتيين المرابطين من قبيلة لمتونة، وبموته انتهى دور اللموتيين الصنهاجيين كقوة فعالة في تاريخ المغرب وإفريقية[٢].

---

(١) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص٣٨٣.
(٢) إحسان، عباس ومحمد، يوسف نجم (١٩٦٨). ليبيا في كتب التاريخ والسير، ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ص١٦٠.

ثالثا: طرابلس في عهد الدولة الحفصية من سنة (٦٢٥هـ-٧٢٤ هـ/١٢٢٧-١٣٢٤م):

حين استتب أمر ولاية إفريقية في يد الولاة الحفصيين الذين لم يلبثوا أن أعلنوا استقلالهم بها عن الموحدين في عهد الوالي أبي زكريا يحيى الذي أغتنم فرصة الصراع الذي كان بين بني مرين والموحدين في المغرب الأقصى، وراح الموحدون يتراجعون أمامهم؛ أعلن الاستقلال بإفريقية بأن قطع الخطبة فيها للموحدين وجعلها لنفسه، فلم يلقَ أية معارضة سوى تجدد غارات يحيى بن غانية، وظلت الدولة الحفصية قائمة في إفريقية رغم استيلاء الأسبان على سواحلها حتى فتحها العثمانيون سنة ٩١٨هـ/١٦١١م فطردوا الأسبان، وأزالوا ملك الحفصيين.

وبقيام الدولة الحفصية في إفريقية توفرت لطرابلس حماية فعالة من مركز القوة الحفصية؛ إذ أصبح بوسع صاحب تونس أن يخفّ لنجدة طرابلس في أقصر وقت إذا دعت الحاجة، وليس كما كان يحدث في ظل الموحدين عندما كان اتخاذ القرار بالدفاع عن طرابلس يحتاج إلى وقت طويل حتى يصدر عن صاحب مراكش ويوضع موضع التنفيذ، فلقد رحب أهل طرابلس بحماية الحفصيين وأعطوا ولاءهم بالإخلاص للدولة الحفصية؛ استمرارًا منهم في الخط الذي سلكوه في ظل الموحدين، ولذلك فإن الحفصيين عملوا من جانبهم منذ البداية على توفير الاطمئنان لهم في أحكامهم ومرافق حياتهم، مما أدى إلى استقرار طرابلس وازدهارها اقتصاديًّا وثقافيًّا، وعين قاضي القضاة من أنفسهم، وهوأبوموسى عمران بن موسى الهواري، الذي تولى قضاء طرابلس ما يزيد عن ثلاثين عامًا، أي: منذ بداية الحكم الحفصي حتى ٦٥٨هـ/١٢٣٩م ثم انتقل إلى تونس، وتولى قضاءها بأمر السلطان الحفصي، وتولى بدلاً عنه لقضاء طرابلس الفقيه أبومحمد عبدالله بن عبد الكريم الغماري[١].

(١) إحسان، عباس ومحمد، يوسف نجم (١٩٦٨). ليبيا في كتب التاريخ والسير، ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ص١٦١.

وفي ظل الحماية الحفصية تحقق للطرابلسيين الاستقرار، وازدهر النشاط الاقتصادي، وفي مقدمته الصيد البحري والتجارة البحرية، وانصرفوا عن الاهتمام بالجندية، وقصروا نشاطهم الدفاعي على أمرين اثنين:

أولهما: تجديد سور مدينتهم، كلما احتاج إلى تجديد أوصيانة، وكانوا قد اتفقوا مع حكامهم على صرف جانب من الضرائب التي يدفعونها في ترميم السور.

وثانيهما: تجنيد حاميات من المرتزقة على حساب مدينة طرابلس لحماية طرابلس زنزور(جنزور)، وبالطبع فإن العربان وشيوخهم لم يرتاحوا لمثل هذا الإجراء؛ لأنهم رأوا فيه حدًّا من حرية حركتهم في السلب والنهب، لذلك فإن مرغم بن صابر الدبابي شيخ قبيلة المراغمة من الجواري بدأ يتقرب إلى الدولة الحفصية حتى استطاع أن يحصل على ملكية قرية زنزور(جنزور) ابتداءً من سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م وتزايدت مطامع مرغم بن صابر، فأراد أن يوسع منطقة نفوده، فاتفق مع ثائر يعرف بالفضل بن المخلوع من أولاد أبي زكريا يحيى ابن صاحب تونس، وجمع إليه مرغم العربان، وقصدوا تونس بمباركة السلطان قلاوون سلطان مصر، وبدأ الحليفان عملياتها بحصار طرابلس وواليها يومئذ محمد بن عيسي الهنتاتي، الملقب بـ«عنق الفضة»، لكنهما عجزا عن إحراز أي نصر؛ لمناعة سور طرابلس، فعوضا نفسيهما وقواتهما عن ذلك الفشل بمهاجمة بطون هوارة القاطنة حول طرابلس، فعاثوا في الأرض فسادًا، وابتزوا الأموال من قبائل البربر مثل زوارة ونفرة.

وبعدها واصل المسير إلى قابس في شهر ٦٨١هـ/ ١٢٩٢م، وكان عاملها آنذاك عبد الملك بن مكي، فأظهر الخضوع وبايع الدعي[1]، وانضمت إليه عربان الكعوب المقيمة في منطقة

(١) الدعي: هوأحمد بن مرزوق، من بيوتات بجاية، كان خياطًا، حدثته نفسه بالملك، ثم اغترب عن بلده، ولحق بصحراء سجلماسة، وادعىأنه الفاطمي المنتظر، خرج يتنقل بين الأقاليم حتى وصل طرابلس، وكان واليها آنذاك محمد بن عيسي الهنتاني، حاول دخولها والسيطرة عليها فامتنعت عليهم، ورحلوا إلى جنزور والجهات المجاورة من هوارة، فسيطروا عليها وفرضوا عليها الجباية، واستمر في زحفه إلى قابس،وكان واليها آنذاك عبدالله بن مكي فبايعه سنة ٦٨١هـ، ثم دخل

قابس، فاستطاع بمساعدتهم أن يتغلب على توزر،وقسطيلة، وقفصة،وصفاقس،وسوسة، وتعاظم أمره،وتمكن من دحر قوات السلطان الحفصي إبراهيم بسبب انضمام عدد كبير من قواته إلى الدعي في شوال سنة ٦٨١هـ، وهرب إلى بجاية، واستولى الدعيُّ على تونس، مما أدى بالسلطان إبراهيم عقب هذه الهزيمة إلى التنازل عن الحكم لابنه أبي فارس، فقام هذا الأخير بتجميع حشد يحارب الدعيَّ، والتقى الفريقان، وأسفرت هذه المعركة عن مقتل أبي فارس وهزيمة جيش الحفصين، وأثار هذا النصر غرور الدعيِّ وغطرسته، فأخذ يتجبر في الناس وساءت سيرته فيهم، وكثر ظلمه وجوره عليهم؛ لذلك فإنهم خذلوه وتفرقوا من حوله إلى أبي حفص عمر بن أبي زكريا، عندما تقدم لمهاجمة الدعيّ في تونس،وهرب الدعيّ واختفى إلا أنه تم القبض عليه في إحدى دور السوقة بتونس فقتلوه أمام الناس، بهذا النصر عادت للدولة الحفصية هيبتها على يد المستنصر الثاني أبي حفص عمر بن أبي زكريا، فبادر الناس بإعلان طاعتهم له، وأسرع والي طرابلس محمد بن عيسي الهنتاتي بتقديم ولاء طرابلس وطاعتها للسلطان الحفصي، أما مرغم بن صابر فوقع أسيرًا في أيدي بعض الصقليين في إحدى غاراتهم على نواحي طرابلس سنة ٦٨٢ هـ، فأخذوه وباعوه إلى الملك أرغوان البرشلوني، وظل أسيرًا إلى أن جاء إلى برشلونة عثمانُ بن أبي دبوس الموحدي الذي كان يرغب في إعادة حق دولته، فعقد حلفًا مع ملك برشلونة، وجهز له أساطيل وشحنها بأعداد من المقاتلة والأقوات على مال شرطوه، فتحرك الأسطول إلى طرابلس ومعهم مرغم بن صابر الأسير سنة ٦٨٨هـ/١٢٩٩م، وحشد مرغم بن صابر قومه، وحملهم على طاعة ابن أبي دبوس، وحاصروا مدينة طرابلس مع جند النصارى، إلا أنهم لميتمكنوا من دخولها، فانتقل ابن أبي دبوس إلى نواحي طرابلس، وأخذ في جباية الأموال لدفعه إلى النصارى، ورجعوا إلى بلادهم؛ لأنه كما يبدوكان هدف هذه الحملة تخويف أهالي طرابلس، بذلك تكون قد فشلت هذه الحملة على طرابلس، ورجع

تونس، وعظم أمره وعلا صيته، فخرج إليه عمر بن يحيى بن عبد الواحد الحفصي، فتبرأ الناس من الدعي، ولاذ بالفرار سنة ٦٨٣هـ (الأنصاري، أحمد بك. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا، طرابلس: مكتبة الفرجاني، (د، ت)، ص١٥٢-١٥٣).

مرغم بن صابر إلى قبيلته، وظل فيها على النحو الذي كان عليه قبل أن يقع في الأسر حتى توفي.

أما ابن أبي دبوس فظل يتنقل بين قبائل العرب إلى أن بايعه شيوخ الكعوب وأحمد بن أبي الليل، فتحرك بهم لتونس، فهاجمها واستولى عليها، فخرج إليه الوزير أبو عبد الله محمد بن برزكين في العساكر فهزمهم، وهزم ابن أبي دبوس بعد هذا الفشل إلى طرابلس، فوافته المنية وهو في الطريق عند جربة.

وفي سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م دب الضعف في أركان الدولة الحفصية بسبب التنازع على السلطة بين الحفصيين في تونس، مما شجع الأمير زكريا بن أحمد اللحياني الحفصي للدعوة إلى نفسه لتولية حكم طرابلس بعد أن نزل فيها أثناء عودته من الحج، ولقت الفكرة صدًى في نفوس أهالي طرابلس؛ لاتفاقها مع مصالحهم فبايعوه؛ لأن هذا الأمير كسب أثناء إقامته سنة ٧٠٧هـ- ٧٠٨هـ/١٣٠٧-١٣٠٨ في طرابلس قبل سفره للحج احترام الطربلسيين؛ لذلك التفوا حوله، وكذلك الأعراب وفي مقدمتهم أولاد أبي الليل من الكعوب ومن بني سليم، وسعي اللحياني بتشجيع والي قسنطينة أبي بكر بن يحيى بن أبي زكريا الحفصي للاستيلاء على تونس لاضطراب الأحوال فيها سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م فخرج إليها جيش بقيادة الشيخ عبد الله المزدوري تمكن من الدخول إلى تونس، وأرسل إلى اللحياني للقدوم، بعد أن أخذ له البيعة بالإمارة، لكن والي قسنطينة أبا بكر بن يحيى بن أبي زكريا لم يَرُقْ له تطور الأحداث لصالح اللحياني؛ لأنه إنما كان يريد الأمر لنفسه؛ ولذلك فإنه ثار على اللحياني، إلا أن اللحياني رأى أنه لا يستطيع القيام بالحرب وإدارة الحكم لكبر سنه؛ لذا رأى من الحكمة الرجوع إلى طرابلس بعد أن جمع من تونس أموالاً كثيرة، قالوا: «إنها تربوعن عشرين قنطارًا، وجوالين من حصى الدر والياقوت»[1] وأناب عنه في تونس محمد بن عمران[2]، ورجع إلى طرابلس سنة ٧١٧هـ،

(١) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص ٣٩٧.

(٢) الزاوي (٢٠٠٤). ص٢٥٧. هومن نسل أبي عمران موسى إبراهيم بن الشيخ أبي الحفصي، استخلفه اللحياني على تونس، ولكنه لم يلبث أن التحق بطرابلس لما بايع العرب والموحدون أبا ضربه بن اللحياني سنة ٧١٧هـ (البرغوثي، ١٩٦٧م،

وبنى فيها قصرًا عظميًا سماه (الطارمة) وهويقع تحت السور القبلي مما يلي البحر[١]،وانضم إلى اللحياني كذلك آل سالم وآل سليم من قبائل الدباب، فكثر جموعه وكون جيشًا بقيادة أبي عبدالله بن يعقوب،وفتح كثيرًا من المدن الليبية حتى بلغ برقة، وفرض الضرائب، وأقام سلطة حفصية مستقلة في أكثر أرجاء إقليم طرابلس[٢].

وفي سنة ٧١٨هـ هُزم ابنه أبوضربة في تونس، واضطرب عليه جنده؛ وقرر الرحيل عن طرابلس، وبعث إلى النصارى لنقلة إلى الإسكندرية، فأتته بأسطول في نفس السنة، فاحتمل أهله وولده وحاجبه أبا زكريا بن يعقوب، واستخلف على طرابلس أبا عبد الله بن أبي عمران من ذوي قرابته وصهره، ونزل على السلطان محمد بن قلاوون من ملوك مصر والشام، وظل بها حتى وفاته سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م.

وفي سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٣مثار أهالي طرابلس عليه، وطردوه فالتحق بالعربان ثم لحق بتلمسان، حيث حل هناك ضيفًا على أبي تاشفين وبقي عنده.

رابعا: مرحلة الاستقلال وتكوين الإمارات في طرابلس

أولا: إمارة بني ثابت على طرابلس الأولى (٧٢٤ - ٨٠٣ هـ/ ١١٦٢-١٤٢٩م):

بعد أن ثار أهل طرابلس على عبد الله محمد بن أبي عمران سنة ٧٢٤هـ وطردوه من المدينة، اختاروا رجلاً من أسرة بني ثابت ليتولى أمر طرابلس من ٧٢٤هـ حتى وفاته سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، وتولى بعد وفاته ابنه محمد من سنة ٧٣٠هـ حتى سنة ٧٥٠هـ، فغزا جربة بأسطول كبير، وحاصرها حصارًا شديدًا، حتى تمكن من فتحها وضمها إلى طرابلس، وظلت تابعة له حتى تولى السلطة في تونس عمر بن أبي بكر الحفصي سنة٧٤٧هـ، الذي أرسل لها جيشًا أرغم

ص٣٩٧).

(١) الزاوي (٢٠٠٤)، ص٢٥٩،

(٢) نفس المرجع، ص٢٥٩.

قوات محمد بن ثابت على التخلي عنها والعودة إلى طرابلس[١].

وظل محمد بن ثابت على طرابلس حتى توفي سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م فوليها بعده ابنه ثابت سنة ٧٥٠هـ وحتى ٧٧٠هـ، / ١٣٦٨م وكان شابًّا يوم تولى طرابلس، فما لبث حتى أعلن استقلاله بها عن الحفصيين، وفي عهده هاجم الجنويون[٢]، طرابلس سنة ٧٥٥هـ، واستولوا عليها، ونهبوا ما فيها من أموال وأمتعة، ونقلوها مع الأسرى والسبايا إلى جنوة، بينما أقام بعضهم في طرابلس، وتدخل أبوالعباس أحمد بن مكي صاحب قابس في فدائها منهم، وحرر طرابلس من سيطرتهم[٣]، وبذلك بدء حكم بني مكي على طرابلس.

ثانيا: إمارة بني مكي في طرابلس (٧٥٥ -٧٧٢هـ/ ١٣٤٩-١٣٧٠م):

لما تدخل أبوالعباس أحمد بن مكي صاحب قابس متوسطًا لدىالجنويين؛ ليفتدي منهم، فاشترطوا عليه أن يدفع لهم خمسين ألف دينارًا ذهبًا، وقَبِل ابن مكي الشرط، وأرسل يستعين بالسلطان المريني أبي عنان صاحب المغرب،إلا أن الجنويين استعجلوه في إنجاز الدفع لهم، فدفع لهم ماكان لديه، واستوهب أهل قابس والجريد والحامية فوهبوه ما بقي فسلمه للجنويين وسلموه طرابلس بعد أن أقاموا فيها حوالي خمسة أشهر، فصار ابن مكي واليًا عليها، واتخذها عاصمة لولايته، وظل فيها حتى وفاته سنة ٧٦٦هـ وتولى بعده طرابلس ابنه عبد الرحمن كفالة مولاة ظافر العلج، وهلك ظافر إثر مهلكة، فاستبدَّ عبد الرحمن بطرابلس، وساءت سيرته فيها[٤].

وفي سنة ٧٧٢هـ رجع إلى طرابلس في أسطول بحري أبوبكر بن محمد بن ثابت أحد الأخوين اللذين كانا قد فرَّا إلى مصر أثناء استيلاء الجنويين على طرابلس، فحاصر المدينة بأسطول من

(١) نفس المرجع، ص٢١٦.
(٢) أبوالفداء، ص٩٣.
(٣) ناجي محمود: ١٩٧٠تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبدالسلام أدهم ومحمد الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص١٤٥.
(٤) إحسان، عباس ومحمد، يوسف نجم (١٩٦٨). ليبيا في كتب التاريخ والسير، ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع.ص١٥٣.

جهة البحر، وأنزل رجاله إلى.بن أحمد المكي، وأصبحت طرابلس محاصرة لسوء سيرته واستبداده؛ ولذلك أغتنم أهلها هذه الفرصة وثاروا عليه، وبادر أبوبكر بن ثابت لاقتحامها عليه، وسلموا الأمير المكي لشيخ من شيوخ قبيلة دباب، فأجاره إلى أن أبلغه مأمنه من محلة قومه، وكان بها عمه عبد الملك بن يحي بقابس فبقى عنده إلى أن توفي ستة ٧٧٩هـ[١]، وبذلك انتهت إمارة بني مكي على طرابلس.

ثالثًا: أمارة بني ثابت على طرابلس الثانية (٧٧٢ - ٨٠٣ هـ/ ١٣٧٠-ى١٤٢٩م):

بعد أن دخل الأميرأبوبكر بن ثابت طرابلس أرسل إلى السلطان الحفصي أحمد بن محمد (٧٧٢هـ-٧٩٦هـ)، وقدَّم له الولاء والطاعة والهدايا من الرقيق والمتاع، فقلبها فأقره على ولاية طرابلس، فظل عليه حتى وفاته سنة ٧٩٢هـ، فخلفه على ولايتها ابن أخيه علي بن عمران بن محمد بن ثابت[٢].

وقد تميزت هذه الفترة الأخيرة من عهد بني ثابت في طرابلس بالتنافر علىالسلطة بين أفراد الأسرة نفسها، ففي سنة ٧٩٦هـ اشتد النزاع بين علي بن عمران وابني عمه يحي وعبد الواحد اللذين كانا ينافسانه الولاية، واستنجد يحي وعبد الواحد بسلطان تونس الحفصي أبي فارس عبد العزيز بن عباس الملقب بـ(عزوز)، فأمدهما بجيش سار معهما سنة ٨٠٠هـ، فاستولى على المدينة وقبض على واليها،كما عيَّن أخاه عبد الواحد بن أبي بكر قائدًا لجندها.

بعد ذلك رحل الجيش الحفصي عائدًا إلى تونس، ولكن يحي وعبد الواحد ابني أبي بكر اتجها نحوالاستقلال بطرابلس عن الحفصيين، فسار عبد العزيز بن عباس الحفصي إلى طرابلس على رأس جيشه سنة ٨٠٣ هـ بحجة أن المدينة كانت معرضة لغزوالفرنجة، وأن يحي وعبد الواحد كانا غير قادرين على الدفاع عنها، فحاصرها شهرًا ثم دخلها فعزل يحي وعبد

(١) الزاوي (٢٠٠٤). ص٢٦٣.
(٢) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص٤٠٥.

الواحد، وولى عليها من قِبَلِه عبد العزيز أحد ثقاته من رجاله، وانقلب راجعًا إلى تونس. أما عبد العزيز فقد ظلَّ واليًا على طرابلس حتى وفاته سنة ٨٢٣هـ، وبهذه الإجراءات عادت مدينة طرابلس ولاية حفصية يعيَّن لها ولاتها من أمراء تونس الحفصيين[١].

رابعا: عودة ولاية طرابلس إلى الحكم الحفصي:

فبعد وفاة والي طرابلس عبد العزيز ولَّى السلطان الحفصي أبوفارس (عزوز) ابنه ولي عهده محمد المنصور واليًا على طرابلس، إلى أن توفي سنة ٨٣٣هـ، وعلى أثر ذلك عرض أبوفارس ولاية طرابلس على أبي محمد عبد الواحد بن حفص فقبلها، فاستطاع أبومحمد عبد الواحد إقرار الأمن واستقرت أمورها، وحرص عبد الواحد على إقامة العدل بين الناس، فولَّى على القضاء أحمد الشهاب المغربي المالكي حوالي عام ٨٥٥هـ[٢]، فسار في الناس سيرة عادلة، فانصرفوا إلى ممارسة نشاطهم التجاري، ولقد استمر عبد الواحد واليًا عليها حتى توفي بها سنة ٨٥٨هـ في عهد السلطان عثمان بن محمد المنصور على تونس الذي ولى ابنه أبا بكر على طرابلس، فظل عليها حتى ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م. فلقد كانت ولايته استمرارًا لعهد عبد الواحد الحفصي، فظلت طرابلس تنعم بالاستقرار الذي كان عبد الواحد قد وطَّد أركانه فيها، ولم يحدث بها ما يكدر أمنها وطمأنينتها إلا في نهاية عهد ولاية أبي بكر المذكور؛ ذلك أن السلطان الحفصي عثمان بن محمد المنصور كان قبل وفاته سنة ٨٩٣هـ، قد أوصى بالسلطنة بعده لحفيده يحيى بن محمد بن مسعود[٣]، متخطيًا ابنه أبا بكر والي طرابلس، فلما أسندت سلطنة تونس إلى ابن أخيه يحيى بن رمضان سنة ٨٩٣هـ ثارت ثائرة أبي بكر؛ لأنه كان يرى أنه أولى بالسلطنة وأن تخطي أبيه له كان إجحافًا بحقوقه وجرح لكرامته؛ لذلك حاول أبوبكر أن يستقل بطرابلس،

(١) السخاوي، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت، مج، ص٢٨٢.

(٢) الانصاري، د.ت، ص١٧٣.

(٣) الانصاري، د.ت، ص١٧٤.

وأعلن العصيان على يحيى بن مسعود، وطلب من أهل طرابلس أن يؤيده ويبايعوه، لكن أهل طرابلس لم ينزلوا على رأيه ولم يؤيده منهم إلا فئه قليلة، أما الأكثرية فقد التفت حول بني غراب، والذين ثاروا على أبي بكر، وجرت بين الفريقين مقتلة عظيمة انتهت بالقبض على أبي بكر وإرساله إلى يحيى بن مسعود بتونس فحبسه ثم قتله سنة ٨٩٣هـ[١].

ويرى صاحب المنهل العذب أن بني غراب وثبوا بعد هذا على طرابلس، وقدَّموا محمد بن الحسن لولايتها[٢]، وكان محمد بن الحسن ضعيفًا عاجز الرأي، فاستبد عليه بنوغراب، كما استبدوا بأهل المدينة فشاعت الفوضى، وكثر الهرج والمرج، مما حمل السلطان الحفصي في تونس يحيى بن محمد المسعود إلى إرسال قوة من العساكر بقيادة أبي البركات السليماني فحاصرت طرابلس برًّا وبحرًا، إلا أن هذه الحملة باءت بالفشل، وسعى الأهالي في طرابلس لتسوية النزاع بين الطرفين، وبايع الأهالي في أحد مساجدها الشيخ منصور[٣] حاكمًا عليها، وسمع الدواخل ببيعة الشيخ منصور حاكمًا على طرابلس، فجاءته البيعة من غريان ومسلاته وبني وليد، ويذكر الطاهر الزاوي[٤] أن الشيخ منصورًا هذا ما لبث أن تغيَّر وأصبح جبارًا ظالمًا، فقتله أحد أقاربه حوالي ٨٧٦هـ / ١٤٧٠م.

ثم تولى طرابلس بعد مقتل المنصور رجل من أثريائها اسمه يوسف، وكانت ولاية ما بين ٨٧٦هـ و٨٨٥هـ، وبعد وفاة يوسف تولى أمر طرابلس رجل من أهلها اسمه مامي، حكمها مدة اثني عشرة سنة حتى وفاته ٩١٠ هـ، وبعد وفاة مامي اتفقت كلمة طرابلس على تولية الشيخ

(١) الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠) ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح، ص ١٣٨.

(٢) البرغوتي (١٩٦٧). تاريخ ليبيا، ص٤٠٧.

(٣) الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠) ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح، ص١٣٩.

(٤) الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠) ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح، ص٢٦٩.

عبد الله بن شرف حاكمًا على المدينة، وكان هذا الرجل زاهدًا متعبدًا، أهمل أمور البلاد، ولم يهتم بجندها ووسائل الدفاع عنها، وفي الوقت ذاته انصرف أهلها إلى الترف فداهمها الأسبان واستولوا عليها سنة ٩١٦هـ[١].

وبهذا انتهت مرحلة تاريخ طرابلس في العصور الوسطى لتبدأ مرحلة التاريخ الحديث بدخول الأسبان والعثمانيين طرابلس.

تلك هي أهم الأحداث عن الحياة السياسية في إقليم طرابلس خلال فترة الدراسة وما لها أثر على نظم الحكم والإدارة.

٢,١ نظم الحكم والإدارة في طرابلس إبان عهد دولة الموحدين والحفصيين:

مقدمة

فإن الحديث عن تاريخ الإسلام غني بما يحمله من الأحداث والوقائع التي لها أثر في حياة البشرية، ففيه الكثير والكثير من الفوائد والعظات، وبه يدرك المرء مواضع القوة والصواب، ومكامن اخللل والزلل.

وقد مرت مدينة طرابلس بتاريخ حافل بالأحداث سواء على الصعيد الداخلي بين الدول الإسلامية مع بعضها البعض، أوعلى الصعيد الخارجي المتمثل في الصراع مع الدول المجاورة وخاصة نصارى أوربا.

فالاستقرار والاطمئنان الذي تمتعت به طرابلس في فترات متلاحقة، وإن سادها بعض الاضطرابات والقلاقل إلا أنها استطاعت أن تكون إمارات تملك السيادة على أراضيها،

(١) الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠) ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح، ص١٤٠.

ودعمت أركان السلطة ووفرت أرضية ملائمة للاستقرار السياسي والإجتماعي والاقتصادي، من خلال نظم الحكم والإدارة، وإن كانت ليست متكاملة بالشكل المتعارف عليه،كنظام الوزارة والحجابة والحسبة والشرطة، فلم تكون واضحة في سلطنة الموحدين في مراكش أوالحفصيين في تونس، وإن كانت المراجع لم وإنتشر إليها إال عرضا ومن خالهلا تربز أالثر يف النتف القليلة في هذا المصدر أوذاك؛ فإهنا على كل تربز أالثر احلضاري الذي كان في مدينة طرابلس في تلك الفرتة،فق اقتبس من بعض النظم الإدارية من التراث الحضاري للدولة الإسلامية في عهودها المختلفة، وأتثر ببعض نظم الموحدين والحفصيين الذين هم امتداد للحضارة العربية اإلسالمية،وهذا مأشارإليه ابن خلدون[1] في قوله:»وأهل امللك والسلطان إذا استولوا على الدولة واألمر، فالبد من أن يفزعوا إىل عوائد من قبلهم، وأيخذون الكثري منها، وال يغفلون عن عوائد جيلهم».

من النظم في طرابلس يف تلكالعهودالنظام اإلداري والسياسي والقضائي، ونظام احلسبة، والنظام الحربي والعسكري، وهناك أنظمة لم تشر إليه المصادر بشكل جلي وواضح، ومنذلك:الوزارة والحجابة والكتابة، ما يدل على أن هذه المناصب لم تكن من نظم الحكم في مدينة طرابلس،وربما يرجع ذلك إىلالكيان السياسي الذي يظهر في شكل إمارة وليس دولة، ما يجعل مثل هذه المناصب ليست بضرورة أومهمة؛ لبساطة الحكم وشفافيته، وألنه يعتمد على جملس الشيوخيف مساعدة األمري في تسيريدفة الحكم،كذلك يعمل على واختزان هذه المناصب في الشيوخ، باستثناء إشارة مقتضبةإىل منصب احلجابة في بعض الفترات، فقد ظهرت خلال حكم األمري حممد بن اثبت الثاني، هذا ما ذكره ابن خلدون[2] بقوله:»فتزايا بزي الإمارة في اللبوس والركوب بحلية الذهب، واتخاذ الحجاب والبطانة».

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص٢٩.

(٢) نفس المرجع، ص٣٨.

تمهيد

التعريف بالنظم لغة واصطلاحًا

أولاً: معنى النظم:

النظم جمع نظام، والنِّظام في اللغة: (بالكسر) هو: الرتيب واالتساق والتَّأليف، وأصله: اخليط الذي يُنظَم فيه اللؤلؤ، ونظَمت الأمر فانتَظَم؛ أي: أقمتُه فاستَقام، وهوعلى نظام واحد؛ أي: يُتلَف فيه هنج غري[١]، فكلمة (النظام) تدل على معنى الترتيب والتنسيق، ووضع الأشياء في مواضعها، حسب منهجٍ خاص، وطريقة معينة مقصود.

النظام في الاصطلاح:

هوعبارة عن القواعدأوالمبادئ التي تجمع مايرسم للناس منهاج وطريقة حياتهم، وتهديهم أوتوجههم إلى ماينبغي أن يسريوا عليه في كل شؤوهنم، ويقيموا على أساسه م جميع سلوكهم كلتصرفاتهم[٢]. ويذكر الدكتورمحمد، إسماعيل علي[٣]: »أن نظم أي دولة تتكون من مجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة في هذه الدولة».

ويقرر»ديفيز»مفهوم النظم، فيقول: «إن النظم هي مجموعة من العادات الشعبية والأعراف والقوانين تتداخل في مابينهاحول وظيفة أوأكثر، مُكونة أجزاءً من البناء الاجتماعي، تُعرَف بتنظيمها المحكم، وتمايز وظائفها «

النظام السياسي:

(١) القزويني (١٩٧٩). ص٤٤٣ وكذلك ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (١٤١٤). لسان العرب(ط٣). مج٩، مج١٢. لبنان، بيروت: دار صادر. هـ، مج١٢، ص٥٧٨، والفريوزآابدى،٢٠٠٥ م، ص١١٦٢.

(٢) محمد، إسماعيل علي (٢٠١٤). مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية. تركيا: دار النداء. ص١٢.

(٣) محمد، إسماعيل علي (٢٠١٤). مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية. تركيا: دار النداء. ص ١٣.

أولاً: نظام اخلالفة:

تُعد الخلالفة من أنظمة الحكم في الإسلام وغيرها من المسميات، تمثل قمة الهرم في نظام الحكم، وهي تقوم على استخالف قائد مسلم على الدولة الإسلامية؛ ليحكمها بالشريعة الإسلامية، وسميت بخلافة لأن الخليفة هوقائدهم، وه ومن يخلف رسول الله في الإسلام؛ لتولي قيادة المسلمين والدولة الإسلامية، وعليه فإن غاية الخلافة هي تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، وحمل رسالته إلى االعالم بالدعوة والجهاد[١].

والخلافة في اللغة: جاءت من مصدر خلف، والخليفة الذي يستخلف ممن قبله ومن يقوم مقام الذاهب ويسد مسده، وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفته[٢] وجاء في القرآن الكريم [الأعراف الاية:[٣] ١٤٢. ﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾.

أما الخلافة في الاصطلاح: فهي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي: والخلافة هي محل الكافة على مقتضى النظر الشرعي[٤] في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الأخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

وعرفها صاحب ألحكام السلطانية[٥] بقوله «الإمامة موضوعة لخلالفة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا» وقد بقيت الخلافة محنفظة بسلطتها وقوتها في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين، وأول عهدالعباسيين، ثم بدأ ضعف الخلفاء لتسلط الأعاجم عليهم من ترك

(١) الألوكة (٢٠١٦).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (١٤١٤). لسان العرب (ط٣). مج٩، مج١٢. لبنان، بيروت: دار صادر.، ٩مج، ص٨٣-٨٩.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (١٤١٤). لسان العرب (ط٣). مج٩، مج١٢. لبنان، بيروت: دار صادر.، ٩مج، ص٨٣-٨٩.

(٤) ١٩١ م، ص١٩٦٦

(٥) الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد (١٩٧٨). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٥.

وسالجقة وبويهينبن وغيرهم. وعلى إثر ضعف الخلافة ظهرت دويلات في المشرق والمغرب، وقد خلعت هذه الدول على حكامها ألقاباً عديدة، ومن هذه الدول:

١. الرستمية: وتسمي حكامها بالإمام، نسبة إلى مؤسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم.
٢. الفاطمية: ولقب حاكمها المهدي، تأكيداً لفكرة الشيعة عن أحقية أبناء علي رضي الله عنه في الخلافة حيث اعتر بنفسه الخليفة المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا وظلماَ.
٣. المرابطون: وتسمي حكامها بأمراء المسلمين؛ حيث اتخذ يوسف بن تاشفين هذا اللقب بعد انتصاره في الزلاقة ورفض أن يتلقب بأمير المؤمنين؛ لكون هذا اللقب من اختصاص خلفاء المشرق، ولهذه الدولة تبعية شكلية للخالفة العباسي.
٤. الموحدون: أول دولة بالمغرب اتخذ حكامها ألقاب الخلافه، ويعتبر يعقوب المنصور أبرز خلفاء هذه الدولة العظيمة؛ حيث انتصر المسلمون في عهده على نصارى إسبانيا في معركة الأرك الشهرية بالأندلس[١].
٥. الحفصيون: بعد موت أبي زكريا الحفصي تولى زعامة الحفصيين ابنه أبوعبدالله محمد المستنصر بالله، الذي أعلن نفسه أمير المؤمنيين بعد سقوط بغداد بيد التتار عام٦٥٦هـ، وابيعه شريف مكة بالخلافة[٢].

لقد كان من الطبيعي في أي دولة أوإمارة أوولاية تسير دفة الحكم في دولتها؛ أن يكون لها مؤسساتها السياسية والإدارية،كيانه ونظمه شأنها شأن أي دولة بالمفهوم السياسي إذ الدولة تنظيم اجتماعي، له[٣] ولكن تلك النظم ليست وليدة الحكم خلال تلك الفترة، بل هي

(١) محمود، د.ت.
(٢) العبادي: أحمد مختار (٢٠٠٨). دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص١٢.
(٣) العرودي، عبد الله (١٩٨١). مفهوم الدولة، لبنان، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص١٢.

مورث حضاري عرب قرون غابرة في التاريخ تستمد منها السلطة السياسية معرفة تنظيم شؤون الدولة والحكم، مع عدم إغفال جانب التطوير والابتكار،وقد أشار ابن خلدون[١] إلى هذا المعنى فقال: «وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر، فلابد من أن يفرغوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها، ولا يغفلون عن عوائد جيلهم».

○ ثانياً: النظام السياسي في طرابلس:

عندما كانت طرابلس تحت حكم الصقليين، الذين جعلوا ولايتها، لبين مطروح ٥٤١-٥٥٣هـ، وعينوا لمنصب القضاء أبا الحجاج يوسف بن زيري، ولتسري دفة الحكم في الولاية، أقام الوالي يحي بن رافع بن مطروح النظام السياسي فيها على مبدأ الشورى، فكون مجلس شورى من عشرة من شيوخ البلد، وهذا ما ذكره التجاني[٢] في قوله: «كانوا يجتمعون في مسجد العشرة فيديرون أمر البلد، وذلك قبل متمك الموحدين لها، فلما تملكوا ارتفع ذلك الرسم، وزال عن املسجد ذلك الاسم»[٣].

وقد بقيت هذه الظاهرة الديمقراطية في طرابلس حتى قدم الموحدون، فألغوا المجلس المذكور[٤].

○ النظام السياسي في عهد دولة الموحدين:

صنفت الولاية أو(الإمارة) إلى نوعين: خاصة وعامة، أما الخاصة فتكون فيها اختصاصات الوالي مقصورة على تدبرير الجيش وسياسة الرعية، وأما العامة فتخص بالنظر

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص٢٩.

(٢) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص٢٣٧.

(٣) الربغوثي (١٩٧٢). ص ٣٦٥.

(٤) عباس (١٩٦٧)، ص١٥٧.

في الإحكام وتقليد القضاة والحكام وجباية الخراج وقبض الصدقات وإقامة الحدود في حق الله وحقوق الناس، وبعد تأسيس مدينة القيروان سنة٥٥هـ،وأصبحت عاصمة إفريقية سياسيا وفكريا وثقافيا؛ اتخذت الدولة الأموية تقسيما إداريا جديدا للدولة الإسلامية، فأصبح ولاة مصر يعينون ولاة برقة، بينما صار ولاة إفريقية يعينون ولاة طرابلس، وحدد هذا الوضع طبيعة الإدارة في ليبيا؛إذ أنها انقسمت إلى واليتين كبيرتيين في أغلب الأحوال هما برقة وطرابلس[١].

وقد بدأت الدول الإسلامية على تعيين الولاة والعمال على الأقاليم التابعة لها لتنفيذ سياستها، واستمر ذلك النمط السياسي منذ الفتح الإسلامي، ولم تشذ دولة الموحدين أوالدولة الحفصية عن هذه القاعدة؛ لذا نراها بمجرد دخولها طرابلس فرضت السيطرة عليها وعينت عليها واليا من قبلها، إلا أن أهالي طرابلس لا يخضعون إلا لرئيسا تم اختياره من بينهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون[٢]: «فصارت رياسة طرابلس إلى الشورى، ولم يزل العامل من الموحدين يجيء إليها من الحضرة، إلا أنرئيسها من أهلها مستبد عليها».

ومن هذا نستشف أن نظام الحكم في طرابلس خلال فترة دولة الموحدين يستند إلى نظام الشورى القائم على اختيار حاكم طرابلس، وبالتالي فهم الا يعترفون بمن ينصب عليهم من قبل السلطان، وهذا يعني أن طرابلس لم تكن تحت سيطرة دولة الموحدين إلا اسما لافعلاً؛ لأن من يدير دفة الحكم فيها أحد أعيانها ممن يتم اختياره من أهالي طرابلس، وهذا يعني أن نظام الحكم في طرابلس في هذه الفترة كان قائما على مبدأ الشورى.

أما ما يخص المناصب الأخرى في الدولة كالوزير والحاجب والكاتب، فهي مناصب لا وجود لها في ولاية طرابلس، في ظل وجود مجلس الشورى الذي يتكون من أعيان الوالاية،

(١) الربغوثي (١٩٧٢)،ص٦٨:٩٠.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص٥٣٧

فضلاً على أن هذه المناصب لم تكن واضحة المعالم كمنصب؛ إذ لا وجود لها في بداية ظهور دولة الموحدين، ثم اتخذوا الألقاب، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون[١] في أن دولة الموحدين أعقلت الأمر أوللبداوة، ثم صارت إلى انتحال الأسماء والألقاب، وكان اسم الوزير في مدلوله، ثم اتبعوا دولة لالأمويين في الأندلس وقلدوها في مذاهب السلطان، واختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه، ويعنى بأمور المراسم وآدابها.

❍ النظام السياسي في عهد دولة الحفصيين:

عندما أن اضطربت الأوضاع في دولة الموحدين واستقلت عنها بعض الأقاليم التي كان من بينها إقليم إفريقية (تونس) الذي كان تحت ولاية أبي محمد الحفصي تم الانفصال الرسمي عن دولة الموحدين كان ذلك في عهد زكرايا بن عبد الواحد الحفصي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م[٢]، وكون إمارة خاصة بهم بعد أن قضوا على المغامرين والطامعين، وعينوا على الأقاليم التابعة هلم الولاة، ومن بينها إقليم طرابلس الذي عين عليه الوالي أبوعبد الرحمن يعقوب بن أبي الهرغي في سنة ٦٢٦هـ[٣].

كما ولي عليها محمد بن عيسي الهنتاتي الملقب «عنق الفضة،» وكذلك أبويحي زكريابن أحمد اللحياني ٧٠٩ هـ الذي شجعه ضعف السلطة الحفصية في تونس وكثرة احتراب المتنازعين على السلطة، على أن يخرج عن طاعة الحفصيين، يعلن استقلاله بطرابلس عن السلطة الحفصية، بلإنه حاول أن يضم إليه تونس بعد أن أخذ له قائد جيشه البيعة ابإلمارة منسكاهنا سنة ٧١١هـ، إال أن الثورات اليت نشبت يف وجههاأثبتت له أنه عاجز عن إدارة دفة الحكم، فتخلى عن الحكم ورحل هووأسرته عن طرابلس إلى الإسكندرية٧١٨هـ، وجعل

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة،، ص١٤٢-١٤٣.
(٢) العبادي: أحمد مختار (٢٠٠٨). دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص١٢١.
(٣) برنشفيك (١٩٨٨)، ص ٥٩.

على حكم طرابلس صهره أبا عبدلله بن أبي عمران، وظل واليا عليها جتى ٧٢٤هـ[١].

من هذا يتضح أن طرابلس خلال الفترة من٦٢٦هـ وحتى ٧٢٤هـ كانت ببين التبعية للحفصيين والاستقلال أحياناً، أما مالح النظام السياسي غي طرابلس ما بين ٧٢٤هـ وحتى٨٠٣ هـ فتظهر في صور إمارات صغرية استطاعت أن تستقل عن الدولة الحفصية، وإكان نذلكغري رمسيإال أن هذه إلمارات (بين اثبت/بين مكي) أحيانًا، أما ملاح النظام السياسي في طرابلس ما بين ٧٢٤هـ وحتى ٨٠٣هـ فتظهر في صورإمارات صغيرة استطاعت أن تستقل عن الدولة الحفصية، وإن كان ذلك غير رسميإلا أن هذه الإمارات (بني ثابت/بني مكي).

استطاعت تسيير دفة الحكم في طرابلس بمعزل عن السلطة المركزية في تونس؛ لضعف سلطانها بسبب النزاعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة أما ملاح النظم السياسية في عهد إمارة بني ثابت، فإن المصادر والمراجع لم تتعرض إلى ذكرها بالتفاصيل الكافية التي من شأنها أن تعطي صورة متكاملة عن جوانب مهمة في التاريخ السياسي والنظام الإداري في ذلك العصر، لكن يمكن من بعض الإشارات العابرة التي تناولتها بعض المصادر والمراجع عن تلك الفترة من الزمن أن تكون صورة يأمل الباحث أن تكون واضحة عن هذا الموضوع.

استطاع بنوثابت أن يعلنوا انفصالهم عن الدولة الحفصية سنة ٧٢٤هـ مستغلين الأوضاع المتردية التي كانت عليها، وما تمر به من اضطرابات وصراعات على الولاية، فأعلن بنوثابت استقلالهم عنهم، وكونوا إمارة تحت نفوذهم وسيطرتهم، وأطلقوا على من يتولى منصب الحكم اسم (أمير) بدلاً من اسم الوالي أوالعامل، الذي يمثل السلطان الحفصي، وهي دلالة على استقلال طرابلس عن التبعية للدولة الحفصية، وقد أشار إلى ذلك ابن حجر العسقلاني[٢]،

(١) عباس (١٩٦٧)،١٨٠- ١٨١.

(٢) ابن حجر، شهاب الدين محمد أحمد العسقلاني (١٩٦٠م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مصر، القاهرة: دار الكتب الحديثة، مج٢، ص٥٢٩.

عندما تحدث عن ثابت الثاني فقال: «ثابت بن محمد بن ثابت الطرابلسي أمير طرابلس الغرب من ويليه مجلس الشيوخ وهومجلس مؤلف لأعيان، وهوالذي يعيّن الأمير لحكم البلاد، وهويمثل مجلسا استشاريا للأمير، غير أن السلطة برمتها كانت تعود إلى رئيس المجلس «الأمير»[١]. كان لمجلس الشيوخ، تأثير كبير على الأمير من خلال تقديم الولاء والطاعة من قبل الفئات الاجتماعية والقبلية التي يمثلها هؤلاء الأعيان في مجلس الشيوخ، وعن طريقهم يكسب الأمير تأييد كافة فئات المجتمع، وعلى العكس من، فإن مجلس الشيوخ كان له تأثير في تحريض فئات المجتمع على العصيان وشق عصا الطاعة في وجه الحاكم الذي لا يرضون عن تصرفاته، مثل ثورة ابن أبي عمران[٢].

ولكن القرار السياسي يبقى في يد الأمير، وهوالذي يمثل سلطة القرار في السلم والحرب، وعقد الاتفاقيات مع الدول مثل البندقية[٣] وغيرها من الدول، والبت في أمور الناس وقضاياهم المختلفة.

وقد نوهت بعض المصادر والمراجع إلى أن الحكم في مدينة طرابلس كان يتم عن طريق الاختيار من قبل أهلها، الأمر الذي يؤكد أن أسلوب الشورى الحكم كان من مميزات الحكم في طرابلس خلال تلك الفترة[٤]، فبعد أن طرد أبوبكر الحفصي من طرابلس اختار أهلها من بينهم الشيخ منصور، وكان ذلك في سنة ٨٦٥هـ، وبعد مقتله بايع الطرابلسيون أحد الأعيان وهويوسف لولاية طرابلس، وحكم تسع سنوات، ومات بعدها بالطاعون سنة

(١) التليسي (١٩٩٧م). ص٦١.
(٢) البرغوثي (١٩٧٢). ص ٣٩٩.
(٣) منفروني، كاملو (١٩٨٨). إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة، عمر محمد الباروني، ليبيا، طرابلس: مركز الجهاد الليبي، ص٣٩.
(٤) شارل فيرد (١٩٩٤). ص٦٥، وكذلك روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة، ص١١٨.

٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وتولى مامي بعده وبقي في الحكم ١٢ سنة وتوفي ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م[١].

النظام القضائي

يعد منصب القاضي من أعلى المناصب في الدولة، وهوالمخول بالنظر في النوازل والأحكام الشرعية، والفصل في الخصومات وقطع المنازعات بالقانون الإسلامي[٢].

وقد سن الخليفة عمر بن الخطاب للقضاة دستورًا يسيرون على هديه في الأحكام، ويعتبر الكتاب الذي تضمنه أساسا للقضاء في الإسلام، وبعث عمر بهذا الدستور إلى أبي موسى الأشعري وغيره من القضاة[٣].

وكان القضاة يعينون من قبل الخليفة، غير أنه كان أحيانًا يفوض إلى ولاة الأمصار اختيار القضاة لولاياتهم، أن يزودهم بالنصائح ويرشدهم إلى الصفات التي يجب توافرها فيهم، فكان يراعي في اختيارهم غزارة العلم والتقوى والورع والعدل والذكاء؛ ولذا كان القضاء مستقلاً إلى حد ما، ومحترم الجانب في الدول الإسلامية)[٤]، وأما القضاء في طرابلس في عهد دولة الموحدين:فقد كان القاضي يعين من قبل السلطان الموحدي، إلا أن إخلاص الطرابلسيين وثباتهم على الولاء لدولة الموحدين، الذي اتضح في وقوفهم في وجه المتمرد الهرغي وإحباطهم لخطته؛ نتيجة لذلك عين الحفصيون للطرابلسيين قاضيا من أنفسهم، هوأبوموسى بن معمر الهواري، تولى قضاء طرابلس ما يزيد عن ثلاثين سنة، أي: منذ بداية الحكم الحفصي سنة ٦٢٦هـ وحتى ٦٦٨هـ، حينما طلب إليه السلطان الحفصي أبوإسحاق إبراهيم بن أبي زكريا الشخوص إلى تونس فتوجه إليها وول قضاءها ما ينيف على عشرين عامًا، أي: حتى وفاته

(١) الزاوي (١٩٧٠). ص١٣٩- ١٤٠.

(٢) العاني، عبد الكريم بن زيدان بن بيج (١٩٨٩). نظام القضاء في الشريعة الإسلامية. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة، ص ١٠.

(٣) التليسي) ٢٠٠٢). ص ١٢٥.

(٤) نفس المرجع، ص ١٢٦.

حوالي سنة ٦٨٠هـ وليس ٦٦٠هـ كما ذكر التجاني وغيره[١].

وبعد تحول أبي موسى المذكور إلى تونس تولى قضاءها من بعده أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي[٢] وتولى قضاء طرابلس أبو محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الغماري بعد أن انتقل أبو موسى إلى تونس، وتولى كذلك القاضي الخطيب أبو محمد عبد الله بن السيد، والقاضي أبوالفضل بن مكرم بن منظور الطرابلسي صاحب لسان العرب ٧١١هـ، وقد تولى قضاء طرابلس على حد ما أورده ابن حجر في الدرر الكامنة وكان ذلك في الثلث الأخير من القرن السابع[٣]، والفقيه أبو محمد بن عبد الله إبراهيم القابسي وصل إلى طرابلس قاضيا مبعوثا من تونس[٤].

وممن تولى قضاء طرابلس الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق اليزليتني الذي عرف بحلولوسنة ٨٩٥ هـ، ثم عزل ورجع إلى تونس، فتولى مشيخة المدارس عوضا عن إبراهيم الأخضر، أحد الأئمة من وهوحفاظ فروع المذهب[٥].

منصب قاضي القضاة:

ولقد كان منصب قاضي الجماعة على رأس الموظفين المدنيين، وهومساوللقب قاضي القضاة في المشرق، ويعرف أيضا باسم قاضي إفريقية، قد جرى استخدامه قاضي الجماعة في عهد الأمويين في الأندلس، ويبدوأن منصب قاضي الجماعة لم يظهر في عهد الدولة الموحدية في تونس، وإنما ظهر في عهد الدولة الحفصية حينما أصبحت دولة مستقرة[٦].

(١) التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية.،، ص٢٥٦، وكذلك الأنصاري (١٩٦٣)، ص ٩٧٠: ٩٢.

(٢) نفس المرجع، ص٢٠٧

(٣) دار الكتب (١٩٧٠)، ص٤٤١، وابن حجر، شهاب الدين محمد أحمد العسقلاني (١٩٦٠م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مصر، القاهرة: دار الكتب الحديثة، مج ٦، ص١٥.

(٤) ناجي (١٩٧٠). ص١٧٦.

(٥) نفس المرجع ص١٧٦.

(٦) برنشفيك (١٩٨٨)، ص ١٤.

وإذا كان القضاة عموما يحتلون منصبًا مهما فإن قاضي الجماعة يعد من أبرز كبار رجال الدولة، ويرشح لها يتصف بالعلم والعمل ويعترف له الخاص والعام بالجمع والفضل[١].

وغالبا ما يقوم السلطان أوالأمير بنفسه باختيار وترشيح قاضي الجماعة، وقد يعبر عن رضاه عن القاضي بعبارة صريحة، ففي سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م عين السلطان المستنصر أبا عبد الله محمد بن إبراهيم المهدي المعروف بالخباز، وفيه يقول المستنصر: «ما سألني الله عن أمور الأمة بعد أن قدمت للأحكام الشرعية محمد بن الخباز»[٢].

وفي سنة ٧٣٤هـ تم التفكير في ترشيح الفقيه محمد بن عبد السلام الذي كان مشهورا بتشدده، فأرسلوا إليه رجلاً من الموحدين كان جارا له، فقال له: هؤلاء امتنعوا من توليك؛ لأنك شديد الحكم، فقال: أنا أعرف العوائد وأمشيها، فحينئذ ولوه[٣].

وقد جرت العادة أن من منصب القضاة أوقاضي القضاة لا يترك في منصبه أكثر عامين عملاً بوصية عمر بن الخطاب، ويهدف هذا الإجراء إلى الحيلولة دون تعاظم سلطة القاضي الدينية أوأن ينفرد بها بعيدا على حسابات السلاطين والأمراء، إلا أنه ابتداء من عهد أبي بكر الحفصي تغيرت الأمور، فلم يعد قاضي الجماعة يعزل من قبل السلطان، بل يبقى مباشرا لمهامه إلى أن تدركه المنية، ثم عاد النظام إلى ما كان عليه في السابق فيما بعد[٤].

كان جميع قضاة الجماعة في العهد الحفصي أبناء البلاد أصيلي تونس والمهدية وصفاقس

(١) الزركشي، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم (١٩٦٦). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ط٢)، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، جامعة الزيتونة، تونس، ص ٨٨-١٦٣.

(٢) طويلي، أحمد (١٩٩٦). الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي ٦٠٠- ٩٥٠/ ١٢٠٤- ١٤٤٣م، مج١، تونس: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، ص ١٦٢.

(٣) الزركشي، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم (١٩٦٦). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ط٢)، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، جامعة الزيتونة، تونس، ص٥٨- ١٠٥.

(٤) برنشفيك (١٩٨٨)، ص ١٧-١٨.

وتوزر وقابس وطرابلس، وكانت مهامهم ترجع إلى الأمور الآتية[١]:

من الإمساك بمقاليد القضاء والشعائر الدينية على مستوى الدولة كلها، ويقوم بعزل بعض القضاة وتولية بعضهم، وكذا النظر في الشكوى المقدمة على القضاة في الأقاليم والبلدان.

- النظر في مسألة إثبات ظهور الهلال كتابيا وإعلام السلطان بذلك، وقد يوكل بها قاض القضاة ولا يقوم من بها قاضي الجماعة بنفسه.
- النظر في أهم قضايا الأقاليم سواء بطريقة مباشرة أومن الدرجة الثانية، والمقصود إما أن يقوم بنفسه على ذلك أومن ينوب عنه بذلك ويتولى هوالمتابعة والنظر في تلك القضايا.

قاضي الأنكحة:

وهذا المنصب وإن كان داخلاً في عمل القضاة عموما إلا أن إفراده هنا لمزيد من التوضيح والعلاقة بينه وبين قاضي الجماعة، ففي عهد المستنصر سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ظهر هذا المنصب وجدد صلاحياته، وكان غالبا ما يتم اختيار قاضي الجماعة قضاة الأنكحة،وكان صلاحيات قاضي الأنكحة لا تخرج عن قاضي الجماعة، ولا يتفرد في الأمر إلا بموافقته ومشورته، إلا أنه وفي عهد السلطان أبي بكر استطاع قاضي الأنكحة آنذاك ويدعى محمد بن عبد السلام الاستقلال عن قاضي الجماعة، فأصبح بإمكانه النظر في قضايا الزواج حسبما يمليه عليه ضميره بعيدًا عن تدخل قاضي الجماعة، وقد انتزع هذا الاستقلال بدعم من السلطان[٢].

نظام الحسبة:

خضعت الأسواق في بلاد إفريقية أيام الحكم الموحدي والحفصي لنظام شديد من المراقبة

(١) نفس المرجع، ص ١٩.
(٢) نفس المرجع، ص ١٢٠.

والتنظيم ومقاومة الغش، ومنع التدليس، والإشراف على عمليات البيع والشراء، وكان كل ذلك في يد المحتسب.

ولم يكن نظام الحسبة بالأمر الجديد في إفريقية، فقد عرف هذا النظام في العصور الإسلامية الأولى، فقد كانت الحسبة ترجع إلى ولاة القيروان إلى أن تولى سحنون قضاء إفريقية عام ٢٣٣هـ فأصبح ينظر في شؤون الأسواق، وهوبذلك أول من نظر في الأسواق؛ حيث كانت قبل ذلك في يد الولاة دون القضاة، فنظر سحنون فيما يصلح من المعاش، وما يغش من السلع، وكان يجعل الأمناء على ذلك ويؤدب على الغش وينفي في الأسواق ما يستحق ذلك، وهوأول من نظر في الحسبة في القضاة وأمر الناس بتغير المنكر[١].

يعتبر المحتسب المنظم الحقيقي للحياة الاقتصادية عامة في المدينة وللحياة التجارية والصناعية على وجه الخصوص؛ ولذا فإن نظام الحسبة كان من أوائل النظم الإسلامية، ويرتكز عمل المحتسب في مقاومة عمليات الغش في البيع والعقوبات الزجرية التي كانت تفرض على الغاشين. ومنها على سبيل المثال طردهم من السوق أومصادرة بضاعتهم والتصدق بها على الفقراء[٢]، ومن مهام المحتسب النظر في الأسواق وترتيب صناع كل مهنة في موضعها، ومنع إعاقة الحركة في الأسواق ومنع الغش والتدليس في المعايش وغيرها من المكاييل والموازين ومراقبة الأسعار ومنع الاحتكار[٣]؛ لأن الأوزان والمكاييل معروفة المقدار، فلا يغير التجار منها شيئا، ومن فعل ذلك استوجب العقوبة وأخرج من السوق[٤].

ومن أمثلة الغش في الأسواق: بيع الخبز ناقص الوزن، وقيام صاحب الفرن بخلط القمح

(١) الجنحاني (١٩٧٧)، ص٧٠.

(٢) جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ١٨٥.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة،، ص٢٠١٠.

(٤) يحيى بن عمر (١٠٥٦)، مج ٤، ص٣١-٣٢.

الرديء بالطيب، وخلط العسل الجيد بالرديء، والزيت القديم بالجديد، وخلط باللبن ب الماء، وتبيض الأكسية بالكبريت، ودهن التين ب الزيت، وقيام الجزارين بخلط اللحم السمين بالمهزول، أوالنفخ في اللحم[١] المحتسب في العصرالموحدي يعين عن طريق القاضي وبموافقة الوالي[٢]، وقد أولى الموحدون خطة الحسبة عناية فائقة، وتشددوا في مراقبة الأسواق والمحافظة على نظامها ونظافتها، فكان ممثلوهم يراقبون الأسواق للحيلولة دون تراكم الأوحال في الطرقات، ومنع التجار من الجلوس أمام حوانيتهم أوبسط الجلود أوذبح الأنعام في الممرات، وغير ذلك من الأشياء التي تشوه نظافة الأسواق[٣].

والجدير بالذكر أن خطة الحسبة قد بلغت ذروتها في عهد الخليفة الموحدي يعقوب ٥٨٠ ـ٥٩٥هـ الذي أبدى عناية خاصة بالأسواق والمحتسبين؛ ويحدثنا الموحدي المراكشي[٤] في هذا الشأن قائلاً: «وكان -يعقوب الموحدي - قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق، وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم».

كما أن السلطة الموحدية قد حرصت على تعيين أمناء للأسواق؛ لمساعدة المحتسب في مهمته[٥]، فأفردت لكل سوق أمينًا ينظر في أحوال السوق ويراقبه بحسب اجتهاده؛ وذلك لمعرفة كل كبيرة وصغيرة تحدث داخل الأسواق[٦].

---

(١) الونشريسي، أبوالعباس أحمد بن يحي (١٩٨١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص ٤٠٩٤١٦-٤١١-.

(٢) ابن عبدون، محمد بن أحمد الحفصي (٢٠٠٩). رسالة في القضاء والحسبة، دارابن حزم، ص ١٦٠.

(٣) القادري بوتشي، ص ١٠٢.

(٤) الموحدي المراكشي (١٩٩٤)، ص٢٣٦.

(٥) موسى، عز الدين أحمد (١٩٨٣). النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي القرن السادس الهجري (ط١). لبنان، بيروت: دار الشرق، ص٢٩٥، وكذلك جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ١٨٦.

(٦) ابن عبدون، محمد بن أحمد الحفصي (٢٠٠٩). رسالة في القضاء والحسبة، دارابن حزم.ص٢٤٤، وكذلك حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ص ٥١٣.

كان يتم اختيار أمين السوق من بين ثقات الناس، أومن بين الحرفيين الأكثر اتقانًا للعمل[١]، ويتولى الأمين فحص البضاعة عند البيع، ومراقبة جودتها، ومنع الغش فيها؛ وقد تم ذكر أمناء للعديد من المهن بطريقة عرضية وفي مصادر متفرقة بمدينة تونس مثل: أمين العطارين الواقع دكانه خارج باب منارة، وأمين الجزارين، وأمين سوق السقاطين، وأمين سوق الصباغين، وكثيرا ما يرد لفظ الأمين، دون توضيح للمهنة، وفي مواضع أخرى: أمناء السوق والتجار، وعلى العموم فإنه كان لغالبية المهن أمين خاص بها[٢].

وكان على المحتسب أن يراقب أعوانه-أي الأمناء-الذين اتخذهم لمساعدته على القيام بمهامه في الأسواق، فلا يكلف من هم دائما فريقا بعينه للقيام بالمهام حتى لا يكونوا عرضة للارتشاء وغض الطرف عن بعض المنكرات[٣].

ذكرنا أن المحتسب كان يعين من قبل القاضي؛ وهويتبعه بالنظر، وفي ذلك ما يثبت الشرعية، غير أنه بعد أن حدثت الحركات الانفصالية، واستقلال أمراء في الولايات عن السلطة المركزية؛ صارت وظيفة المحتسبذات صبغة سياسية ترتبط مباشرة بسلطة الأمير[٤].

ينطبق ذلك على العهد الحفصي في إفريقية، عندما استقلت عن الحكم الموحدي في مراكش؛ حيث تغيّرت وظيفة الحسبة؛ ولم تعد ذات قيمة تذكر، فقد تحول النفوذ الذي كان ينظر في كل المسائل المتعلقة بالمحتسب الحقيقي إلى»قاضي الجماعة« الذي كان ينظر في كل المسائل المتعلقة بالمحتسب من تهيئة عمرانية وأحكام السوق من أسعار ومكاييل وموازين...الخ، وإصلاح النقود، والتثبت من وزنها، وغير ذلك.

(١) حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ج١، ص ٥١٤.

(٢) نجاه بشا (١٩٧٦)،ص٦١، وكذلك جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ١٨٦.

(٣) جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ١٨٦.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص ٢٠١.

يعتبر قاضي الجماعة من أبرز رجال الدولة، فهوالممثل الأعلى سلطة دينية في كامل البلاد؛ إذ كان يسمك مقاليد مصلحة القضاء والشعائر الدينية، وبالنسبة إلى إفريقية فقد كان بالإضافة إلى ذلك يقوم بدور الحاكم المدني، ويساعده في بعض القضايا بعض الموظفين، وقد كان جميع قضاة الجماعة تقريبا، في العهد الحفصي أبناء البلد[١].

وأصبح المحتسب في الواجهة الخلفية؛ ولم تتعرض له المصادر الحفصية طيلة فترة أواخر العصور الوسطى إلا نادرًا. وقد كان في كل الأحوال تحت سلطة القاضي الذي يقوم بتعيينه بموجب عقد يرد فيه «أشهد الفقيه القاضي بمدينة كذا فلان أنه قدم فلانًا على النظر في الحسبة بالمدينة المذكورة، والقيام بمصالحها وتفقد مكاييلها وموازينها، والبحث عمن يغش المسلمين فيها، ويمنع تلقي السلع والأضرار بالاحتكار، وإجراء الغش في المبيعات كلها، والإحداث في طرقات المسلمين، وأمره بالمعروف، وحمل الناس عليه، وأمره بالحكم في ذلك كله بالحق »[٢].

اقتصر دور المحتسب على ردع الحرفيين عند غشهم، أوعند رفض أحدهم أن بضاعته للناس، وح النزاعات الحاصلة بين أصحاب الصنائع والعوام دون ما التحكم في البيع المخصص للأعيان، فكان صغار التجار الباعة كثيرا ما يتعرضون إلى ضغوطات أعوان المحتسب والعامل، في حملونهم عيوب بضاعة ينتجونها كالخبز مثلاً، فيما يغضون الطرف عن أصحاب الأفران؛ لأنهم مقربون من المخزن يدفعون وظائف للعمال[٣].

وكما يبدوفأنه شيئا فشيئا بدأت الحسبة تنفصل عن خطة القضاء؛ ولم تعد تابعة له، وتراجعت مهامهاوأصبحت في كثير من الأحيان من مهام قاضيا لجماعة وأعوانه، مثال

---

(١) برنشفيك،) ١٩٨٨(، ص١١٥:١١٨.

(٢) حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ج١، ص ١٨٧.

(٣) جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص١٨٨.

على ذلك: تدخل قاضي الجماعة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي بشأن الطواحين المستحدثة في أسواق مدينة تونس لقلي الحبوب، فأضر دخانها بالسكان، الأمر الذي استدعى تدخل قاضي الجماعة وأمر بقطعها[١].

وفي كثير من الأحيان لا يقوم المحتسب بأي عمل، إلا بعد موافقة قاضي الجماعة، مثل الذي قطع دور الدبغ داخل المدينة وحولها إلى خارج الأسوار، وقام آخر لإزالة مصب للمياه المستعملة بدرب النشار بباب سويقة بمدينة تونس، ولكن كل ذلك بعد أن وافق قاضي الجماعة[٢].

وتجدر الإشارة إلى أنه وإن تخلى المحتسب عن الكثير من المهام، وتناقص عدد أعوانه في الأسواق؛ إلا أن هذا لم ينه عمله بشكل مطلق، فقد جلس المحتسب وسط الأسواق الكبرى في إفريقية على استعداد تام لحل النزاعات وفضها، ولا شك أن مثل تلك النظم والإجراءات كانت تحدث أيضا في أسواق طرابلس في العصر الموحدي والحفصي إن لم تشر المصادر إلى ذلك.

النظام الحربي:

لم يكن ثمة وجود لأي جيش نظامي في طرابلس، وكان الاعتماد للدفاع عن المدينة بالدرجة الأولى على أمرين:

الأمر الأول: التجديد المستمر لسور المدينة، وعدم إهماله أبدا، وكان الأهالي قد اتفقوا مع

---

(١) حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ص ٤٩٦.

(٢) جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ١٨٩.

حكامهم على أن يصرف جانب من الدخل الذي يدفعونه في ترميم السور[١].

الأمر الثاني: تجنيد فرق مستأجرة، وقد مكنهم الانتعاش الاقتصادي من الإنفاق على حامية قائمة لا في طرابلس وحدها، بل في المدن القريبة منها التي تُعد حصانتها دفاعا عن طرابلس نفسها، مثل زنزور، فقد رتب فيها الطرابلسيون حامية، سجل أفرادها في ديوان العطاء، وكانوا يقبضون عطاءهم من خراج طرابلس ويحامون عن قريتهم من غارات الأعراب، وكان أكثر تلك الحامية من مجرس - وهم فرع من هوارة- فكان هؤلاء المجريسيون يكفون فساد الأعراب، ويصدونهم عن ثمار بلدهم وأشجارهم[٢].

بالإضافة إلى ذلك كانوا يعتمدون على القبائل المجاورة في تكوين جيش لصد الهجوم عن المدينة، ففي سنة ٨٦٧ هقام أمير طرابلس آنذاك الشيخ منصور بالثورة، ثم إنه حشد جيشا من القبائل، قوامه خمسة آلاف المشاة، وثلاثة آلاف من الفرسان للدفاع عن استقلاله، عندما حاول سلطان تونس الأمير أحمد بن محمد الحفص إخضاع أهل طرابلس إلى سلطته، فتصدى له أمير طرابلس عند مدينة زوارة، فاستطاع أن الجيش الحفصي ويرغمه على الرجوع[٣].

وبما أن المدينة بحرية، فقد امتلكت على مراسيها سفنًا وأساطيل بحرية قوية، أظهرت نشاطا ملحوظا بحوض البحر المتوسط، ويعد الأسطول البحري جانب من الجوانب الحضارية، وركيزة من الركائز التي اعتمد عليها نظام الدولة في حالتي السلم والحرب؛ حيث إن صناعة السفن تمثل بارزة في تاريخ البحرية بطرابلس[٤].

ومن ناحية أخرى؛ فإنه لا يعرف بالتحديد نوعية الصناعات العسكرية التي كانت

(١) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢٣٨.

(٢) عباس، ١٩٦٧م، ص ١٧٥.

(٣) شارل فيرد (١٩٩٤م). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزوالإيطالي، نقلها للعربية: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي، ص ٦٦.

(٤) الشيباني، عمر التومي (٢٠٠١م). تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، ليبيا، طرابلس: منشورات جامعة، ص ١٨١.

قائمة، والتي كان من شأنها تزويد الجيش بالأسلحة والمعدات الحربية، مثل المدافع والبارود، وعلى أية حال فإن وجود المؤسسة العسكرية بهذه الصورة تعني أن طرابلس كانت تتمتع بالسيادة على ما يتبعها من أراض تمتد من حدود تاورغاء شرقا إلى قابس غربا ثم إلى غدامس جنوبا[١].

أما فيما يخص الأساطيل فإن العناية بها وصلت الذروة، أيام محمد بن ثابت ٧٣٠هـ، الذي استطاع أن يغزوجزيرة جربة، ومن ثم فرض حصارا مشددا عليها، حتى تم له الاستيلاء عليها، وأصبحت تابعة لطرابلس لتصبح امتدادا لإمارته[٢].

وبلغت هذه الأساطيل مجدها أيام أبي بكر بن محمد بن ثابت ٧٧٢هـ، وذلك حينما أجر سفنًا إضافية من النصارى، وقتها رجحت كفته ومكنته من انتزاع طرابلس من بني مكي[٣].

ومما يدل على قوة الأسطول البحري الطرابلسي وما كان يقوم به من لأعمال جهادية في حوض البحر المتوسط ضد الأساطيل الأوروبية، ضمن أساطيل الدولة الحفصية التي أنشأته كرد فعل على قرصنة الأوربيين، فهذا ابن خلدون[٤] يؤكد تفوق أعمال البحر الحفصية على القرصنة الأوربية عند حديثه عنمنازلة نصارى الإفرنج، فيقول: «ثم فشل ريح الفرنجة واختل مركز دولتهم بإفرنسة، وافترقت طوائف أهل برشلونة وجنوة والبنادقة، وغيرهم من أمم الفرنجة النصرانية، وأصبحوا دولاً متعددة، فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل إفريقية لغزوبلادهم، وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة في جمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويضيعون الأسطول ويتحيزون له الأبطال من الرجال، ثم يركبونه إلسواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفله،فيتحفظون منها ما قدروا عليه ويصادمون مايلقون من

(١) حمودة) ٢٠٠٤(. ص٢٨٥.
(٢) الزاوي) ٢٠٠٤(. ص٢١٦.
(٣) الزاوي (١٩٧٠). ص١٢٩.
(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص٣٩٩.

أساطيل الكفرة، فيظفرون بها غالبا، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى».

وقد كان للغابات المنتشرة شمال إفريقيا دور مهم في إنتاج الأخشاب التي يعتمد عليها في صناعة السفن التجارية والحربية، فقد ذكر الإدريسي[١] قائلاً: «وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي؛ لأنا لخشب في أوديتها وجبالهاكثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة»، وهذا يعزز القول بقدرة المدن الإفريقية المطلة على حول البحر الأبيض المتوسط على صناعة السفن واستخدامها في الحروب والقرصنة ضد الأعداء والقراصنة الأوربيين ومما تجدر الإشارة إليه أن الجيش الحفصي في بداية أمره كان منبثقاً من الجيش الموحدي بدون انقطاع، وكان أشبه بكونه فرعا منفصلاً عن الجيش الموحدي[٢].

اعتمدت الدولة الحفصية كثيرا على المجندين التابعين للقبائل، وهومترتب على تشعب العلاقات بين الحكومة والقبائل وتقلب الأوضاع السياسية والعسكرية الحربية، ولكن يبدوأن القبائل المستوطنة في المناطق الطرابلسية وما جاورها كانت تحتل مكانة زهيدة في الجيش الحفصي بعد أن عظم شأن الدولة[٣].

كانت الجيوش عموما في أقاليم الدولة ومنها طرابلس سواء في العهد الموحدي أوالحفصي يتركب من الجنود المشاة (الرجالة) والفرسان (الخيالة)، وكانت الخيالة تعتبر أنبل وأهم قوة أثناء المعارك والحروب[٤].

أما بالنسبة للسلاح فقد كان على أنواع: سلاح نقل الجند والسلاح والمؤن، ويتمثل في الخيل والإبل والسفن، وسلاح الدفاع، وكان قليل الاستخدام مقارنة بالنصارى، فقليل منهم

(١) الإدريسي، محمد بن محمد عبد الله (١٩٩٤). نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج١، مكتبة الثقافة الدنية، ص٢٦٠.
(٢) برنشفيك، ١٩٨٨م، ص٧٥.
(٣) نفس المرجع، ص٧٦.
(٤) نفس المرجع،ص٨٣.

من يحمل الدروع المعدنية والزرود والبيضات المصنوعة من المعدن، واستخدمت الدرقة والجلود للدفاع والحماية، أما السلاح الهجومي فاستخدم بكثرة وتنوعت الاستخدامات، ومنها السيف والرمح والخنجر والسهام والقوس، ولم يظهر المنجنيق ولا الأسلحة الثقيلة التي تمتع بها النصارى كثيرا في حروبهم وهجومهم[١].

وأما ما يخص إدارة الحروب والمعارك فقد كان السلطان هو القائد الأعلى للجيوش، وغالبا ما يتخذ السلطان وزيرا للجند يكون هو المسؤول عن الإدارة العليا للجيش، وقد يتخذ أوامر المعركة في الكر والفر، إلا أن الكلمة الفصل تعود إلى السلطان باعتباره القائد الأعلى للجند[٢].

٣,١ المكونات السكانية في الأقاليم الثلاثة (الليبية)

تمهيد: العناصر السكانية في ليبيا:

كان لموقع ليبيا الجغرافي أثره على تطور بنية السكان، فهي طليعة بلاد المغرب العربي، وتتصل ببقية بلاد المغرب العربي في وحدة جغرافية واحدة، تحدها مصر والسودان من الشرق، وتونس والجزائر من الغرب، وتمتد جنوبًا حتى أفريقيا الاستوائية، وفي الشمال البحر المتوسط، وفي هذا النطاق الجغرافي تتنوع البيئات الطبيعية فيه، ومن ذلك:

- وجود الشريط الساحلي، ويتكون من مدن وقرى ريفية.
- توفر النظام البدوي القائم على الرعي والزراعة.
- العمق الصحراوي بما فيه من جبال ومرتفعات وواحات.

وقد حقق هذا التنوع البيئي لسكان ليبيا فرصةً أكبر للتعاون والتكامل في الحياة

(١) نفس المرجع، ص٨٤.
(٢) نفس المرجع، ص٨٨.

الاقتصادية والتجارية[١] وأما العناصر السكانية في الإقليم الليبي في العصر الحديث فتتمثل في السكان القدماء والعرب الفاتحين، والوافدين من أواسط القارة الأفريقية، واليهود، ثم الأتراك، والمماليك (الأعلاج)، والمولدين، فضلاً عن الجاليات الأجنبية، وقد كان لهذه العناصر الوافدة آثارها الاجتماعية الواضحة في السكان[٢].

ومن الملاحظ في التركيبة السكانية للمجامع الليبية تعدد الأجناس فيها واختلاطهم، فقد سكنتها سلالات مختلفة منذ زمن قديم، كالبربر وهم السكان الأصليون، والفينيقيون واليونان والرومان، وبعد الفتح العربي الإسلامي، استوطنت فيها قبائل عربية هاجرت إليها من الجزيرة العربية عبر مصر، وطبعت البلاد بطابعها.

أولًا: العرب:

بدأ نزوح العرب إلى ليبيا مع الفتح الإسلامي، واستمر خلال حقب التاريخ الإسلامي، ويبدوأن بعض العناصر القليلة من العرب قد استقرت في البلاد بل وسكنت أيضًا المدن الواقعة في جنوب الصحراء كمدينة ودان، التي يقول عنها البكري: إن العرب يسكنونها جنباً إلى جنب مع البربر، وربما هم من نسل العرب الذين جاؤوا مع عقبة ابن نافع الفهري الذي وصلت جيوشه إلى زويلة.

وما زالت مجموعة من المقابر القائمة هناك التي تعد من الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العصور الأولى للفتح الإسلامي وتسمى بمقابر الصحابة.

وبالفتح العربي الإسلامي اصطبغت ليبيا كغيرها من بلدان المغرب العربي بالصبغة العربية الإسلامية، وأصبح تاريخها جزءًا من تاريخ الدول العربية التي ضمت إليها بقية أجزاء المنطقة، إلا أن عروبتها لم تتأصل إلا بعد الهجرات العربية الكثيرة التي قدمت في

(١) جحيدر، عمار (١٩٩١). آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ص٢٤٣.
(٢) جحيدر، عمار (١٩٩١). آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ص٢٤٤.

القرن العاشر الميلادي، وأشهر هذه الهجرات هجرة قبائل بني هلال وبني سليم[١].

ثانيًا: البربر (الأمازيغ):

وهم من أهل البلاد الأصليين، وينتسبون إلى حام بن نوح -عليه السلام[٢]، وهم من نسل مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح[٣].

وسموا البربر من أجل لغتهم المتميزة بنوعها، والتي اختصوا بها، قال ابن خلدون[٤]: «يقال: إن أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، وباسمه زعموا سميت إفريقية؛ لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوّعها تعجب من ذلك، وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ومنه يقال: بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة».

ووجودهم في بلاد المغرب العربي قديم، وكانوا يمتدون من الإسلام من سيوه غرب وادي النيل حتى المحيط الأطلنطي في الغرب، ومن شمال نهر النيجر إلى البحر المتوسط[٥]. ولهم دول كبيرة وأجيال عظيمة، فلما دخلوا الإسلام كان لهم فيه أثر كبير وفضل عظيم، يقول شهاب الدين الناصري[٦]: «فالبربر جيل معروف من أعظم الأجيال وأعزها، ولهم الفخر

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص٩٤.

(٢) وادعى بعضهم الانتساب إلى العرب، لكن رد هذا ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد (د.ت): جمهرة أنساب العرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف (د.ت، مج ١، ص٤٩٥) فقال: «وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً. ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرّخي اليمن».

(٣) ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد (د.ت): جمهرة أنساب العرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف. د.ت، مج ١، ص٤٩٥، وكذلك ابن عذاري، ١٩٨٥، مج١، ص٦٥، وابن خلدون، ١٩٦٦، مج٦، ص١٢٣.

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة،، ص٩٤.

(٥) شنعة، خديجة (٢٠١٢). اعتناق البربر للإسلام، (رسالة ماجستير)، جامعة وهروان، الجزائر، ص١٧.

(٦) شهاب الدين الناصري (١٨٩٥)، مج١، ص١٢٠.

الذي لا يجهل والذكر الذي لا يهمل، وقد تعددت فيهم الدول وكثرت فيهم الملوك العظام، وكان لهم القدم الراسخ في الإسلام واليد البيضاء في الجهاد، ومنهم الأئمة والعلماء والأولياء والشعراء وأهل المزايا والفضائل».

وقد احتكوا بالعرب منذ الفتح الإسلامي وعلى مدى التاريخ الإسلامي، وأدى اختلاط البربر بالعرب واحتكاكهم بهم إلى تغير كبير في لغة البربر وأذواقهم ومميزاتها العرقية وعاداتهم التقليدية، وأكثر من احتفظ بميول البربر الأصلية وبمعالمهم في ليبيا هم مواطنون منطقة زواره وجبل نفوسة[١].

وقد ظل البربر يمثلون أغلبية السكان في مدن ليبيا وفي المغرب العربي ككل حتى بعد اختلاط العرب والعثمانيين بهم، فلم يكن العنصر العربي الذي وصل إلى هذه المناطق يمثل كثافة عددية كبيرة[٢].

وفي العصر الحديث هناك مجموعة من قبائل البربر تعيش في جبل غريان، وفي واحات أوجله وسوكنة وتمسه، وعلى الساحل الشمالي للبحر المتوسط، فنجدهم يتركزون في زواره، ومن أهم هذه القبائل أوجله وورفله الذين يعشون بالغرب من طرابلس ويمثلون نسبة ٢٣ ٪ من سكان ليبيا[٣].

وكانوا يعتنقون المذهب الإباضي[٤]، قال الإمام الذهبي[٥]: «وخوارج المغرب إباضية

(١) ابن خلدون، ١٩٦٦، مج٦، ص١٨٦، وكذلك الميلي، ١٩٣٠، مج٢، ص٢٢٥.

(٢) شنعة، خديجة (٢٠١٢). اعتناق البربر للإسلام، (رسالة ماجستير)، جامعة وهروان، الجزائر، ص١٩.

(٣) نفس المرجع، ص١٨- ١٩.

(٤) " الإباضية من فرق الخوارج، ينتسبون إلى عبد الله بن إباض التيمي، وليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة مثلًا، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة، منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتدادًا للمُحكِّمة الأوائل من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات، والقول بخلق القرآن، وتجويز الخروج على أئمة الجور (الشهرستاني، ١٩٤٧، مج ١، ص١٣٤).

(٥) الذهبي، أبوعبد الله الدين محمد (١٩٨٤). سير أعلام النبلاء. لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، مج ١٥، ص١٥٤.

منسوبون إلى عبد الله بن يحيى بن إباض الذي خرج في أيام مروان الحمار وانتشر أتباعه بالمغرب»[١].

ويقول اليعقوبي[٢] عن سكان طرابلس: «وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم».

ثالثًا: الأقليات:

وتشمل الروم، والنصارى، والأفارقة، واليهود، وبيان ذلك:

١. الروم (الرومان)، والوندال:

يذكر البكري أن وجود الروم في المغرب العربي كان سابقًا لوجود البربر، وأن البربر ألجئوا الروم إلى جزائر صقلّية وغيرها[٣].

يقول الزاوي[٤]: «إذا صح هذا فهوتاريخ غير معلوم البداية ولا النهاية؛ لأن تاريخ البربر في إفريقية غير معلوم البداية».

ثم إنهم عادوا إلى المغرب العربي بعد حروب بينهم وبين قرطاجنة، انتهت بزوال ملك القرطاجنيين سنة ١٤٦ ق.م، وملك الروم قرطاجنة وخربوها، واستولوا على جميع المدن التي كانت تابعة لقرطاجنة[٥].

وقد استمر حكم الروم لليبيا حتى عام ٤٥٠ بعد الميلاد، ثم سيطر الوندال -وهم من أصل جرماني- على شمال أفريقيا، فاحتلوا طرابلس سنة ٤٥٦ بعد الميلاد، واستمر حكمهم حتى سنة ٥٣٣ بعد الميلاد، وذلك عندما احتل الرومان من جديد الشمال الإفريقي، وظلوا به

(١) ابن النديم، أبوالفرج محمد بن اسحق (١٩٧٨). الفهرست، بيروت، لبنان، بيروت، ص٢٣٣.
(٢) اليعقوبي (د.ت)، ص١٨٤.
(٣) البكري (٢٠٠٣)، مج١، ص٣٢٨.
(٤) الزاوي (١٩٦٣)، ص٢٩.
(٥) نفس المرجع، ص٣٠.

حتى الفتح الإسلامي سنة ٦٤٧م، فأجلوهم عن شمال إفريقيا[١].

ولم يكن للرومان والوندال أثر في التكوين السلالي واللغة والعادات للمغرب العربي وليبيا، إلا أنهم خلفوا معالم كثيرة نلاحظها من خلال الإنشاءات العسكرية، والأعمال العامة، والأعمال الفنية، وأسماء البلدان، وعلى الأخص الرومانية، وهي منتشرة في كل مكان على طول الساحل وفي منطقة الجفارة، وحتى في بعض المدن خارج المدن الثلاثة تم العثور على منازل ريفية وزراعية وفسيفساء[٢].

٢. النصارى:

بعد الفتح الإسلامي للمغرب بدأ الإسلام بالانتشار الواسع، إلا أنها بقيت بقية من سكان مدن المغرب تعتنق اليهودية والمسيحية، وهذا إن دل فإنما يدل على سماحة الإسلام وتعايشه مع بقية أبناء المجتمع، وقد أشارت المصادر التاريخية والجغرافية إلى أماكن تواجد هذه الجاليات غير المسلمة، فمن ذلك ما ذكره اليعقوبي[٣] عن وجود الروم في برقة فيقول: «ولبرقة أقاليم كثيرة تسكنها هذه البطون من البربر، ولها من المدن برنيق، وهي مدينة على ساحل البحر المالح، ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة تجوز فيه المراكب، وأهلها قوم من أبناء الروم القدم الذين كانوا أهلها قديمًا».

ويقول البكري[٤] عن طرابلس: «وبأطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود، وحولها أقباط في زيّ البربر كلامهم بالقبطية».

(١) [٨] ويقول الزاوي (١٩٦٣، ص٣٠-٣٣) معلقًا على إجلاء الروم من شمال إفريقيا: «ولأجل هذا نرى الطليان يقولون: إن طرابلس بلدنا، ولقد كذبوا على التاريخ وخالفوا الحقيقة، فإن بلادهم الأصلية هي روما وما حولها من بلاد شمال البحر الأبيض المتوسط، وإنما جاءوا إلى طرابلس فاتحين وأخذوها بالقوة من الفينيقيين والوندال، كما أخذها منهم العرب في الفتح الإسلامي بالقوة».

(٢) نفس المرجع، ص٣٠-٣٣.

(٣) اليعقوبي د.ت، ص١٨١.

(٤) البكري (٢٠٠٣). مج٢، ص٦٥٣.

فهذا يشير إلى وجود بقية من الإفرنج والروم، وإن كانت أقلية مقابل الأعداد الهائلة من العرب والبربر.

٣. الأفارقة:

هم أخلاط مجتمعون من أمم شتى، وهم بقايا أمم قديمة، وعناصر بربرية فرنجية، تجمعها صفة الخدمة؛ أي: العمل في المزارع والحرف[١]، فهم يمثلون الطبقات العاملة في مختلف المرافق[٢].

٤. اليهود:

تشير المصادر إلى تواجد اليهود في برقة وطرابلس إلا أنهم كانوا تابعين للعرب، يقول ابن خلدون[٣]: «وجميع بطون هيب هذه استولت على إقليم طويل خرّبوا مدنه، ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخهم، وفي خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر».

وأشار البكري والمراكشي واليعقوبي إلى تميز مدينة جادوا بكثرة اليهود فيها[٤].

مراحل الهجرات العربية:

المرحلة الأولى: استقرار القبائل العربية بعد الفتح.

المرحلة الثانية: هجرة قبائل بني سليم وبني هلال في القرن الخامس الهجري.

المرحلة الثالثة: الهجرات الأندلسية من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري.

أسباب هجرة القبائل العربية:

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، د.ت، مج٢، ص٤٠٩.
(٢) عباس (١٩٦٧). ص١٠.
(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص٩٥.
(٤) البكري (٢٠٠٣). مج٢، ص ٦٥٦، وكذلك مجهول، ١٩٥٨، مج١، ص ١٤٤، واليعقوبي، د.ت، مج ٢، ص٩٢.

يرجع علماء الأنساب العرب قبيلة بني هلال إلى صعصعة بن عامر بن مضر، أي: من عرب الشمال الذين يطلق عليهم العرب المستعربة.

وترجع بداية هجرات القبائل العربية إلى المغرب، إلى ما بعد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة من الهجرة، في فترة السيطرة العبيدية على مصر[١].

وكان العامل المباشر -باتفاق المؤرخين- في هذه الهجرات -والذي أدى إلى أن تجتاز القبائل العربية نهر النيل غربًا إلى إفريقية- هوسخط الدولة الفاطمية على المعز بن باديس حين قطع الدعوة للفاطميين وتحول بها للعباسيين.

وكانت الدولة في تشجيعها القبائل على المضي غربًا لتحقيق غرضين معا[٢]:

الأول: التخلص من هؤلاء الأعراب الذين يعيثون فسادًا في شرق النيل؛ فنظرًا لقوة هذه القبائل وضخامة عددها فقد اضطر الفاطميون إلى إبعادهم عن عاصمة حكمهم؛ تجنبًا لما تثيره من قلاقل واضطرابات لقوة بأسها وضخامة عددها، وخشية أن ينتهي أمرها بالاستيلاء على القاهرة نفسها وطرد الفاطميين منها، فجعلوا خط سيرهم يبدأ من بادية نجد بالجزيرة العربية، مارًا ببلبيس بمحافظة الشرقية، ثم يمتد على العدوة الشرقية للنيل حتى ينتهي في بلاد الصعيد، وما إن يصلوا إلى تلك البلاد، حتى يثيروا في أهلها الرعب والفزع،مما اضطر الخليفة المستنصر الفاطمي إلى الإسراع في تحويل مسارهم إلى بلاد الشمال الإفريقي.

وفتح الخلاف الذي وقع بين بعض أمرائهم، -وبخاصة بين أمراء بني عمومتهم زغبة ورياح الهلاليين، والذى أدى إلى المزيد من الحروب والقتل فيما بينهم وفتح المجال أمام الوزير الحسن بن علي اليازوري؛ليبعث إليهم من يصلح بينهم من رجال الدولة ويصلهم بصلات سنية؛

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص١٩، وكذلك المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (د.ت). البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب. مج٢، ص٢١٧.

(٢) الطيب، أحمد (د.ت): قبائل بني سليم في ليبيا موسوعة القبائل. بدون طبعة. ص٨٥٩-٨٦٠.

ترغيبًا لهم في الإسراع في الرحيل إلى بلاد المغرب، ثم أحضر أمرائهم ووعدهم بالمدد والعدد، وإباحة سيطرتهم التامة على تلك البلاد؛ ردًّا على ما فعله حكام العباسيين في مواجهتهم هناك، فأمرهم بالعيث والإخراب في بلاد الشمال الإفريقي، ثم أرسل إلى المعز بن باديس كتابًا يهدده فيه ويتوعده، بقوله فيه: «أما بعد: فقد أرسلنا إليكم فحولاً، وأرسلنا عليها رجالاً كهولاً؛ليقضي الله أمراً كان مفعولاً».

الثاني: تضرب بهم دولة الصنهاجين، فأمام إعلان المعز بن باديس الزيري الصنهاجي البربري تخلصه من التبعية لدولة العبيدين، وإعلان انضمام بلاد الشمال الإفريقي إلى دولة العباسيين؛ لم يجد بنوسليم والفاطميون بدًّا عندئذ من انضمام بعضهم إلى بعض، واتحادهم التام في مواجهة أعدائهم العباسيين وعمالهم من الشعوبيين؛ للأسباب السابقة ذكرها، حيث انتهز الفاطميون فرصة الاستعانة بهذه القبائل القوية، ذات الطبيعة البدوية الشرسة التي تمرست على الغارات والحروب والقتال في مواجهتهم،فلا تزال رسل الفاطميين تتردد على أمراء بني سليم وزعمائهم، حتى اضطروهم إلى أن يجمعوا أمرهم على الهجرة إلى مصر وبلاد الشمال الإفريقي؛ ليضربوا العباسيين في مقتل في تلك البلاد المترامية الأطراف.

والظاهر أن قبائل الأعراب لم تعبر النيل كلها، وقد قررت عشائر كثيرة منهم البقاء بمصر، واستمرت مقيمة بها بعد ذلك بقرون، إلا أن الذين هاجروا إلى مدن المغرب العربي كانت أعدادهم كبيرة ويتصفون بقوة الأبدان والتمرس بالضراب والطعان والاستهانة بالموت والشره إلى النهب والسلب، فنزلوا أرض برقة وما والاها، ووجدوا بلادًا كثيرة المرعى خالية من الأهل؛ لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز، فأقامت العرب بها واستوطنتها، وعاشوا في أطراف البلاد، وكتبوا لإخوانهم شرقيّ النيل يرغبونهم في البلاد[1].

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج ٨، ص٨٧، وكذلك ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص٢٠، وعباس (١٩٦٧). ص١٤١، وابن منصور، عبد الوهاب (١٩٦٨). قبائل المغرب، المطبعة الملكية، ١٩٦٨، ص٣٦٨

استقرارهم في برقة وطرابلس:

يقول ابن خلدون[١] عن تقاسم قبائل العرب لمدن المغرب: «وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق، ولهلال الغرب، وخربوا المدينة الحمراء وأجدابية وأسمرا وسرت، وأقامت لهب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة بأرض برقة، وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى إفريقية سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة».

فقد كان غزوقبائل الأعراب عامة وبني سليم خاصة لمدن المغرب العربي اندفاعًا كبيرًا غطى المساحة من برقة إلى تونس والجزائر، يقول المراكشي[٢]: «وما بين الإسكندرية وطرابلس المغرب، خمس وأربعون مرحلة؛ وكانت العمارة متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، تمشي فيها القوافل ليلاً ونهارًا... واستوطنتها الأعراب من سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصْفة بن قيس عيلان بن مضر بن نِزَار بن معد بن عدنان وغيرهم، فهم اليوم بها، وآثار المدن والحصون باقية إلى اليوم».

ويقول ابن فضل الله العمري[٣]: «بنوسليم وهم أكثر قبائل قيس (عيلان)، قال: ومساكنهم ببرقة مما يلي الغرب، ومما يلي مصر».

فقد اتفق المؤرخون والنسابون على أن بني سليم كان لهم النصيب الأكبر في استيطان برقة وطرابلس.

بطون وأفخاذ وعشائر قبيلة بني سليم وأماكن تواجدهم:

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة،، مج٦، ص٢٠.
(٢) المراكشي (١٩٤٩). ص٢٥٠.
(٣) العمري، ابن فضل الله (١٩٠٨). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: دوريتنا كرافولوسكي، الجزائر: مطبعة بروفتانا الشرقية المركز الاسمية، مج٤، ص٣٨٩.

كان توزيع العرب الهلاليين داخل ليبيا حسب قوة كل قبيلة وبأسها فيهم، فقد قامت القبائل القوية بالمناطق المنتجة وخاصة الجبل الأخضر ببرقة، في حين اضطرت القبائل الأقل قوة للعيش في المناطق القليلة الإنتاج، وتحت تأثير مواجهتهم لظروف الحياة القاسية، كانوا مضطرين للامتداد نحوالمناطق الغربية الخصبة وباتجاه الواحات الجنوبية.

أولًا: في إقليم برقة:

كانت بداية استقرار بني سليم في مدن المغرب العربي في برقة، وقد كانوا في برقة أربع مجموعات:

- بنوهيب، وهم: بنوهيب بن بُهثة بن سليم.
- وبنوعوف، وهم: بنوعوف بن بُهثة بن سليم، (ويعرفون بالكعوب).
- وبنوذباب، وهم: بنوذباب بن مالك بن بُهثة بن سليم[1].
- وبنوزغب[2].

ولم يستقر في برقة منهم إلا بنوهيب، واختار الباقون اللحاق ببني هلال للإقامة معهم في طرابلس وتونس[3].

ثانيًا: في إقليم طرابلس:

استقرت القبائل الثلاث (عوف - ذباب - زغب) في طرابلس إلى أن نشبت الحرب

(١) القلقشندي، أبوالعباس بن علي (١٩٦٣). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الانباري، مصر، القاهرة، ص١٢٥، وكذلك القلقشندي، أبوالعباس بن علي (١٩٦٣). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الانباري، مصر، القاهرة، ص٢٥٠، والمقريزي، تقي الذين أحمد بن علي (د.ت). البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب، ص٤١.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٦، ص٩٥.

*ذكر فيه ثلاثة أقوال؛ قول الكلبي والتيجاني وأبي الحسن بن سعيد، الكحالة، ١٩٨٥، مج٢، ص٤٧٤.

(٣) المقريزي (١٩٤٨). اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، دار الفكر. وكذلكالمقريزي، ١٩٤٨، مج٢، ص٢١٧.

بين ابن غانية والحفصيين الذين كانوا يحكمون ليبيا باسم الموحدين سنة ٥٨٢هـ، وقد مال بنوعوف في بداية الأمر إلى ابن غانية، ثم تخلت عوف عن ابن غانية، واستقرت في قابس سنة ٦٠٥هـ، وبذلك صارت في جانب الحفصيين، واستمرت الحرب عنيفة إلى هزيمة ابن غانية سنة ٦٣١هـ، وانتقلت قبيلة بني عوف إلى تونس، وخلت طرابلس بالكامل لذباب وزغب[١].

وعن أفخاذ بني سليم الذي استقروا ببرقة وطرابلس وما بينهما من المدن يقول المقريزي: «وفي هذه القبيلة -أي: قبيلة سليم- بطون وأفخاذ وعشائر كبني ذكوان وهلال وعوف والحارث ورفاعة وعُصية وظفر وعميرة وبهز وغيرهم. ومساكن سُليم هذه ببرقة مما يلي مصر... وبنوزُغُب بن مالك بن بُهثة كانوا بين الحرمين فصاروا إلى إفريقية في جوار إخوانهم بني ذباب بن مالك، ثم صاروا في جوار بني هيب، ومن بني سليم بني ذباب بن مالك ينزلون ما بين قابس وبرقة، وهم ببرقة بجوار هيب، ومنهم بنوسليمان بن ذباب في جهة فزان وودان، ورؤساء ذباب الآن ما بين طرابلس وقابس، وبيتهم بنوصابر والمحامد بنواحي فاس وبيتهم في بني رحاب بن محمود، ومن سليم بنوعوف بن بهثة ما بين قابس وبلد العناب وهم مرداس وعلاق. وبنوهيب بن بهثة إخوة عوف بن بهثة ما بين السدرة من برقة إلى حدود إسكندرية، وبنوأحمد منهم بأجدابية لهم عدد ويرجعون إلى شماخ ولها العزفي هيب، ومن هيب سبال ومحارب ورياستهما في عزاز ولهيب في سليم عزة لاستيلائها على إقليم طويل خربت مدنه وصارت ولايته لأشياخهم[٢].

(١) كمالي، ١٩٧٩م ٩٤. كمالي، إسماعيل (١٩٧٩). سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق: حسن الهادي بن يونس، سلسلة الدراسات المترجمة، مركز الجهاد الليبيين التاريخية.، ص٣٤، ٣٥

(٢) المقريزي، د.ت المقريزي، تقي الذين أحمد بن علي (د.ت). البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب، ص ٤١، ٤٢، وكذلك ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج، ص٩٥

العوامل التي ساعدت على توثيق العلاقات بين بين سليم والقبائل الأخرى:

ترجع أهم العوامل التي ساعدت على توثيق العلاقات بين سليم والقبائل الأخرى وأدت إلى انصهار القبائل مع بعضها وجسدت لحمة وطنية إلى الأمور الآتية:

أولًا: العوامل الاجتماعية:

وتتمثل في المصاهرة بين القبائل العربية والبربرية، وقد حصلت حالات غير معدودة من الأصهار والانصهار.

ومن ذلك ما فعله المعز بن باديس، حيث صاهر ببناته الثلاث من أمراء العرب، وهم فارس بن أبي الغيث، وأخاه، والفضل بن أبي علي المرداسي من رياح الهلالية، ثم ابنه تميم بن المعز إلى المهدية في تونس عام ٤٤٨هـ[(١)].

وقد عرفت تجارة الرقيق طرقها عبر ليبيا إلى أوروبا إلا أن بعض العناصر تسربت واستقرت في ليبيا، ومع الاستقرار والمصاهرة انصهرت مع مجتمع كانت القبائل العربية هي السائدة من حيث الثقافة واللغة والعادات[(٢)].

وقد عمل الزنوج وبكثرة في الرعي والزراعة في إقليم فزان على مختلف العهود، ومع مرور الزمن أصبحوا جزءًا من المجتمع بثقافته ولغته[(٣)].

وعلى الرغم مما ذكر عن قبائل العرب كبني سليم وهلال وغيرهم من بعض التجاوزات فقد كان لها الفضل الكبير في تثبيت دعائم العروبة في تلك الأقاليم، وانتشار اللغة العربية، وعلت كلمة الإسلام، وكان البربر أسرع انصهارًا في بوتقة التركيبة العربية، فلم يعد لهم مظهراً

(١) الطيب، أحمد (د.ت): قبائل بني سليم في ليبيا موسوعة القبائل. بدون طبعة. وكذلك المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (د.ت). البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب. ص٨٦.

(٢) جوهر وآخرون (١٩٦٠). ص٩.

(٣) السيد (٢٠٠٠). ص١٤.

منفصلاً عن العرب[١].

يقول ابن خلدون[٢]: «صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكن الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الصيف والشتاء، وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوها بفصاحة العرب، فلا يكاد يفرق بينهم».

ومما يميز بنوسليم أنهم لم يقوموا بتكوين كيانات سياسية، وإنما تمسكوا بطابعهم البدوي الرعوي، فزاد ذلك من عزلتهم عن الخارج، وعاشوا في تجمعات رعوية وزراعية، وقد ساعدهم في ظهور هذا الطابع من الحياة أن القبائل البربرية كانت ذات صفات عقائدية تختلف عنهم في كثير من نواحيها فكان هذا من أعظم التحديات التي واجهت الجميع[٣].

ومن العوامل الاجتماعية التي أدت إلى التجانس مع القبائل العربية والبربرية التشابه في كثير من الصفات والظروف التي تعيشها كل منها، من ذلك:

١. امتهان الرعي.

٢. اتفاقهم في صفات خلقية كالشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم، وحفظ العهد وحسن الجوار وغير ذلك من الصفات[٤].

وقد أدى نزوح العديد من بطون القبائل بين الأقاليم والمدن الليبية إلى التأثير على الحياة الاجتماعية، من الناحية الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، وزاد من ترابط القبائل، من خلال التعاون لمواجهات التحديات، سواء العرب مع البربر أوبين القبائل العربية مع بعضها أومع غيرهم من القبائل والأجناس، ثم زادت الروابط أكثر بالتزاوج والمصاهرة والعمل.

(١) حمدان (١٩٧٠). ص١٣٨- ١٣٩.
(٢) ابن خلدون (١٩٦٦). مج ٦، ص١٤١.
(٣) الغناي (٢٠١٩). وكذلك بولبيض، ٢٠٠٩، ص ٥٩- ٦٠.
(٤) بولبيض، ٢٠٠٩، ص ٦٦.

ثانيًا: العوامل الاقتصادية:

ويتمثل في التحالفات الاقتصادية لتأمين طرق القوافل التجارية والموانئ، وهذه من العوامل التي تحقق المصالح المشتركة بين القبائل في الإقليم.

ويجدر «الإشارة إلى أن التبادل التجاري بين بلاد السودان وبرقة قد أدى إلى استقرار وكلاء التجار السودانيين وذويهم في الإقليم ومن ثَّم وجود عنصر السودان»[(١)].

من الجدير ذكره أن العرب لما وصلوا إلى ليبيا وجدوا أراضي خصبة المراعي، فاستفادوا منها وكانوا يملكون خبرة واسعة في تربية المواشي والرعي والزراعة والحرث.

وكان للاقتصاد أثر في الحروب والصراعات، ففي عام ٧٥٠هـ وفي عهد الأمير ثابت بن محمد بن ثابت جاء تجار من جنوده وكانوا يترددون على مدينة طرابلس وأسواقها فأغرتهم خيراتها، فتتبعا تحصيناتها ثم قاموا بغزوها؛ طمعًا في تلك الخيرات[(٢)].

وقد تنوعت الحياة الاقتصادية في ليبيا فشملت: التجارة التي تنوعت سلعها بين الصوف والعسل والحبوب والحيوانات...الخ، وكذا الزراعة باختلاف أنواعها، والصناعة القديمة المختلفة كالتروس وآلات السقي وآلات الحربية وغيرها، وكل هذه عوامل ساعدت في توسيع فرص العمل لمختلف الأجناس، وساهمت على الاستقرار والاندماج أكثر وأكثر.

ولأن ليبيا تطل على البحر الأبيض المتوسط فقد كانت طريق التجارة تمر عبرها، بدءًا من مصر إلى برقة ومنها إلى أجدابية ثم إلى سرت وطرابلس ثم إلى قابس والقيروان، وقد أدى هذا الطريق دوره في حركة التجارة وحركة المسافرين، ونتج عنه تبادل واسع للمنافع الاقتصادية والثقافية العامة بين القبائل العربية والبربرية على حدٍ سواء[(٣)].

(١) نفس المرجع، ص ٦٦.
(٢) السيد (٢٠٠٠). ص ٥٠.
(٣) البكري (٢٠٠٣). مج٢، ص٣٥٧- ٣٦٧.

ثالثًا: العوامل السياسية والعسكرية:

حيث شاركت القبائل على اختلاف أنسابها في معارك مشتركة، وخاصة المعارك العامة التي خاضتها الجيوش الإسلامية ضد النصارى، وتنوعت العوامل السياسية والعسكرية بين عوامل داخلية وعوامل خارجية:

العوامل الداخلية:

خاض العرب والبربر حروبًا داخلية عدة، وذلك تبعًا لقوة الدول الحاكمة والسلاطين والأمراء، حيث شاركوا في الحروب مع صلاح الدين لتثبيت الحكم، ثم مع المماليك، ودخلت ليبيا في صراع مع الدولة الحفصية التي دخلت طرابلس سنة ٦١٤هـ، وعاشت طرابلس تابعة لحاكم تونس، وظلت في ازدهار اقتصادي في الزراعة والتجارة، ثم عادت التبعية للأمير قابس أحمد بن مكي[١]، وكل هذه الحروب والأحداث الداخلية ولدت لدى القبائل من بني سليم والبربر وغيرهم ضرورة الحفاظ على اللحمة الداخلية في مواجهة الأخطار التي تعم الجميع.

ومما يؤيد سيطرت القبائل العربية -وخاصة بني هلال وبني سليم- على الأقاليم، أنها هي صاحبة القرار النهائي في القضايا الكبرى، فقد منح الشيخ أبوهندي أحد زعماء قبيلة بني سليم العائلات الأندلسية الأراضي الزراعية في درنة في منتصف القرن التاسع الهجري مقابل استصلاح الأراضي الزراعية في المدينة[٢].

لعبت الأدوار السياسية والعسكرية منها على وجه الخصوص أدوارًا مهمة في استقرار القبائل العربية، يقول ابن خلدون[٣]: «فلما دخلوا أرض برقة وما والاها وجدوا بلادًا كثيرة

---

(١) السيد، محمود (٢٠٠٠). تاريخ دول المغرب العربي ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا. مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص٤٨، ٤٩.

(٢) الطرابلسي، ١٩٩٩م، ص٤٥.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، مج٤، ص١٣١.

المرعى خالية من الأهل؛ لأن زناتة كانوا أهلها فأبادهم المعز». فهذه وغيرها مهدت للقبائل العربية الاستقرار في المدينة الخاوية.

العوامل الخارجية:

يبدأ الارتباط بين ليبيا والعرب من أيام الفتح الإسلامي، حيث كانت الجيوش الإسلامية في طريقها إلى القيروان والمغرب والأندلس تمر عبر ليبيا، وقد أدى هذا إلى استقرار بعض هؤلاء الجند في ليبيا ويسمون «المرابطون»، وهم خليط من قبائل قحطانية وعدنانية قبل قدوم وفود قبائل بني سليم وهلال عام ٤٤٢هـ[١].

وشارك العرب والبربر جنبًا إلى جنب في العديد من الحروب، ومن ذلك موقعة أقليش فقد شارك فيها المرابطون والعرب والبربر ضد المسيحين الذين استولوا على قلعة أيوب في شرق الأندلس، وحقق المسلمون فيها الانتصار[٢].

وساهم الأتراك في تحرير بلاد المغرب العربي ضد الأسبان، وتمكن خير الدين بربروسة عام ٩٤٢هـ من تحرير كثير من السواحل العربية المغربية ودمر الأساطيل الإسبانية، وشجعت تلك الأحداث والانتصارات سكان ليبيا وخاصة طرابلس على الاستنجاد بالسلطان سليمان الكبير لإنقاذهم من الإسبان، فتم لهم ذلك[٣].

وقد تحققت هذه العوامل على فترات، أهمها ما يأتي[٤]:

المرحلة الأولى: انصهار واصهار البربر مع العرب في فترة الفتوحات وما بعدها، حيث كانت ليبيا حينها محطة لانتقال الجيوش الإسلامية نحو الغرب الأقصى، ومنها إلى بلاد الأندلس.

(١) الطيب، أحمد (د.ت): قبائل بني سليم في ليبيا موسوعة القبائل. بدون طبعة. ص٨٦٢.
(٢) السيد، محمود (٢٠٠٠). تاريخ دول المغرب العربي ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا. مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص٤٣.
(٣) نفس المرجع، ص٥٣.
(٤) نفس المرجع، ص٥٣.

المرحلة الثانية: انصهار واصهار العرب في البربر في هجرة بني سليم.

المرحلة الثالثة: انصهار الهجرات الأندلسية مع العرب في كل من إقليم طرابلس ومدينة درنة في إقليم برقة وبعضها في الإقليم الجنوبيك (هون زالة).

وهذه العوامل أدت إلى تكوين لحمة وطنية بين الأقاليم تدعمها عوامل أخرى منها المذهب المالكي الذي يمثل الجانب التشريعي بين سكان الأقاليم الذي تبلورت في تقارب العادات والتقاليد بين سكان الأقاليم.

علاقة قبيلة بني سليم بالقبائل الأخرى (البربر والعرب):

اختلط العرب بالسكان الأصليين لليبيا، وأصبحت غالبية السكان تدين بالإسلام وتتبع المذهب المالكي، وتتكلم اللغة العربية، واحتفظ البربر فضلاً عن معرفتهم باللغة العربية بلغتهم البربرية، واتبع بعضهم المذهب الإباضي، وخاصة في زواره، والجبل الغربي، ومن هنا كانت ليبيا في الوطن العربي جسر اتصال بين مشرقه ومغربه.

الفَصْلُ الثَّانِي

الجانب الاقتصادي

١,٢ الحياة الاقتصادية في طرابلس في العهد الحفصي: من القرن (٦-١٠هـ/ ١٢-١٦م)

أن الوضع السياسي في إفريقية عامة، وفي طرابلس الغرب خاصة، قد أثر في البنية الاقتصادية، ذلك أن البنية السياسية والاقتصادية، كلاهما يؤثر في الآخر على مر العصور. ونتيجة للصراعات والحروب الداخلية والخارجية في تلك الفترة من الفرن السادس إلى العاشر، إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في المغرب عامة وطرابلس خاصة، إلا أنه رغم ذلك كان يسود الهدوء والاستقرار والأمان في فترات من تلك الحقبة، مما يؤثر على النشاط الاقتصادي وازدهار في إقليم المغرب، وما يهم الباحث هنا أوضاع طرابلس خلال تلك الفترة، وكيف كان الانتاج الزراعي والحيواني والتجاري في طرابلس في العهد الحفصي في هذه الفترة؟

قسمت الدارسة الى: أولا - تناول الزراعة اهم المنتجات الزراعية والحيوانية والحيواني، ثانيا عرج فيه الباحث عن المصنوعات التي قام على المنتجات الزراعية والحيوانية وثالثا التجارة تتطرق فيه الباحث الي الطرق التجارية واصادرات والوردات والاسواق.

○ نبذة جغرافية

تعد مدينة طرابلس إحدى المدن التاريخية الهامة، نظرا لما تميزت به من موقع جغرافي هام، جعلها تتبوأ مركزا له أهميته في الشمال الأفريقي منذ العصور القديمة، فهي مركز تجاري يربط بين المشرق والمغرب من ناحية، وبين جنوب البحر المتوسط وشماله من ناحية ثانية. أما عن حدود إقليم طرابلس، فيذكر حسين مؤنس أنه يبدأ من بلدة تاورغاء إلى حواز قابس(١)، هذا ما أورده اليعقوبي(٢)، ثم تمتد في عمق الجنوب لتشمل غدامس وفزان ومناطق الواحات(٣).

(١) مؤنس، حسن (١٩٨٢). تاريخ المغرب وحضارته، لبنان، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١/ ٢٧-٣٦.
(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٠). كتاب البلدان، لبنان، بيروت، ص ٣٣٤
(٣) مؤنس، حسن (١٩٨٢). تاريخ المغرب وحضارته، لبنان، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ١/ ٢٧-٣٦. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٠). كتاب البلدان، لبنان، بيروت، ١/ ٣٦.

أما الطبيعة الجغرافية للإقليم، فإنها متنوعة، فهنالك السهل الساحلي الممتد من تاورغاء شرقًا إلى قابس غربا، وهوسهل من الطين الغريني، تتخلله بعض السباخ؛ مثل سبخه تاورغاء، وقد ساعد المناخ المعتدل وخصوبة التربة والكمية الكافية من مياه المطر على زراعة الأشجار والفواكه، مثل أشجار الزيتون والنخيل والعنب والتين واللوزيات وغيرها، فضلًا عن مختلف أنواع الحبوب والخضار، فقد قال الحموي والبكري: إن طرابلس «كثيرة الخيرات، ولها بساتين جليلة في شرقها، وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح »[(١)]. ويضيف إلى ذلك بقوله: «وأهلها تجار يسافرون برأ وبحرا وهم أحسن الناس معاملة »[(٢)]

أما منطقة الساحل، الممتدة من تاورغاء إلى قابس، منطقة سهلية تتخللها بعض الرمال والسباخ، وتتداخل مع الصحراء ومع الخلجان أحيانًا أخرى مثل خليج سرت، وخليج قابس، وتعتمد على الأمطار التي في فصل الشتاء، وتتمتع هذه المنطقة بخصوبة التربة، وتنوع الفواكه والأشجار ولاشك أن الزراعة في تلك المنطقة تصحبها تربية الأغنام والأبقار والإبل، إذ أن المنطقة اشتهرت بالصناعات الصوفية، أما المناطق الجبلية، فإن أشهرها الجبل الغربي في إقليم طرابلس الذي هوامتداد لسلسة جبال أطلس، ويعرف بجبل نفوسه واشتهر بالزارعة وتربية الأغنام.

وتشكل الصحراء السواد الأعظم من مساحة الإقليم، وهي صحراء رملية قاحلة لا تتوفر بها الزراعة سوي في بعض الواحات مثل فزان، وهي من واحات طرابلس الجنوبية، وتعتمد زراعتها على المياه الجوفية، وقد اشتهرت منطقة فزان بوفرة أشجار النخيل، ومن أشهر أحوازها مرزق وأباري - وهي في الوادي الغربي، وزويلة وما جاورها، ويشتغل أهل فزان إلى

(١) البكري، أبوعبيد الله الأندلسي (١٩٨٢). المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب، ٢/ ٦٥٤.

(٢) الحميري، محمد بن عبد المنعم (١٩٨٤). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط (٢)، لبنان، بيروت: مطبعة لبنان، ص ٣٨٩.

جانب الزراعة في مهنة التجارة، إذ أن فزان تعد مركزا تجاريا هاما، وذلك منذ أقدم العصور، فهي تربط بين طرابلس وبلاد السودان، وكان التجار يأتون من بلاد السودان عبر القوافل التجارية، وتحط رحالهم بفزان، ثم يواصلون السير إلى طرابلس، وإلي جانب ذلك فقد شهدت فزان تطورا حضاريا وثقافيا على مر التاريخ[١].

أما غدامس فهي أيضا واحة من واحات طرابلس، تقع في جنوبها الغربي وتوجد بها بعض العيون الطبيعية، وهي معمورة بالبناءات التي عرفت منذ عصور ما قبل التاريخ[٢]، وهي مدينة احتضنت الكثير من العلماء، واكتسبت صبغة حضارية وثقافية مثلها في ذلك مثل «تمبكتو» وغيرها من المدن الحضارية في جنوب الصحراء.

وتعد غدامس من المراكز التجارية الهامة في المنطقة إذ تعبر منها القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان، إلى طرابلس وبالعكس، ولعل النشاط التجاري هوالسمة الرئيسة لمدينة غدامس[٣]، مع اشتغال بعض السكان بالزراعة، سيما وأن المياه بها متوفرة من العيون الطبيعة.

وتشكل الأمطار في الإقليم إحدى الموارد المائية، موسمية تسقط في فصل الشتاء على المنطقة الساحلية، أكثر وفرة من المناطق الجنوبية، وفي موسم الغيث الغزير تعم السيول من الأودية فتكوّن بركًا عظامًا يقال: لها المواجل، وكانت تبنى بالحجارة[٤]، وكما اعتمد السكان على مياه الآبار للشرب والري، وهذه الآبار التي تكثر في مناطق عديدة من البلاد الساحلية

(١) ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي، ص ١١٥-١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٢- ١١٤.

(٣) يصف الحسن الوزان «سكان غدامس بأنهم أناس أغنياء لهم بساتين نخل وأموال؛ لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان»، انظر: الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر (ط٢)، لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص٤٦.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٠). كتاب البلدان، لبنان، بيروت، ص٣٤٧.

خاصة منها الغربية والجنوبية ومناطق الواحات، كانوا يستخرجون المياه من الآبار بواسطة دلويجره حيوان ليفرَّغ في دائرة مبنية من الحجارة تسمي جابية، ومنها تُسقَى المزرعة. كما استعملوا للري نظام الفقارات والخطارات فالفقرات، هي عبارة عن مجاري محفورة تتراوح أعماقها بين خمسة وستة أمتار، وربما تزيد عن ذلك، وقد شيدت عليها سقوف، وتمتد بمسافة ٢ كم؛ حيث تلتقي مع غيرها في القيعان دون حاجة إلى رفعها، وتنتشر مآخذها عند الوديان الصغيرة التي تمتد بين الحافة والعرق، أما الخطارات أوالشواديف فتستخدم حيث يكون عمق المياه قليلًا، وسرعان ما تنصب وتتراوح مساحة المزرعة التي ترويها الخطارة بين ٣٠٠ إلى ٥٠٠ متر مربع[١].

وهكذا نرى أن إقليم طرابلس متنوع في طبيعة الجغرافية، من السهول الساحلية، إلى المرتفعات الجبلية، ثم المناطق الصحراوية والبوادي والواحات، وهذا التنوع جعل العلاقة الاقتصادية تكاملية بين المدن والأرياف، وبين الأرياف والبادية الصحراوية، وعلاقة تبادلية في المنتوجات التجارية الصادرة والواردة، فلكل منطقة منتجها لتصدير واحتياجاتها من الواردات، فنشطت الحركة التجارية في إقليم طرابلس وازدهرت حتى أصبحت من المدن التجارية الكبرى في المغرب.

٢,٢ الزراعة والثروة الحيوانية والصناعية للإنتاج الزراعي والحيواني:

○ أولا: الإنتاج الزراعي:

يتميز الإنتاج الزراعي في إقليم طرابلس بتنوع أصنافه، وعلى الرغم من الظروف الإنتاجية غير الملائمة، ذلك لأن الفتن والاضطرابات التي شهدتها المنطقة في فترتي الحكم

(١) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية من ق ٦-١٠ هـ، ليبيا، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص٣٨٥.

الموحدي والحفصي، أدت إلى انحسار المساحات المزروعة وتراجعها، حتى أضحت مقتصرة على النواحي القريبة من المدن والمناطق الآمنة[١].

فلقد اشتهر لإقليم طرابلس بجودة غلاتها من الحبوب، ومنها القمح والشعير، اشتهر سهل سوفجين بإنتاج القمح، فكان يصيب فكان يصيب في بعض السنين للحبة مائة حبة[٢]. وكان يزرع الشعير في يفرن ونفوسة[٣].

من أنواع الحبوب الأخرى التي كانت تزرع، وأن كانت تقل عن سابقتها من حيث الجودة والقيمة الغذائية، منها الذرة تعرف باسم (سبول)، الدخن وهي من الحبوب التي لها علاقة بغذاء الحيوان، فأوراقه وسيقانه تغّد نمن الأغذية المسمنة للحيوانات، وكان إنتاجه محددا إلى حد ما[٤]، البشنة، وهي من أنواع الحبوب التي تزرع في طرابلس وما جاورها.

ويعد من الحبوب التي تعتمد عليها الطبقات الفقيرة في غذائها لرخص ثمنها، وكان إنتاجها في مناطق محددة منها تاجوره وجنزور وغيرها، ومن الحبوب التي كانت تزرع القاقولي، وهونوع من أنواع الذرة الصفراء، يزرع عادتا في المناطق الجنوبية، ويعّد من أهم المزروعات الصيفية لأهالي هذه المناطق[٥]. وحبوب الكتانية وحب العزيز وحب الرشاد، تعد من الحبوب ذات القيمة الغذائية العالية وتستخدم في علاج بعض الأمراض[٦].

---

(١) محمد حسن (٢٠٠٨). المدينة والبادية في العهد الحفصي، ج١، ص٤٣٣، وكذلك جبودة، مريم محمد عبدالله، التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، مصر: جامعة الزقازيق، ص٦٧.

(٢) البكري، المصدر السابق، ص٩، التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد(١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢٥٩.

(٣) الوزان، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٤) الطوير، محمد أمحمد(١٩٩١)، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراته، ص ٤٨.

(٥) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥).دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص ٥٨.

(٦) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥).دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص ٥٨.

النخيل:

تعّد من الأشجار المباركة، وتمتاز النخلة عن مثيلاتها من الأشجار بأن الأشجار بأن جميع أجزائها مفيد للإنسان، فثمر (التمر) يعّد غذاء مهما للإنسان منذ القدم لاسيما في الأرياف والصحاري، وكذلك عصير التمر (الدبس) هوالآخر يدخل في غذاء الإنسان، ونواة التمر (النوي) يستخدم علفا للمواشي، وسعفها يستعمل في صناعة الحصران والسلال، وجريدها يدخل في صناعة الأسرة والتي يكثر استعمالها في المناطق الريفية، وكذلك جذوع النخل يستعمل في المباني والقناطر على الأنهار الصغيرة.

اشتهرت العديد من المناطق بإنتاج أنواع مختلفة من التمور سواء كان ذلك في مناطق الجنوب أوالساحل، ومنها الواحات ودان[١] جنوب إقليم طرابلس، وصبرته[٢] وسرت[٣] واجدابيا واوجله، مصراته وزليتن وغيرها، وكانت هذه المناطق تمد باقي الإقليم بكميات وفيرة من البلح والتمور[٤]. وتنفرد طرابلس المدن المجاورة باستخراج شراب من جذع النخلة اشتهر به ويسمي (اللاقبي) يشبه في طعمه ثمر جوز الهند، ثم يميل بعد ذلك إلى الحموضة، ويبدأ بعدها يخمر، ويصبح نوعا من المسكرات[٥].

وإلى جانب شجرة النخيل تنشر بالبلاد أشجار الزيتون التي تكثر في سفوح الجبال مثل

(١) أشار اليعقوبي إلى كثرة التمر في ودان لدرجة إن أهالي المدينة كان أكثر عيشهم من التمر. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (١٩٦٠). كتاب البلدان، لبنان، بيروت، البكري، المغرب، ص١١.

(٢) تذكر (صبره) المقدسي، أبوعبد الله شمس الدين بن أبي بكر الشامي (١٩٩١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط١)، مصر، القاهرة. ص ٣٢٤.

(٣) البكري، المغرب، ص٦.

(٤) مجهول، الاستبصار، ص ١١١، التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢١٤، كذلك قياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبد الله الحموي (١٩٦٠م). معجم البلدان، مطبعة السعادة ج١، مادة أجدابية، ص١٣١.

(٥) بروشين (١٩٨٨). تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، ليبيا، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين، ص٥٩.

جبل غريان ومسلاته وترهونة، وقري الساحل مثل مصراته وزليطن والخمس وقصر الأخيار والزاوية الغربية وغيرها.

هذه الشجرة التي لها أهمية اقتصادية حيث يستخرج منها زيت الزيتون الذي يستعمله السكان ويصدرون الفائض منه إلى الدول المجاورة سواء منها البحرية أوالبرية، وقد وصف الرحالة العرب الزيت الليبي المستخرج من حبوب الزيتون بأنه من أنقى الزيوت وأحسنها مذاقًا(١).

وقد امتازت بعض المناطق الليبية بوجود الزعفران فيها فقد ذكر الرحالة حسن الوزان في رحلته إلى المنطقة أن جبال غريان تشتهر بنوع من الزعفران الممتاز ويصفه بأنه أجود بكثير من الزعفران المستورد من أي جهة أخرى في العالم وقارن سعره مع سعر زعفران تونس واليونان فذكر أن ثمنه في القاهرة يساوي خمسه عشر دينارًا أشرفية(٢) للرطل، كما ذكر أن الدخل السنوي منه حوالي ستين ألف (دوبل) ويستخرج منه ثلاثون قنطارًا(٣).

تكثر في مدينة طرابلس والمناطق المجاورة لها أنواع من الفواكه منها أشجار البرتقال التي كانت من أشهر أنواع الحمضيات المعروفة في طرابلس وما تبع بها، حيث كثرت زراعته، وكان من أغلي أنواع منها السكري الذي كان الانتاج منه غزيرا، لذلك تصدر كميات منه إلى الخارج(٤).

وبالأسباب الطبيعة المرتبطة بنوعية البرتقال، فإنه لا تحمل التخزين مدة طويلة، إذ

(١) ابن سعيد، المغربي (١٩٧٠). أبوالحسن علي بن موسي بن محمد، كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، لبنان، بيروت، ص١٤٥-١٤٦ كذلك الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا (ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) نسبة إلى الأشرف برسباي الذي حكم مصر من عام ٨٢٤ إلى ٨٤١هـ /١٤٣٨-١٤٢١م.

(٣) الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا (ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي ج٢، ص١٠٦.

(٤) الطوير، محمد أمحمد (١٩٩١)، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراته، ص٣٧.

يتعرض للتلف مما يسبب خسارة كبيرة[١] ومع هذا فقد كان يستفاد من قشوره في استخراج زيت خاص يدخل في بعض الصناعات[٢]، كما إن المنطقة كانت صالحة لزراعة أشجار العنب الذي كان يكثر في طرابلس وما حولها من المدن، إلا أن الأهالي لم يستغلوا الأراضي جميعها لزراعة العنب بما يحقق لهم ثروة كبيرة[٣]، ولهذا كان الإنتاج يستهلك محليا ولا يصدر منه إلى الخارج، كما وشهدت طرابلس وما تبع بها من المناطق زراعة أنواع من الفواكه منها التفاح والجوز واللوز والسفرجل[٤] وغيرها.

كما عرفت طرابلس وما جاورها بزراعة محاصيل متنوعة البقوليات والخضروات والتي يحتاج اليها السكان بشكل يومي منها البطاطا[٥] والسلق والقرع والبطيخ والبصل والحمص والسمسم[٦] وغيرها.

○ ثانيا: الإنتاج الحيواني (تربية الماشية):

كان للتباين والاختلاف في بيئتها الجغرافية دور واضح في توزيع الثروة الحيوانية، لذلك عرفت طرابلس وما تبع بها في المدة التي نحن بصددها نوعان من الرعي، الرعي المختلط بالمناطق الزراعية والتي تركز في الشمال، والرعي شبه الصحراوي، والذي يرتكز في جنوب طرابلس.

---

(١) ناجي، محمود (١٩٧٠). تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: عبد السلام أدهم ومحمد الاسطي، ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص٤٠.

(٢) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص ٤٩.

(٣) ناجي محمود: ١٩٧٠تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص٣٧.

(٤) المقدسي، أبوعبد الله شمس الدين بن أبي بكر الشامي (١٩٩١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط١)، مصر، القاهرة، ص ٢٢٤، الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٨٩.

(٥) الطوير، محمد أمحمد (١٩٩١)، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراته، ص٤١.

(٦) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص ٥٢-٥٣.

نجد في الإقليم أنواعًا مختلفة من الحيوانات التي ارتبط الكثير منها بحياة المزارعين من خلال استعمالها في حراثة الأرض أوفي نقل المحاصيل الزراعية أوما تنتجه من لحوم وبيض وحليب وجلود وصوف وغيرها.

من الحيوانات التي كانت بكثره في مدينة طرابلس وما جاورها الأبقار والماعز والأغنام والخيول والبغال والحمير والإبل، حتى أصبح لها سوق خاص تباع فيه عند هوارة ببطحائها[١]. كما اشتهرت منطقة جنوب طرابلس بتربية الخيول العربية[٢]، والتي كانت تصدر إلى إسبانيا لجودتها[٣]. كما كانت كميات من الأبقار تصدر إلى المناطق المجاورة[٤].

ومما كان يربى:

الدواجن التي كانت في كل بيت من البيوت، إذ يستفاد من لحومها وبيضها وتتم تربيتها بالطرق التقليدية، لتلبية الاستهلاك المحلي[٥].

ولابد من ذكر الثروة السمكية إذ كان لموقع طرابلس المشرف على لبحر الغني بها، إلا أن عمليات الصيد كانت تقليدية، كما كانت الكميات التي يتم اصطيادها قليلة ولا تسد إلا الحاجة المحلية[٦].

(١) الوزان، المصدر السابق، ص٢٥٩.

(٢) حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ج١، ص٤٥٧، كذلك جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص ٧٢.

(٣) جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق، ص٧٢.

(٤) كورو، فرانشسكو، ليبيا أثناء الحكم العثماني، ترجمة خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني (طرابلس، د. ت)، ص ١١٤.

(٥) ناجي محمود: ١٩٧٠ تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص ٤٦.

(٦) حياوي، فراس سليم (٢٠١٠). طرابلس الغرب في عهد بني خزرون دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ص٨٧.

وإجمالًا؛ فإن تربية الحيوانات لها فائدة كبيرة من عدة أوجه في المضمار التجاري، فهي علاوة على ما يستفاد منها في المعاش، والتغذية كاللحوم والألبان ومشتقاتها، تمد الإنسان بالعديد من المواد الأولية الصالحة للصناعة كالصوف، والوبر والجلد، بالإضافة وهذا الأهم أن هذه الحيوانات تساعد صاحبها على حمل الأثقال ونقل البضائع على طرقات التجارة البرية.

قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل: الآية ٥-٧].

○ ثالثا: الإنتاج الصناعي:

للنشاط الصناعي دور بارز في ازدهار الحياة الاقتصادية بشكل عام، والنشاط التجاري بشكل خاص، ونعني بالصناعة هنا تصنع الإنتاج الزراعي وما يتصل به بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني (الجلود والصوف) واستنباط المعادن وتصنعها والإفادة من ذلك كله في سد احتياجات المواطنين في مجال البيع والشراء (التجارة الداخلية) والاستفادة من فائض تلك الصناعات في تصديرها إلى خارج البلاد (التجارة الخارجية)[١].

ويرى ابن خلدون أن رسوخ الصنائع في الأمصار، إنما هوبرسوخ الحضارة وطول أمدها، ويستشهد على ذلك بحال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدية من بعدهم وما استكمل لها بعد ذلك من الصنائع في سائر الأحوال[٢].

فلقد كانت الصناعة في ولاية (إقليم) طرابلس تقليدية ليس لها تأثير فاعل في الحياة

---

(١) مسعد، سامية مصطفي (٢٠٠٣). الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة أيام المرابطين والموحدين، مصر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ص ١١٩.

(٢) المقدمة، مطابع الشعب (د، ت)، ص ٣٦٢.

الاقتصادية، وكانت بسيطة جدا ولا تحقق دخلا كبيرا للعاملين ضمن صفوفها، وكانت الزراعة والرعي والتجارة أهم القطاعات الاقتصادية التي تحقق احترامًا وموردًا ماليًّا كافيًا للعاملين بها.

وكان هناك حرفيون يقومون بتلك الصناعات لسد الحاجة المحلية، وانتظم كهؤلاء في طوائف حرفية شبيهة بالنقابات في وقتنا الحاضر؛ إذ كان لكل حرفه أوصناعة تنظيم خاص وتقاليد متعارف عليها لا يمكن تجاوزها أوعدم الالتزام بها، وكان لكل حرفة (أمين) ينتخب من قبل إفراد الحرفة الواحدة أويتم تعينه ليقوم بتنظيم إعمال الحرفة مع الحرف الأخرى من جهة والحكومة من جهة أخرى، وفي أحيان أخرى كانت هذه الطوائف أوالتنظيمات الحرفية ترتبط فيما بينها بروابط دينية صوفية، تحقق لأعضائها الحماية وضمان الحقوق[1]، ومن أهم طوائف الحرفين التي عرفتها المدينة خلال هذه الحقبة الحراير (باعة الحرير) والحرارة (باعة الأقمشة والمنسوجات) وأسطوات البناء والسراجة (صانعوالسراج)[2] وغيرها، وعلى العموم تتميز الصناعة في هذه الفترة بما يأتي:

١. كانت تقليدية من جيل إلى جيل دون أي تطور أوإضافة.
٢. أنها يدوية، معتمد على جهد الإنسان.
٣. قيامها على تصنيع المواد الأولية المتوفرة في المدينة مثل الصوف والجلود وسعف النخيل وغيرها.
٤. قامت أساسا لسد الحاجة المحلية وتوفير الاحتياجات الأساسية من ملبس ومأكل وأدوات فلاحة وغيرها.

(١) جحيدر، عمار، إبعاد نظرية لتاريخ ليبيا الاجتماعي، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، العداد، (طرابلس، ١٩٨٤)، ص٤٧.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٧ ـ ٤٨.

٥. اتسمت بالفردية، فالصناعة يقوم بها فرد واحد أوعدة أفراد من عائلة تمتهن هذه الحرفة أوالصناعة[١].

- أهم الصناعات في المدينة وما حولها ما يأتي:

١- صناعة النسيج:

في هذا الصدد يقول ابن خلدون صناعة الحياكة والخياطة «هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرفة فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً في الطول وإلحامًا في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد تفضل بالمقراض قطعًا مناسبة الاعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا أوتنبيتا أوتفسحا على حسب نوع الصناعة وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدويستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالًا، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها»[٢].

تعد صناعة النسيج من أبرز الصناعات التقليدية في هذه، والتي تعتمد على الطريقة البدائية باستعمال يد الإنسان من دون استعمال الآلات الحديثة، وكانت للمرأة دور مهم إلى جانب الرجل بهذه الحرفة ومنذ مدة طويلة اعتمدت على أداة خاصة عرفت بالسدة[٣]، التي استمر استخدامها حتى في الأزمان اللاحقة، وكان لكل نوع من المنسوجات صناع مهرة

(١) البرباري، عقيل محمد (١٩٨٦). دراسات في تاريخ ليبيا، مالطا، ص ٣٨.
(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦). المقدمة. مصر، القاهرة، ص ٣٦٥.
(٣) السدة: آلة تتألف من قطعتين خشبيتين أفقيتين متوازنتين ترتكزان من كل جنب على قطعة من الحجر والخشب، وبين هاتين القطعتين تنصب المسدة التي تركب عليه اللحمة حسب الطلب = بوبرنوسة، سعاد أحمد (٢٠٠٦). التاريخ النسيج في الليبي، www.tawalt.com

لهم سوق خاص بهم[١]، ومن تلك المنسوجات:

أ. الأنسجة الصوفية:

تحتل الأنسجة الصوفية المكانة الأولى من مجموع صناعة النسيج لارتباطها بالفرد، فهي مصدر لملبسه والفراش، واشتهرت مدينة طرابلس وزجنزور وجبل نفوسة بمنسوجاتها الصوفية وكان يوجد بطرابلس وحدها ١٥٠ مصنعا للنسيج[٢]، وأهم مصنوعات طرابلس الأردية الرجالية المعروفة باسم الحولي وهوالرداء التقليدي للأهالي ويكون رقيقًا أوسميكًا حسب الخيط المستعمل في نسجه[٣]، ويأتي بعد الحولي في الأهمية صناعة البطانية[٤]، فضلًا عن أصناف أخرى من المصنوعات والتي يدخل الصوف في إنتاجها، ويستعمل من قبل الأهالي ومنها: الحمل[٥]، الكيم[٦]، ومقتنيات شعبية أخرى منها: المخلاة[٧]، الخرج[٨]، الغراة[٩]، الوسادة[١٠].

(١) ابن موسي، تيسير (١٩٨٨). المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، ليبيا، طرابلس: الدار العربية للكتاب، ص ١٥٠.

(٢) مارمول كريخال، أفريقيا، تعريب محمد حجي وآخرون، ج٣، دار المعرفة، الرباط، ص ١٢١ -١٢٧.

(٣) وتبلغ أبعاده أربعة أمتار ونصفًا طولًا، ومترًا ونصف المتر عرضًا، ويصل وزنه إلى كيلوين غرام. وكذلك ناجي محمود (١٩٧٠) تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص٥٠، وكذلك الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص٩٤.

(٤) يصل طولها إلى أربعة أمتار ونصف المتر وعرضها أكثر من متر. ناجي محمود: ١٩٧٠تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية، ص٥٠، وكذلك الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص٩٤.

(٥) وهوالفرش الكبير من أربع قطع شرائطية الشكل بواسطة نول أفقي، ثم يقرن بعضها مع بعض، وتكون ألوانًا مختلفة.

(٦) وهومن الفرش الصغيرة الجميلة، والتي تأخذ شكلًا زخرفًّيا كالجمل والغزال، وتصنع من ألوان مختلفة أبرزها الأحمر.

(٧) وتستعمل في نقل الأمتعة والحاجات.

(٨) وهوكيس صوفي له جيبان يوضع على ظهر الدواب ويستعمل لنقل الأمتعة في السفر.

(٩) وهوكيس يستعمل لتعبئة الحبوب وخزنها.

(١٠) والتي تعد من محتويات الخيمة الأساسية في البادية= شلابي، سالم سالم، (١٩٩٧). بعض الصناعات في ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد٢، ليبيا، طرابلس، ص ٦٣-٦٤.

ب. الأنسجة القطنية:

تصنع من خيوط الألبسة النسائية والرجالية بألوانها المختلفة التي كان من أبرزها الأزرق والأحمر التي تطعم بخيوط بيضاء في اغلب الأوقات، وكان لكل منطقة لونها المميز والمحبب إلى الأهالي، واغلب الإنتاج يستخدم في المدينة وتوابعها باستثناء نسبة قليلة يصدر إلى المناطق الأخرى[١].

ج. الأنسجة الحريرية:

اشتهرت طرابلس بإنتاج الأردية الحريرية المعروفة بجودتها والتي كان لها انتشار واسع بالمدينة وتوابعها، حيث تصنع الأردية الحريرية للنساء، واحتكر اليهود هذه الحرفة بشكل خاص بالاعتماد على الأنوال اليدوية المصنوعة من الخشب والتي كانت تدار باليد، وكانت للمنسوجات الحريرية سوق خاص بها يعرف بسوق الحرير حيث تباع الألبسة الحريرية ومناديل الرأس الخاصة بالنساء، ويستخدم أغلب الإنتاج في الداخل في حين يصدر الزائد إلى مصر وتونس[٢].

د. أنسجة حب الرمان:

يصنع من هذه الأنسجة أردية تتميز بذوق رفيع، تكون مزركشة بألوان مختلفة، تدل على مهارة صناعها، ويستعمل في صنع هذه الأردية خيوط القطن أوالخيوط الحريرية، وتعرف أردية حب الرمان بالمثقل، ويكثر استعمالها في الجهات الشرقية من المدينة وغيرها[٣].

٢- الصناعة الجلدية وباعة الجلود:

(١) ويبلغ طول رداء القطن ثلاث أمتار تقريبًا، وبعرض متر ونصف المتر، وكذلك حامد، سعيد علي (١٩٩٣)، من صناعات التقليدية (النسيج) مجلة تراث الشعب العدادان ٣-٤، ليبيا، طرابلس، ص٦٣.

(٢) وكان طول حولي الحرير ثلاثة أمتار ونصف المتر تقريبًا، وعرضه متر ونصف المتر، ويباع بالوزن. الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص٩٧.

(٣) حامد، سعيد على (١٩٩٠). النقش والصباغة عبر العصور (٤)، ليبيا، طرابلس: مجلة تراث الشعب، ص ٩٢.

كان تصنيع المواد الجلدية وإنتاجها من الصناعات الرائجة في المنطقة ومنها طرابلس، وقد اشتهرت غدامس بالجلد اللين واللماع على مستوي المغرب الكبير[١]، وتميزت بدقة صناعتها، وكانت تضاهي منتجات المناطق الأخرى، وأهم تلك المصنوعات[٢].

منها: الأحذية الجلدية: مثل بلغة منقوشة فضة أوحرير، التليك، السباط، الرحية، المداس، والآلآت الموسيقية مثل: الدربوكة، البندير، النوبة، طبل مرزق، طبل القصعة، النقرة، الباز، وأدوات ذات الاستعمال المتعدد: القربة، الشكوة، الدلو، السوط، والوسائد الجلدية، ومقتنيات الأسلحة: السبتة والغلاف، غلاف للسيف مع حمالة توضع على كتف المحارب، حزام به غلاف لغدارتين مع حقيبة للدخيرة، والحقائب الجلدية، وصناعة السروج. ومن أسواق الصناعات الجلدية، سوق فم الباب[٣]، سوق السراجة: يقع داخل أسوار المدينة القديمة تصنع فيه سروج الخيل ويقع في قاليرية ماريوني (رواق الحرية الآن)، سوق النعال: وهوسوق لصناعة سبابيط النساء ويقع هذا السوق بزقاق متفرع من طريق الحلقة وتعرف بزنقة النساء، ويصنع في هذا السوق النعال والأحذية الرجالية والنسائية، سوق الحزامات: يقع في قاليرية ماريوني بباب الحرية بمبنى له أربعة مداخل بني في العهد الإيطالي وهوسوق متخصص في صناعة السروج والبلغات وحزامات وتلاليك الفضة[٤].

٣- صناعة الفضة والذهب:

كانت صناعة الفضة من الصناعات المشهورة في المراكز الرئيسية من ليبيا مثل طرابلس

(١) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٦٩، الإدريس، نزهة المشتاق، ص ٣١١.

(٢) حياوي، فراس سليم (٢٠١٠). طرابلس الغرب في عهد بني خزرون دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، مجلة التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ص٩٠.

(٣) يقع هذا السوق بالقرب من باب المنشية داخل سور المدينة وتباع به الأحذية العربية التقليدية، وان هذا السوق كان يملكه (شيخ البلد) حاكم المدينة، وقد تم إزالة هذا السوق وحل محله سوق المشير الذي أنشأه المشير (رجب باشا) خلال العهد العثماني (١٨٣٥-١٩١١م).

(٤) بعيص، كريمة بلعيد، واقع الصناعات الجلدية بليبيا، مدونة الميراث http://mirathlibya. blogspot. com/٢٠١٠/١٠/blog-.

وجبل نفوسة وغدامس وكذلك ومصراته وفي هذه المدن كان يتم انتاج الحلي التقليدية التي يتزين بها أهالي البلاد والمتمثلة في الأساور والأقراط والقلائد والخواتم والحجابات والتمائم والسروج المستعملة للخيول، ومن أنواع الحلي أيضًا الدبالج وهي أساور عريضة الشكل بها نقوش وتكون من الذهب الخالص والونايس والمناقش والتكليلة، وهي أقراط من الذهب الخالص على شكل حلقات مشكلة بأحجار من الجواهر، والحدايد وهي أساور رقيقة السمك تلبسها المرأة في معصمها، والخناق وهوعقد من الذهب يجمع عددًا من العملات الذهبية القديمة ويكون على شكل زخرفي جميل[1]، ويرجع سبب تنوّع واختلاف أشكال الحلي إلى تميّز كل منطقة بطابع مميز ومختلف عن المنطقة الأخرى.

وكان الطلب على اقتناء هذه الصناعة كبير؛ لأن الأهالي يستعملونها كتمائم للحماية والعلاج. وكان أمهر الصناع في هذه المراكز كلها صناع طرابلس وكلهم كانوا من اليهود ومن تدرب على أيديهم. وفي جادوكانت هذه الصناعة عريقة وخصوصا في مدينة شروس واشتهر بهذه الصناعة يهود جادوحيث كانوا يصيغون الفضة ويستخرجون منها حلي الزينة ويصدرون إنتاجهم الى الخارج، ثم انتقلت هذه الجالية اليهودية إلى طرابلس وأسسوا سوقًا لصياغة الفضة هناك، ومنهم عائلة الشروسي المعروفة التي اشتهرت فيما بعد في مدينة طرابلس[2].

إن الإنتاج السنوي لهذه الصناعة متفاوت حسب أحوال التجارة الخارجية وأحوال الحصاد في الريف والبادية. وكان الإقبال كبيرًا على شراء الفضة لاستخدامها في الأفراح، وكانت سبائك الفضة تستورد من أفريقيا وأحيانا يتم الحصول عليها من إذابة النقود الفضية[3]، تعتبر فزان من المناطق المنتجة لمعدن الحديد الجيد[4].

(١) أبوالقاسم، عبد الله محمد (٢٠٠١). الحرف والأصناف في طرابلس الغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ص٣٩-٤٠.

(٢) بوبرنوسة، سعاد أحمد ٢٠٠٦)). تاريخ صناعة الحلي في الليبي، www.tawalt.com

(٣) حامد، سعيد على (١٩٩٠). النقش والصباغة عبر العصور(٤)، ليبيا، طرابلس: مجلة تراث الشعب، ص٩٢-٩٣.

(٤) برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ج١، ص ٤٢٢، ٤٤٣.

بالإضافة الى ذلك هناك طرق الحديد والنحاس، فكان الحدادون الليبيون يطرقون الحديد والنحاس فصنعوا من الحديد المنجل والفأس والمسحة والمنقار والشاقور كما صنعوا منه السيوف والخناجر ورصعوها بالنحاس لتعطي منظرًا جميلًا وصنعوا مختلف أنواع السكاكين والأقفال وطرقوا النحاس وتفننوا في هذه الحرفة فصنعوا منه الأواني المنزلية مثل القدور والقصاع وأواني الشاي والأقفال النحاسية وكان الإقبال عليها كبيرًا لاسيما من قبل الميسورين والمارين بطرابلس[1].

وتعتبر مدينة طرابلس من أشهر الأماكن في صياغة الفضة ويوجد بها سوق الصياغة أوالصاغة وهوالمكان الذي يقوم فيه الصائغ بإنتاج وبيع التشكيلات المعدنية الثمينة مختلفة الأغراض، ويقع هذا السوق بداخل اسوار المدينة القديمة - ويمتد من سوق العطارة باتجاه الناحية الشمالية إلى أن يتصل بجامع الناقة، ويحيط بجامع أحمد باشا، ويضم مجموعة كبيرة من الدكاكين والورش الصغيرة التي شيدت في أوقات مختلفة[2].

٤- صناعة الفخار (الخزف):

لم تكن صناعة الفخار من الصناعات المتقدمة، إلا أنها كانت تسد حاجة الأهالي من الأواني المنزلية مثل (إبريق ماء الشرب) والحلاّب (إناء حفظ السمن أوالحليب) والكرازية (إناء الزيت النباتي) والإبريق (إناء الوضوء)، وذلك لتوفر كمية من تراب (الطفّل) المستعمل في صناعة الأواني[3]. حتى إن معظم بيوت الأهالي في المنطقة كانت تحتوي على

(١) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥). دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص ١٠٣.

(٢) كان هذا السوق قديمًا يثير إعجاب الرحالة الأجانب بسبب أنشطته وثرائه وقد زاره الرحالة الإنجليزي (إدوارد ري والرحلتان الأمريكيتان د. لوينس سميث - هـ. لويز بريستون)، ويأتي إليه الناس من جميع أنحاء ليبيا لشراء مستلزمات الأفراح حيث يزداد فيه الازدحام في مناسبات الزواج التي تكثر عادة في موسم الصيف= جبران، مفيدة محمد (٢٠١٠). أسواق طرابلس القديمة، دراسة تاريخية، ليبيا، طرابلس: منشورات مصلحة الآثار، ص ٣٧-٤٠.

(٣) بروشين، ن. أ (١٩٨٨). تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص٣٩.

أفران الفخار ومكان تزين الأواني بنقوش جميلة[١]. كما كانوا يقوموا بقصطع الحجارة وإعدادها للاستعمال في البناء، ونعت أيضا من الصخور الرحي التي تستعمل لطحن الحبوب والزيتون، كما قامت بالبلاد صناعة الكلس (الجير) ومواد المونة للبناء حيث ذكر حسن الوزان الرحالة المغربي أن مدينة زوارة كانت تصنع الكلس ومواد البناء وتبيعه في بلاد طرابلس[٢].

إضافة إلى ذلك هناك صناعة وصيانة الأثاث المنزلي والأدوات المنزلية والزراعية أوضح المياه، إلى جانب بعض مستلزمات المراكب البحرية مثل الحبال والتجهيزات الضرورة لها[٣].

٥- صناعة الملح:

اشتهرت طرابلس بطول ساحلها وغناه بالملح، وكانت (الملاحة) في طرابلس من المناطق المهمة لإنتاج الملح الذي يصدر إلى مناطق كثيرة وبكميات كبيرة، وكذلك كان يصدر إلى دواخل القارة الأفريقية إذ يعّد من البضائع المهمة المصدرة وأغلاها ثمنًا، لأنه من المواد النادرة في تلك المناطق، فهويستعمل للإنسان والحيوان على حدة سواء[٤].

وصف الرحالة التجاني طريقة استخراجه العجيبة من سبخة قصر صالح[٥] وذكر أن الناس هناك إذا ما رفعوا الملح من وجه الأرض وصلوا إلى التراب ثم يحتفرون ثانية فيجدون طبقة ملحية أخرى، وهكذا إلى سبعة أطباق، كما ذكر أيضا أن أهل هذه البلاد يجهدون

---

(١) محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر، ص٢٠٤.

(٢) الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا (ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج ٢، ص ٩٦.

(٣) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٤١٣.

(٤) لعظم، صادق مؤيد (١٩٩٨). رحلة في الصحراء الكبرى، ترجمة: عبد الكريم أبوشويرب، ليبيا، طرابلس: منشورات مركز جهاد اللبيبين، ص١٠٥ -١٠٦.

(٥) ويعرف الآن بأبي كماش، والذي يبعد بنحو٤٠كم إلى الغرب من زوارة.

أنفسهم في استخراجه لان النصارى يتغالون في شرائه منهم[١]، إضافة إلى ذلك هناك الشب الذي كان يستخرج من مدينة سرت ويصدر منها إلى الخارج[٢]. كما يوجد شرقي مدينة سرت مكان يسمي بمقطع الكبريت، الذي يباع في أسواق طرابلس ومصر[٣].

هذه أهم الصناعات التي كانت سائدة خلال فترة الدراسة والتي استطعنا استفتاءها من مختلف المصادر والمراجع.

○ التجارة:

تمتعت طرابلس بموقع جغرافي مهم جعل تتجه اتجهت إليها حيث شكلت الدعامة الأولى لاقتصادها، فقد كانت لها تجارة بحرية مع المدن الايطالية ومدن حوض البحر المتوسط الأخرى، وذلك لما تملكه من ميناء لاستقبال القطع البحرية المتنوعة فضلًا عن تجارتها البرية، إذ كانت تستقبل البضائع الأوربية عن طريق البحر والسلع الأفريقية عن طريق البر، فكانت بذلك سوقًا قويا رابحة الحركة، مما أضاف إلى المدينة الكثير من الكسب المادي، وانتعشت خزينة الإمارة من عائدات الضرائب والمكوس التي تحصل عليها من القوافل والسفن التي تحط بميناء طرابلس، ولعل ما يوضح نشاط موانئ الإقليم ما ذكره ابن حوقل عنه بقوله: «وجوه أموالها جَمه، وبها التجار وكثرة الغرباء في كل وقت لا ينقطع، طلابا لما فيها مـن التجارة وعابرين عليها مغربين ومشرقين»[٤]، في حين ينقل لنا التجاني عن الميناء قائـلًا: »... وبخارج باب البحر منها، منظر من أنزه المناظر مشرف على الساحل،

(١) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢٠٦.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٩، وكذلك، البكري، أبوعبيد الله الأندلسي. المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب.، ص٥، الإدريسي، محمد بن محمد عبد الله (١٩٩٤). نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج١، مكتبة الثقافة الدنية، ص ٣١٧.

(٣) العياشي، ماء الموائد ج١، ص١٠٣-١٠٤.

(٤) أبوالقاسم محمد بن على النصيبي (ت٣٦٨هـ)، صورة الأرض، بيروت، د، ت، ص٦٩.

حيث مرسى المدينة، وهومرسى حسّن متسع تَقُربُ المراكب فيه من البر ومصطف هناك اصطفاف الجياد في أواريها»[١]، اشتهرت طرابلس بتصدير بعض السلع والتي من بينها الصوف والزيت والقمح وريش النعام والزيت الخاص بالصابون والجلد والحبال والشمع[٢]، وشجعت الاتفاقيات والمعاهدات على تطور التجارة فيها، فهذه البندقية قد تولت شراء الملح بامتياز خاص لها دون غيرها بموجب معاهدات خاصة، والملح مادة يحتاجون إليها لأغراض متنوعة، وما يوضح مدى أهمية التجارة البحرية في المدينة قول التجاني: «إن اعتماد المدينة في تموينها على ما يجلب إليها من البحر»[٣]، ومع هذا قد لا ينطبق هذا القول بالكامل على طرابلس وتوابعها وذلك لوجـود أراضي خصبة كثيرة الخضرة، ومن ثم يوفر لأهلها ما يحتاجونه من متطلبات حياتهم اليومية المعيشية وكثيرًا ما كان يصدر الفائض إلى الخارج وعليه يمكن اعتبار ما ذكره التجاني في سنوات القحط والكوارث الطبيعية مثل سنوات انحباس المطر وتفشي الأوبئة وغيرها، وحينئذ فقط يتم استيراد التموين من الخارج.

١. الطرق البرية (حركة القوافل التجارية):

نشطت حركة القوافل التجارية عبر شبكة من الطرق الداخلية التي تتصل بعضها بمناطق السودان جنوبا، وقد شهدت هذه الطرق نموا واسعا خلال الحكم الموحدي والحفصي. ونذكر من هذه الطرق[٤].

أ. طريق نفوسه - زويلة: هويبدأ من جادو-كانت جادوعند كثير من المؤرخين هي

(١) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢٤٦.

(٢) روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة، ص ١٣٢.

(٣) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص٢٦٣.

(٤) حركات، ابراهيم (١٩٨٢). دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية (١)، ص ٢٩.

القاعدة السياسية والإدارية لجبل نفوسة، كما كانت بحسب قول «أبو عبيد البكري» (مدينة عظيمة وتحتوى على أسواق وجالية كبيرة من اليهود)[١]، ويضيف إلى هذه المعلومات بأن القوافل التي تنطلق من طرابلس في اتجاه زويلة وفزان تمر عبر مدينة جادوا التي كان سكانها يتكلمون إلى جانب اللغة العربية والبربرية اللغة الكانامية). وهذا راجع في الأصل إلى وجود جماعات سودانية من كانم استقرت في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بمدينة اجتاون الواقعة أسفل دادوفي طريق القوافل[٢].

ب. طريق فزان الممتد إلى بلما وكانم بتشاد: يعد إقليم فزان من أقاليم الصحراء الليبية وقد ازدهرت تجارته بما يتميز به من واحات، ويذكر الرحالة أمثال التجاني والعبدرى بالإضافة إلى ابن خلدون بأن أقاليم فزان يرتبط مع الصحراء الكبرى إلى السودان بشبكة من الطرق على غاية من الأهمية بحيث سهلت على القوافل التجارية عملية الاتصال والتبادل التجاري، والربط بين صحراوات المغرب وليبيا ومصر وبلاد السودان الشرقي والأوسط والغربي[٣].

وتبرز على رأس قائمة الواحات المهمة في صحراء فزان واحة زويلة ومرزق وودان، وأوجلة، والكفرة، وهون، والميزة التي تميزت بها هذا الواحات المنتشرة عبر الصحراء الكبرى - كما ذكر «ابن خلدون» (أن كل واحد من هذه الواحات وطن منفرد يشمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار)[٤].

(١) فخار، إبراهيم: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص٥٥.

(٢) فخار، إبراهيم: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ٥٧.

(٣) فخار، إبراهيم: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٥٧-٥٨.

(٤) الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء - من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر-الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م. ص٢٢٩.

وعند تتبعنا للتطور الزمني للأحداث التاريخية التي مرت بها مدن الواحات الليبية، نلاحظ أن القوافل التجارية في علاقاتها بين الشمال والسودان عبر الصحراء الكبرى كانت على مر العصور تتأثر بما يطرأ من تغيير حيوي على هذه المدن والمراكز التجارية المهمة، فالعداوات المستحكمة بين قبائل وإمبراطور سوكتومثلا جعلت تجارة القوافل وإن لم نقل تتوقف وتتعطل، تلاقي صعوبات في العلاقات التجارية بين طرابلس وبورنو، وكذا تاريخ القوافل التجارية بين المغرب والشرق كان يتطور أويتدهور بحسب العلاقات السياسية بين دول العالم الإسلامي في العصر الوسيط. وهذا منذ فترة العبيدين إلى ظهور دولة المماليك[١].

ج. طريق زويلة– سبها – ودان: تأتي مدينة زويلة في مقدمة المدن الصحراوية التي عرفت ازدهارا في صحراء ليبيا العصر الوسيط، فمنذ القرن الرابع إلى السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي منه اشتهرت زويلة بقبيلة هوّارة التي أسست دولة بني الخطاب والتي يسميها «ابن خلدون» «زويلة بن الخطاب» وأحيانا يقول «ملوك زويلة». واشتهرت بتجارة العبيد القادمين من كوار كانم، كما كانت محط رحال جميع القوافل التي تقصدها من طرابلس وجادوإلى القيروان أومن أجدابية وأوجله ومرزق ودار فور وسنار غرب النيل الأزرق[٢].

ولعله يرجع تخصص زويلة بتجارة العبيد والعاج إلى أن تجارة العبيد بالنسبة للقوافل التي تقصدها تمثل التجارة الأكثر رواجا في مصر والقاهرة وطرابلس وبالتالي فهي الأوفر ربحًا.

د. طرابلس غدامس: وهويسير بمحاذاة الحمادة الحمراء، وهوأكثر اهمية من خط طرابلس مزدة ومرزق وزويلة ثم كانم، أما الطريق الذي يربط طرابلس بتيبوفكووار عبر مرزق وقطرون وتيجرى يأتي في الدرجة الثانية في الأهمية بالنسبة لتجارة القوافل في

(١) فخار، المرجع السابق، ص٥٨.
(٢) الدالي، المرجع السابق، ص٢٩٧.

العصر الوسيط. لهذا كانت زويلة بمثابة محطة لتجارة القوافل أكثر منها مركزا حيويا اقتصاديا[١].

وقد اشتهرت غدامس بصناعة الجلود وتصديرها، وفي هذا قال موسى بن أحمد السعدي «بأنها بلد بالمغرب، ضاربة في بلاد السودان منها الجلود الغدامسية، وهي مدينة لطيفة في الصحراء على مسافة سبعة أيام من جبل نفوسة ينسب إليها الجلد الغدامسي..»[٢].

هـ- طريق طرابلس إلى الجغبوب، وسيوه والفرافرة والأقصر بصحراء مصر. ويتصل بهذا الطريق عدة طرق أخرى آتية من مراكز العمران الشمالية الساحلية. مثل سرت وبنغازي ودرنة والقصر الجديد[٣]. ولقد كانت هذه القوافل تحمل معها إلى جانب البضائع تجارة بألوان شتى ومذاهب فكرية وعقيدية وفقهية وسياسية مختلفة.

و. طريق غدامس صحراء:

لقد نالت غدامس حظا من الذيوع والشهرة كمركز تجاري متقدم في تجارة القوافل والحجاج بين الشمال والجنوب، وكان طريق غدامس - تادمكة (بمالي) أحد المعابر الهامة لتلك القوافل منذ القرن (٨ هـ/ ١٤م) كما سمح مركزها بتقوية العلاقات بين المراكز الصحراوية الأخرى كتوات وتكدا وسلجلماته[٤].

ز. طريق الساحلية:

وأهم المحطات في الطريق الساحلي التي كانت توفر للمسافرين الراحة وتمدهم بالطعام

(١) فخار، المرجع السابق، ص٦١.

(٢) الدالي، المرجع السابق، ص٢٩٧.

(٣) أبوعزيز، يحيى، طرق القوافل التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص١٣١.

(٤) حركات، ابراهيم (١٩٨٢). دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية (١)، ص ٢٩.

والماء وتمكنهم من استبدال وسائل النقل أوتجديدها من جمال وخيل وبغال نذكر المحطات التالية اعتماد على رحلة الورثيلاني مرتبة حسب مواقعها من الغرب ألى السرق: برج الملح - الزوارة الحالية -الزوارة العامرة - زواغة -جنزور-قرقارش) - طرابلس الغرب - المنشسة - تاجوراء - وادى السيد - وادى الرمل - ساحل حامد - مسلاتة -زليتن - مصراته - أباكدية - تاورغة - العزينات -بئر حسان - بئر مطراو- الزعفران - معطن الاحمر - بلاد سرت - النعيم - العقيلة - اليهودية - أجدابية - صعدة - سلوق- التميمي - عين غزالة - مقرب - الطرفاوي - جرجوب - الجمينة - الشامة المدار - العقبة الصغيرة[١].

والملاحظ على هذه الطرق وغيرها أنها لم تبق ثابتة عبر القرون بل كانت تتغير عبر الظروف الاقتصادية والسياسية وكانت تؤدي دورها في ربط الاتصال والتقارب والرواج التجاري والانتعاش الاقتصادي خاصة في فترة العصر الوسيط وتتم عبر مسالكها عملية تبادل السلع والمنتوجات المحلية والخارجية المستوردة والموردة من البلدان والمدن والقري بواسطة القوافل التي كان لها نظام معين في تكوينها من حيث عدد الأشخاص ذوي الخبرة والكفاء المشهود لهم بتنظيم قافلة يحدد المسؤولية عن سلامة ودرء الخطر عنها طوال الرحلة التي تستغرق وقتًا طويلًا؛ لأن القافلة عندما تصل إلى المراكز التجارية السودان يتم استبدال بضائعها القادمة من ليبيا ببضائع البلاد السودانية المتنوعة عن طريق المقايضة ولهذا فإن العملية التجارية للقافلة تستغرق منها فترة انتظار طويلة حتى يتم جمع الكميات المطلوبة من المنتوجات السودانية[٢].

٢. الطرق البحرية:

تمثل في المواني، التي كانت متعددة على طول الساحل الليبي، مرتبطة بشبكة طرق

(١) سعيدوني، ناصر الدين (١٩٨٢). ليبيا كما وصفها رحالة جزائري، مجلة البحوث التاريخية السنة الرابعة، العدد الأول، ص ٩١.

(٢) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص٤٢٣.

داخلية تصلها بالطرق الرئيسية للقوافل الصحراوية، ومن أهمها ميناء زوارة، صبراته، طرابلس، وزليطن وقصر أحمد وسرت، وهذه الموانئ شهدت على مر الزمان نشاطات اقتصادية وسياسية حيث تعتبر إحدى المنافذ للاتصال بالخارج.

ويبدوأن الرابطة التجارية بين إفريقية الموحدية والحفصية وبين الغرب، قد تمت أونشطت ضمن إطار العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية التجارية[١]. وذلك لأن بلاد طرابلس قد لعبت دور الوسيط التجاري في نقل تجارة في نقل منتجات الأوربية إلى جنوب عبر القوافل التجارية، وكذلك ربطة بين تجار المغرب والشرق في حالة اضطراب الأوضاع السياسية - فترة الصراع في تلك الفترة بين قراقوش وابن غانية - الذي يؤدي إلى عدم أمان الطرق البرية، فكانت هذه الموانئ هي التي تصدر منها البضائع وأصبحت أكبر حركة ونشاطًا[٢].

فلقد كانت المراسلات بين الدولة الموحدية وقناصل أوحكام المدن الأوروبية تبين أن بيزا قد وقعت مع الدولة الموحدية معاهدة تدفع بموجبها العشر في مقابل استخدام موانئها المتوسطية أوالأطلسية، وهوما نلاحظه في رئيس بيزا وأسقفها أوبالد والذي كان حاكما أيضا لكورسيكا وسردانية، وتوجه بها إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف من مدينة بيشة (بيزا) بتاريخ ٦ ذي الحجة سنة ٥٧٦هـ / ٢٣أبريل ١١٨١م[٣] يذكره فيها بأنه ملتزم بدفع العشر المعتاد للدولة الموحدية وينبهه إلى احترام الاتفاقيات التي وقعت بينهما، كما يطالبه بالتدخل لإرجاع سفينة لهم كانت قد أسرت من قبل حاكم طرابلس والتي كانت تحمل قمحا إليها ونحت إلى ميناء طرابلس مما أدي إلى حجزها وأسر بحارتها، ويعتبر الأسقف هذا الحادث خرقا لاتفاقهما السابق[٤].

(١) (بيزة، جذوة، البندقية) ابتسام مرعي، مرجع سابق، ص٢٧١.

(٢) مارمول كرنبال (١٩٨٤). إفريقية، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع م، ج٣، ص ١٢١.

(٣) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية من ق ٦-١٠ هـ، ليبيا، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص٤٢٦.

(٤) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية من ق ٦-١٠ هـ، ليبيا، طرابلس: مركز

فلقد عمل ولاة طرابلس على تشجيع التجارة البحرية بتوثيق العلاقات مع الدول الاوربية من ناحية، ومن ناحية أخرى مع إفريقيا جنوب الصحراء، ليتواصل تدفق منتجاتها إلى طرابلس ومن ثم تصديرها إلى أوروبا من ناحية، ولتكون سوقا رائجة لمنتجات إمارته وما يرد إليها من الخارج من سلع من ناحية ثانية، وفي كلتي الحالتين يجني الطرابلسيون وسكان المناطق المجاورة أرباحا طائلة، مما يدعم اقتصادهم وهوما كان يسعي إليه ولاتها.

وأما علاقات طرابلس مع أوروبا فقد تجسدت في عهد بني ثابت وبني مكي مع كل من البندقية، وجنوه وأرغونه، أما البندقية فقد ارتبطت بها علاقات ودية، واعترفت البندقية ببني ثابت بأنهم حكام طرابلس، في الوقت الذي كان فيه السلطان الحفصي يمارس سلطاته ويعلن أن طرابلس تابعة له، وفي الواقع أن حكومة البندقية لم تلتفت إلى السلطان الحفصي بل وطدت من علاقاتها الودية مع بني ثابت، والدليل على ذلك أن اتفاق التجارة الذي عقدته البندقية مع ابن ثابت سنة ٧٥١هـ ١٣٥٠م كان يخلومن ذكر اسم السلطان الحفصي[١]، الذي كان قد فقد السيطرة على أطراف إفريقية.

ولقد سمحت الاتفاقية التجارية مع البندقية، باستخدام الموانى الواقعة من مصراته إلى صفاقس، حيث كانت التجارة مع المشرق الإسلامي والندقية تتم عن طريق ميناء مصراتة، وأما التجارة مع صقلية فكانت عن طريق ميناء زليطن[٢]، وكما شهدت تلك الحقبة نشاط تجارة المقايضة، حيث كان تجار مصراته يستلمون البضائع التي تأتي بها سفن البندقية فيشحنوها إلى المغرب الأوسط، مقايضة بالرقيق وأنواع المسك، وكلها تستورد من الحبشة

جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٤٢٦.

(١) منفروني، كاملو(١٩٨٨). إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة، عمر محمد الباروني، ليبيا، طرابلس: مركز الجهاد الليبي، ص ٣٩.

(٢) حركات، إبراهيم (١٩٨١). دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، (١)، ليبيا، طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، ص ٢٧-٣٧.

والسودان الشرقي، ثم يحملون ذلك إلى الدولة البيزنطية مستفيدين تجاريا في كلا الاتجاهين[١].

ومن جانب آخر الاتفاقية المعقود بين البندقية وطرابلس، قد أعطت البنادقة بعض التسهيلات الجمركية[٢]، ويبدوأن الهدف من ذلك هوزيادة النشاط التجاري بزيادة الصادرات والواردات التجارية إلى جانب تجارة المقايضة التي أشار الباحث إليها.

وفي عهد ولاية بني مكي لطرابلس تم عقد اتفاقية مع البندقية سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م، وتحصلت بموجب هذه الاتفاقية على اعفاءات جمركية، وحق تصدير الزرابي من طرابلس. وحق استغلال ملاحة رأس المخبز[٣] مقابل أجور وأتاوات لطرابلس، كما ضبطت مختلف البضائع الداخلة والخارجة من الموانئ الليبية[٤].

فعن طريق المنافذ البحرية تستفيد البلاد من دخول المكوس (الجمارك) والأتاوات التي كانت تتحصل عن البضائع المصدرة أوالموردة، فلقد كان بيع المواد الواردة عن طريق البحر يتم في أغلب الأحيان داخل ديوان البحر وتحت مراقبته المباشرة إما بالتراضي أوبالمزاد العلني، ويمكن أن يتم بحرية خارج الديوان إلى المعنيين بالأمر وصلا يقوم مقام تأشيرة الخروج الحالية[٥].

كانت الأداءات التي أقرها الموحدون واقتدي بهم الحفصيون فيما بعد، كما أن الذهب والفضة والأحجار الكريمة واللؤلولايدفع عنها إلا نصف الأداء المقرر، وتتمتع بالأعفاء التام

(١) حركات، إبراهيم (١٩٩٦). النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، المملكة المغربية، الدار البيضاء: مطابع إفريقيا الشرق، ص١٧٠. كذلك الوزان، الحسن بن محمد، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٧.

(٢) المزيد من التفاصيل ينظر إلى: منفروني، كامللو (١٩٨٨). إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية، ترجمة، عمر محمد الباروني، ليبيا، طرابلس: مركز الجهاد الليبي، ص٣٩.

(٣) هي منطقة المعروفة اليوم بجزيرة فروة القريبة من الحدود التقليدية الليبية التونسية.

(٤) برنشفيك: روبار، تاريخ أفريقيا ج ٢، ص٢٧٧.

(٥) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص٤٢٧ وكذلك برنشفيك: روبار، تاريخ أفريقيا ج ٢، ص ٢٥١.

إذا كانت هذه المعادن مخصصه للعملة أولخزينة البلاد، كما تتمتع الحبوب أيضا من الإعفاء الضريبي[١].

ومن الملاحظ أن هذا التنوع في العلاقات الخارجية قد أعطي أهمية كبيرة لإقليم طرابلس الغرب، ويستشف ذلك من خلال ماكتبه الرحالة الشهير ابن حوقل «حيث قال عن طرابلس:».. صالحة الأسواق... وبها الجهاز الكثير الصوف المرتفع وطبقات الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية، والسود والبيض الثمينة، إلى مراكب تحط ليلًا ونهارًا وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحًا ومساءً من بلد الروم وبلاد المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم «[٢].

السلع الصادرات من بلاد السودان، العاج والعنبر وريش النعام والجلود المدبوغة، وهذه الأخيرة كانت لها قيمة في الداخل، حيث صنعت منها الأحدية وقرب المياه والسيور والأسواط والجمة الخيل وغيرها، وصنعوا من العاج أوني الشرب وصدروا منها إلى أوروبا، والصمغ والشب الكانمي لما له من سمعه طيبة في إنحاء المماليك الإسلامية بسبب جودته وعظم كميته، وقامت بتصديره إلى الخارج مع الشب السرتي والغدامسي الأبيض الذي لا يوجد مثله في العالم[٣].

من أهم السلع ذات مردود اقتصادي كبير تجارة الرقيق، فلقد كان لموقع طرابلس على رأس الطرق المؤدية إلى بلاد السودان، دورة في جعلها مركزا لتجارة الرقيق للأسود والأبيض معًا[٤]، ومن أهم المراكز التجارية لتجارة الرقيق، زويلة وفزان وتاورغاء، تعتمد عليها البلاد

(١) عبد الهادي التازي، التاريخ السياسي والدبلوماسي للمغرب ج ٦، ص ٢٥١، كذلك السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص.٤٢٧

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٧١-٧٢.

(٣) نعيم، قداح (١٩٦٠). إفريقية الغربية في ظل الإسلام، كوناكري، ص١٢٦.

(٤) الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥).دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص١٤٢-١٤٣.

في تجارتها عبر مصر وبلدان المغرب الكبير وأوروبا[١].

واستوردت البلاد أيضا من أوروبا المعادن الثمينة والنقود والمجوهرات وسبائك الذهب والفضة والمرجان والنحاس الأحمر الملون واللؤلؤ والزجاج من البندقية والخردوات بالإضافة إلى التوابل ومواد الصباغة والعطور بعض الأقمشة[٢]. والحرير والسفن والحبوب، وهذه السلع بعد اكتفاء الناس منها تصدر أغلبها مع العمائم والمآذر والأصداف إلى البلاد السودانية وهوما كانت تقوم به قبائل هوارة في إقليم طرابلس خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[٣].

أما السلع المصدرة من ولاية طرابلس فهي متعددة منها ما هومحلي ومنها ما جاء من الخارج الصوف المغسول، التي يشتدُّ الطلب علية من مصانع الأصواف التي بدأت تتطور شيئا فشيئا والزرابي التي اشتهر منها نوع نسب إلى طرابلس أسمه أبوكران، وتحصلت البندقية في سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م حق تصدير الزرابي الطرابلسية بدون أداءات جمركية[٤]، وكذلك القمح وبعض الحبوب الأخرى، كما يبرز زيت الزيتون من المنتجات الزراعية المصدرة وذلك لكثرة إنتاجه، وكان زيت الزيتون من أهم السلع التجارية لدي تجار الصقليين[٥].

أما صادرات ولاية طرابلس لجنوب أفريقيا، المنسوجات المحلية والأوروبية حيث كانت تباع في جاو[٦]، الأدوات الحديدية مثل القدور والسكاكين والمصنوعات النحاسية،

---

(١) البكري، أبوعبيد الله الأندلسي. المسالك والممالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب، ص١١.

(٢) برنشفيك: رويار، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٧٧.

(٣) الباروني، أبوالربيع سليمان (١٩٨٧). الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق محمد على الصليبي، سلطنة عمان (المطابع العالمية، ج٢، ص ٢١٤.

(٤) سعد، زغلول عبد الحميد (١٩٥٨). الاستبصار في عجائب الامصار، مصر، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ص١٤٣.

(٥) بروشين، ن، أ (١٩٩٠). تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، ليبيا، طرابلس: منشورات مركز الجهاد الليبيين، ص ٩٢-٩٣.

(٦) الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا (ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج٢، ص ١٦٩.

الأوراق وكتب العربية، المواد الغذائية مثل السكر والشاي والعطور والفخار الغدامسي والملح الذي يعد من السلع المهمة المصدرة إلى مناطق الجنوب السوداني، والذي كان متوفر في مناطق زوارة وطرابلس وبنغازي[١]، وتعد من السلع التجارية الناجحة في الداخل والخارج، كانت يستبدل بالذهب وبأسعار مرتفعة على حسب رواية الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي وصف بأن السودانيين يتصارفون بالملح كما يتصارفون بالذهب والفضة[٢].

هذه السلعة - الذهب - جذبت إليها التجار من القدم وأثارت انتباه الرحالة والجغرافيين العرب منذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي وجمعوا عنها معلومات غزيرة وحصروا مناطق الذهب في السودان الغربي[٣].

لذلك فقد كانت طرابلس من ضمن أقاليم إفريقية التي أسهمت في انبعاث النشاط الاقتصادي وازدهاره، وانعكس ذلك على أهالي إقليم طرابلس الغرب بالثراء، ويمكن أن نستشهد على ذلك بما إليه الحسن الوزان بقوله:»... أهل مصراته أغنياء، لأنهم لا يؤدون أية إتاوة ويتعاطون التجارة، يأخذون البضائع التي تحملها إلى بلادهم سفن البندقية، ويحملونها إلى نوميديا حيث يستبدلون بها الرقيق... والمسك، الواردة من أثيوبيا والسودان، ثم يحملون كل ذلك إلى تركيا، محققين هكذا أرباحا من رحلة الذهاب ورحلة الإياب «[٤].

❍ خامسًا: الأسواق:

انتظمت التجارة الداخلية في مراكز خصصت للبيع والشراء، هي الأسواق وقد جسدت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية، حيث يتركز فيها النشاط الصناعي والتجاري

---

(١) سعد، زغلول عبد الحميد (١٩٥٨). الاستبصار في عجائب الامصار، مصر، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ص٦٩.
(٢) ابن بطوطة: رحلته، ص ٨٧.
(٣) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٤٢٩.
(٤) الوزان، المصدر السابق، ج٢، ص ١١١.

والذي يؤدي دورًا مهمّا في حياة المدنية بصفتها عنصراً أساسيًا لازدهارها.

وفي العصر الموحدي والحفصي استمر النسق والترتيب المنظم في الأسواق المتنوعة في مدن إفريقية. التي كانت منتشرة في البلاد وتعقد يوميًّا أوأسبوعيًّا أوموسميًّا، فالأسواق المدن وهي ثابتة دائما فإلي جانب تعاملها التجاري، كان أغلبها مخصصا للخزن والبيع مثل الأسواق التي تباع فيها المواد الغذائية، والأسواق المعروفة بالقيصرية، والمخصصة للخزن وبيع الأقمشة والمنسوجات المستوردة وإلى جانبها توجد بعض المواد الأخرى، مثل الفحم والزيت والملح التي كانت تباع في الأحياء أوخارجها، وكان الريفيون يأتون كل يوم لبيع منتوجاتهم وحيواناتهم من حقولهم، وقد ذكرت بعض المصادر أن أسواق طرابلس مثلا كانت منسقة ومفصولة عن بعضها البعض بحسب اختلاف الحرف ولاسيما حرف النساجين، وأن تجارها كانوا على درجة عالية من الأخلاق في البيع والشراء، والتعامل مع الناس خاصة مع الغرباء[1].

والنوع الثاني من السواق الأسبوعية، التي كانت تعقد في أيام معينة في الأسبوع حيث يجتمع فيه أهالي القري في يوم معلوم من الأسبوع بسلعهم لبيعها وشراء ما يلزمهم من حاجات متنوعة[2].

والسوق الأسبوعية كانت تعتبر مؤسسة على غاية من الحيوية، وقد أثبتت الشهادات وجودها منذ زمن بعيد وهي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا[3].

ومثل هذا النوع من الأسواق وجد في غالبية مدن بلاد إفريفية، فقد وجد في مدينة صفاقس وفي جزيرة جربة وفي طرابلس كان سوق يقام قرب جنزور كل يوم جمعة يجمع سكان

(١) الحميري، محمد بن عبد المنعم (١٩٨٤). الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط (٢)، لبنان، بيروت: مطبعة، ص٣٨٩، وكذلك الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا (ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج٢، ص٩٧.

(٢) المقدسي، أبوعبد الله شمس الدين بن أبي بكر الشامي (١٩٩١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط١)، مصر، القاهرة، ص ٢٢٥.

(٣) بزنشفيك، مرجع سابق، ج٢، ص٤٥.

المناطق المجاورة لتبادل منتجانهم، وبيع ما يجلبونه من بضائع ومواش[١]، ويبدوأن فكرة الأسواق الأسبوعية كانت معروفة في أغلب المدن والأرياف حيث نجد إشارات أخرى في فترات متأخرة تذكر أن مدينة مصراته كان يقام فيها سوق أسبوعي كل يوم أحد[٢].

والجدير بالذكر أن الأسواق الأسبوعية كانت غالبا ما تقام عند أبواب المدن، ويؤمها المزارعون والبدوببضائعهم الريفية التي يبيعونها لاقتناء حاجات بالمدينة، وعادة ماكان يذبح عدد كبير من الماشية[٣].

وقد كان يراعي في نصب الأسواق ما يوفر سهولة التموين من جهة ويحترم متطلبات حفظ الصحة أوالنظام المعماري بالمدينة من جهة أخرى، فانتظمت الأسواق الخاصة بمواد الاستهلاك العادي أوبمواد الترف وبيع الأقمشة أوالثياب الجاهزة قرب السماط الأعظم الواصل إلى جامع البلد[٤].

وكانت الأسواق منظمة ومتنوعة منها سوق العطارين وسوق للحبوب وسوق للصوف وسوق للأقمشة والنسيج وهي مرتب مرتبة داخل المدينة حسب أهميتها، بحيث تكون أخرها إلى جانب سور المدينة حيث كانت الأرباض الكائنة في أطراف المدينة مخصصة للبضائع الواردة عليها في الأرياف ومن داخل البلاد، كما جمعت فيها المواد الوسخة أوذات الروائح الكريهة حتى تكون بعيدة عن المنازل، أوخوفا من الحريق أوالدخان الذي ينبعث من بعضها الأخر مثل سوق الدباغين[٥].

---

(١) التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد (١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية، ص ٢١٥-٢١٦.

(٢) الحشائش: جلاء الكرب على طرابلس المغرب، ص١٠٢.

(٣) الإدريسي، محمد بن محمد عبد الله (١٩٩٤). نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج١، مكتبة الثقافة الدنية، ج١، ص ٢٣١.

(٤) سوسي، محمد (٢٠٠١). أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، تونس، ص ٨٩.

(٥) الوزن: المصدر السابق، ج ٢، ص٩٧.

وإلى جانب الأسواق التي تعقد في المدن وجدت أسواق في البادية التي يقع فيها التبادل بين منتجات الحضر والنتاج الزراعي والبدوي، ويتم فيها تجمع هذا النتاج والتقاء الجماعات البدوية[١].

أما النوع الآخر من الأسواق التي كانت معروفه آنذاك الأسواق الموسمية، تعقد كل سنة وهي غير منتشرة في إقليم طرابلس، ما عرف منها في طرابلس ما ذكره التجاني، سوق زاوية أولاد سنان[٢]، حيث كان بمثابة معرض تجاري يتجمع فيه عدد كبير من السكان لإجراء العمليات التجارية.

ويظهر أن هذا السوق ربما كان نقطة أومحطة للقوافل التجارية الصحراوية، والتي اعتادت ارتياد هذه المواضع لغرض البيع والشراء في مواسم معينة. إلى جانب هذا فإن الطرق التي كان يرتادها الحجيج في طريقهم إلى الأراضي المقدسة كانت تشهد مثل هذه الأسواق التي كان يقيمها السكان المحليون لأجل البيع والشراء للركب فقد ذكر بعض الرحالة المغاربة مثل القادري والناصري أن أهالي التميمي، كانوا يحملون الحبوب والدقيق والفواكه والسمن واللحم بالإبل ويقيمون لهم أسواقا في هذه المناطق يتزود منها الحجاج يلزمهم ويبيعون لهم ما يحملونه إليهم[٣].

٢,٣ المعاملات الاقتصادية في إقليم طرابلس في العهد الحفصي

الأمة الليبية كغيرها من أمم الأرض وبلدانها مارست التجارة، وتفاوتت هذه التجارة في الازدهار والاضمحلال من دولة وسلطنة إلى أخرى. ودولة الحفصيين إحدى الدول التي

(١) حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١، ج١ص٤٩٧.
(٢) الرحلة، ص٢١٤.
(٣) السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص ٤٣٣.

حكمت ليبيا واستقر حكمها وولاتها مدة من الزمن، ونظرًا لذلك الاستقرار فقد ازدهرت التجارة وتعددت الأسواق وتنوعت طرق التجارة فيها، وسادت التعاملات التجارية عبر البر والبحر، وأبرمت العديد من الاتفاقيات والمعاهدات المتعلقة بالتجارة والسفن ووسائل الحماية، والاشتراك في محاربة القرصنة والحد منها.

وهذا البحث محاولة لجمع ما تيسر من المعلومات التاريخية حول التجارة في العهد الحفصي، معتمدًا على الاستقراء والتتبع والتحليل الوصفي؛ لبيان ما قدمته الدولة الحفصية في التجارة من خدمات للأمة الليبية وغيرها من الشعوب التي خضعت للحفصيين، وما أضافته إلى حركة الأسواق من ميزات ووسائل حديثة.

ولم تقتصر العلاقات والخدمات التجارية على المناطق الخاضعة للحفصيين، بل امتدت إلى غيرهم من البلدان المجاورة، من المسلمين وغيرهم، فقد استمرت العلاقات التجارية بين الدولة الحفصية وبين جمهوريات إيطالية وغيرها بصورة طيبة في إطار معاهدات تجارية وأمنية وفرت الأمن والأمان إلى قدر كبير، وتبادلوا التجارة وسارت حركة النقل البحري على صورة آمنة خففت من حدة القراصنة في البحر المتوسط.

ونظرًا لأن الحديث عن التجارة في العهد الحفصي مفرق في كتب التاريخ والسير العربية والأجنبية، فإن هذا البحث سيجمع ما تيسر من ذلك في موضع واحد، مع توثيق تلك الأحدث من مصادرها ومراجعها.

○ الأسواق:

انتظمت التجارة الداخلية في مراكز خصصت للبيع والشراء، هي الأسواق وقد جسدت الأسواق عصب الحياة الاقتصادية، حيث يتركز فيها النشاط الصناعي والتجاري، والذي يؤدي دورًا مهمًا في حياة المدنية بصفتها عنصراً أساسيًا لازدهارها.

وفي العصر الموحدي والحفصي استمر النسق والترتيب المنظم في الأسواق المتنوعة في مدن إفريقية. التي كانت منتشرة في البلاد، وتعقد يوميًّا أوأسبوعيًّا أوموسميًّا، فأسواق المدن دائمًا ثابتة، فإلى جانب تعاملها التجاري، كان أغلبها مخصصًا للخزن والبيع مثل الأسواق التي تباع فيها المواد الغذائية، وأسواق لبيع الأقمشة والمنسوجات المستوردة وإلى جانبها توجد بعض المواد الأخرى، مثل الفحم والزيت والملح التي كانت تباع في الأحياء أوخارجها، وكان الريفيون يأتون كل يوم لبيع منتوجاتهم وحيواناتهم من حقولهم، وقد ذكرت بعض المصادر أن أسواق طرابلس مثلاً كانت منسقة ومفصولة عن بعضها البعض بحسب اختلاف الحرف ولاسيما حرف النساجين، وأن تجارها كانوا على درجة عالية من الأخلاق في البيع والشراء والتعامل مع الناس خاصة مع الغرباء.

والأسواق الأسبوعية كانت تعقد في أيام معينة في الأسبوع؛ حيث يجتمع فيه أهالي القرى في يوم معلوم من الأسبوع بسلعهم؛ لبيعها وشراء ما يلزمهم من حاجات متنوعة.

والأسواق الأسبوعية كانت تعتبر مؤسسة على غاية من الحيوية، وقد أثبتت الشهادات وجودها منذ زمن بعيد، وهي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

ومثل هذا النوع من الأسواق وجد في غالبية مدن بلاد إفريقية، فقد وجد في مدينة صفاقس وفي جزيرة جربة، وفي طرابلس كان سوقًا يقام قرب جنزور كل يوم جمعة، يجمع سكان المناطق المجاورة؛ لتبادل منتجاتهم، وبيع ما يجلبونه من بضائع ومواش.

ويبدوأن فكرة الأسواق الأسبوعية كانت معروفة في أغلب المدن والأرياف؛ حيث نجد إشارات أخرى في فترات متأخرة تذكر أن مدينة مصراته كان يقام فيها سوق أسبوعي كل يوم أحد.

والجدير بالذكر أن الأسواق الأسبوعية كانت غالبًا ما تقام عند أبواب المدن، ويؤمها المزارعون والبدوببضائعهم الريفية التي يبيعونها؛ لاقتناء حاجاتهم من المدينة. وقدكان يراعى في نصب الأسواق ما يوفر سهولة التموين من جهة، ويحترم متطلبات حفظ الصحة أوالنظام

المعماري بالمدينة من جهة أخرى، فانتظمت الأسواق الخاصة بمواد الاستهلاك العادي أوبمواد الترف وبيع الأقمشة أوالثياب الجاهزة قرب السماط الأعظم الواصل إلى جامع البلد.

وكانت الأسواق منظمة ومتنوعة منها سوق العطارين وسوق للحبوب وسوق للصوف وسوق للأقمشة والنسيج، وهي مرتبة داخل المدينة حسب أهميتها، بحيث تكون أخرها إلى جانب سور المدينة حيث كانت الأرباض الكائنة في أطراف المدينة مخصصة للبضائع الواردة عليها في الأرياف ومن داخل البلاد، كما جمعت فيها المواد الوسخة أوذات الروائح الكريهة حتى تكون بعيدة عن المنازل، أوخوفًا من الحريق أوالدخان الذي ينبعث من بعضها الآخر مثل سوق الدباغين.

وإلى جانب الأسواق التي تعقد في المدن وجدت أسواق في البادية التي يقع فيها التبادل بين منتجات الحضر والنتاج الزراعي والبدوي، ويتم فيها تجمع هذا النتاج والتقاء الجماعات البدوية.

أما النوع الآخر من الأسواق التي كانت معروفه آنذاك الأسواق الموسمية تعقد كل سنة، وهي غير منتشرة في إقليم طرابلس، وعرف منها في طرابلس ما ذكره التجاني سوق زاوية أولاد سنان، حيث كان بمثابة معرض تجاري يتجمع فيه عدد كبير من السكان؛ لإجراء العمليات التجارية.

ويظهر أن هذا السوق ربما كان نقطة أومحطة للقوافل التجارية الصحراوية، والتي اعتادت ارتياد هذه المواضع لغرض البيع والشراء في مواسم معينة، إلى جانب هذا فإن الطرق التي كان يرتادها الحجيج في طريقهم إلى الأراضي المقدسة كانت تشهد مثل هذه الأسواق التي كان يقيمها السكان المحليون لأجل البيع والشراء للركب فقد ذكر بعض الرحالة المغاربة مثل القادري والناصري أن أهالي مناطق الأقاليم كانوا يحملون الحبوب والدقيق والفواكه والسمن واللحم بالإبل ويقيمون لهم أسواقًا في هذه المناطق يتزود منها الحجاج يلازمونهم ويبيعون لهم ما يحملونه.

كما يوجد لليهود حوانيت تشكل سوقًا تعرف بسوق الصاغة داخل أسوق مدينة طرابلس على غرار سوق الصاغة في تونس عام ١٤٠٠م؛ ذلك لأن صناعة المعادن الثمينة من ذهب وفضة تمثل صناعة يهودية قديمة تم توريدها من المشرق إلى المغرب.

بالإضافة إلى ذلك يوجد التجار الجوالين (السماسرة)، أي القائم بالوساطة بين الباعة والمشترين يمتد نشاطه على السوق، ويعرف أيضًا «الدلال»، ويقوم بإشهار البضائع للبيع معلنًا أثمانها، وأحيانًا يشرف على عمليات المزايدة، وهم يتجولون بين تجار البادية والمدن، كما أنه يجوب الأسواق عارضًا للسلعة بين يديه كوكيل لتاجر السلعة الأصلي، كما كان يعلن السعر الذي يعرضه المشترون إلى أن يصل السعر إلى منتهاه، في نادي بالمطل أربعًا قبل أن يدفع بالسلعة إلى المشتري ويقبض ثمن البضاعة، وهذا في حالة المزايدة على البضاعة.

أما عن السلع المعروضة داخل تلك الأسواق فقد تنوعت واشتهرت كل منها بنوع معين من المعروضات، فالبعض اختص بالتجارة في الحاصلات الزراعية، والبعض في المنتجات الحيوانية، والبعض الآخر في المنتجات الصناعية، وبذلك قام هناك نوع من التكامل بين هذه الأسواق بواسطة تبادل السلع بين المدن والقرى.

ومن الأسواق التي كانت في إقليم طرابلس سوق سرت الذي كان يعرض فيه أصناف متعددة من التمور والفواكه والأعناب فضلاً عن مادة الشب والأكسية الصوفية، وهناك سوق لبدة الغنية بصنوف الفواكه كالخوخ والكمثري وكذلك الكحل، وأسواق منطقة نفوسة وأهمها أسواق شروس التي تشتهر بالشعير والكروم والأعناب الجيدة.

ضرائب الأسواق:

لم تكن ضرائب أوقبالات الأسواق في إفريقية أمرًا مستحدثًا في العهدين الموحدي والحفصي، إنما عرفتها المجتمعات العربية الإسلامية منذ العهود السابقة.

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة الموحدية قدحرصت في بادئ أمرها على الالتزام بأحكام

الشرع الإسلامي في جباية الضرائب؛ ويبدوذلك جليًا من خلال الكتب التي أرسلها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي إلى البلدان التابعة للدولة الموحدية؛ وذلك للنظر في مصالح المسلمين، خاصة بعد أن وصلته المظالم التي ظهرت في الولايات والقبالات أوالضرائب المجحفة التي اشتهرت في الأسواق؛ فأمر بكتابة كتاب إلى الطلبة والأشياخ والحفاظي أمرهم فيه بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

ومعنى ذلك إسقاط المغارم والقبالات وغيرها من وظائف الجباية المخالفة للشريعة الإسلامية.

غيرأن تلك الإجراءات لم تكن في واقع الأمر سوى شعارات قصد منها ترسيخ دعائم الدولة؛ ربم الكسب الرأي العام لمحاباة دولة وليدة، بالإضافة إلى الأساس الديني الذي قامت عليه دعوة الموحدين بزعامة المهدي بن تومرت؛ ذلك لأن الأموال المجبية لم تكن كافي لسد حاجات الدولة الموحدية المتزايدة، خاصة وأن الجيش الموحدي ازداد عدده، واتسعت رقعة نفوذه في المغرب والأندلس مما اضطرت الدولة إلى البحث عن موارد جديدة؛ لتغطية النفقات المتزايدة.

ولذلك أهتم الموحدون بالنظام المالي بوجه عام في الدولة؛ وخصص والنظام الضرائب فيه ديوانًا خاصًا عرف «بديوان المجابي» في جميع الولايات، ويسمى صاحبه «متولي المجابي »، وتقوم مهمته أساسًا على تحصيل الضرائب بمختلف أنواعها، ومنضمنها ضرائب الأسواق؛ وكان له عمال في المدن والقرى يساعدونه في أداء مهمته. وكانت الدولة تعمل على فرض ضرائب جديدة ومكوس على مختلف أنواع المعاملات من البيع والشراء؛ بالإضافة إلى الصادر والوارد، فكانت الضرائب تفرض على أبناء الأمة كلما احتاجت الدولة إليها.

وفي العهد الحفصي - الذين سلك وامسلك الموحدين - استمر العمل بالقبالة (الضريبة)، وشملت شتى الحرف والتجارات، وكانت تتمثل في أن يتولى الجابي أوالمتقبل الالتزام المالي

الموظف على الأسواق، فيسلم المبلغ المطلوب للمخزن (بيت المال) على أن يؤخذ من التجار والحرفيين مبلغًا أكثر ارتفاعًا، وعادة مايقع تكليف أحدالحرفيين أوالتجا رلجمع المال وتسليمه للمتقبل.

وتجدر الإشارة إلى أن المتقبلين والمستفيدين في هذا النظام الجبائي ينتمون عادة إلى أهل المخزن (بيت المال) والمقربين منه أوإلى كبار الحرفيين والتجار والمضاربين، من سكان البلاد أومن الأجانب.

وكان هنا كضريبة تعرف باسم حقوق الأرض «أوالمكس»، وهورسمي حصل على الأماكن التي تشغلها بضائع التجار حين تطرح للبيع في الأسواق، أوعلى دكاكينهم في الأسواق؛ حيث إن الدولة كانت مالكة لتلك الأماكن دون منازع سواء أكانت خالية أوبدكاكينها.

وبالإضافة إلى المكوس والمغارم التي يدفعها التجار عند أبواب المدن برًّا وبحرًّا، وفي الأسواق كانت للجباه مبالغ مالية يفرضونها على المبيعات لأنفسهم، وهناك جباية يدفعها الوافدون على المدن من أهل البادية وغيرهم عند أبواب المدن تعرف باسم ضريبة الفائد.

وإجمالاً فإن الضرائب الموضوعة على المبيعات في إفريقية في العصر الحفصي في الأسواق كانت عديدة، ولذلك ظهر نوع من الامتعاض والتذمر في طبقات الشعب وبتشجيع من بعض رجال الدين.

ولاشك أن إرهاق التجار في الأسواق بالضرائب يؤدي إلى الكساد التجاري، ولا يشجع على العمل والإنتاج والبيع والشراء، وقد مرتب الفعل على أسواق إفريقية فترات كساد تجاري؛ وذلك حينما أمر بعض سلاطين بني حفص بفرض ضريبة على الأسواق والصناع والتجار وتعسفوا في جمعها مما أثقل كاهل التجار، حيث نجدف يأواخر دولتهم، أن كثيرًا من هذه الأسواق قد خربت وأغلق كثير من دكاكينها.

ولنا الحقفي هذا المجال أننذكر سمة ميزت النظام الجبائي الحفصي عنبقية الأنظمة الجبائية، ويرجع ذلك إلى ما اتسمت به التجارة في غالب الأحيان في ازدهار في ظل الأمن والاستقرار اللذي نتمتع بهما البلاد؛ نظرًا لعدم قيامها بحر وبخارجية، مثلما كان الحالفي الدولة الموحدية من قبلها.

المكاييل والموازين:

تعتبر المكاييل والموازين من الأمور وثيقة الصلة بالحياة الاقتصادية وبموضوع التجارة على وجه التحديد، خاصة وأنها تظهر مدى مرونة التبادل التجاري، ويمثل نظام المكاييل والموازين عنصرًا أساسيًا من عناصر تبادل السلع إلى جان بالنقود.

ومن أهم الوحدات الوزنية المستخدمة في إفريقية: الأوقية، القنطار، الرطل، ويوجد عدة أنواع من الأرطال بحسب نوع المادة الموزونة، فهناك الرطل «العطاري»، ويستعمل لوزن الذهب والمواد الثمينة والمعادن المختلفة، ويساوي ستة عشر أوقية، وهوالأكثر استعمالاً ورواجًا في إفريقية، وخاصة في العهد الحفصي، لا سيما في المعاملات التجارية مع الخارج.

أما بالنسبة للذهب والمواد الثمينة، فقد استخدم الموحدون ومن بعدهم الحفصيون في إفريقية وحدة وزنية هي «المثقال» البالغ وزنة ٤٠,٧٢ غرامًا، وقد عرفوا به عملتهم الذهبية (الدينار)، وتساوي ثلاث أوقيات، عشرون مثقالاً دينارًا؛ أي أن الأوقية تضم ستة دنانير وثلثي الدينار.

كذلك تم استخدام الدرهم المتطابق مع قطعة الفضة الذي كان يعادل مايقرب من الجزء العشرين إلى الواحد والعشرين من الأوقية.

أما المكاييل فقدكانت تستخدم للسوائل والحبوب، وتختلف من منطقة إلى أخرى، بالنسبة للحبوب وجميع المواد الجافة استعملت في القيروان «القفيز «الذي كان يساوي٥٨,١٨٧ لترًا (١٦ وبية)، و«الوبية» تساوي ١١و٧٢ لترًا أو«١٢» مدًا.

وفي مدينة طرابلس كان القفيز أثقل من قفيز مدينة تونس؛ إذ كان قفيز طرابلس يساوي حوالي ٢٥٢ لترًا، ويتجزأ إلى عشر برشلة، وهي وحدة قياسية تساوي أكثر بقليل من ٥,١٢ لترًا، وأماكيل السوائل فكان «المطر»، وهي الوحدة العادية للكيل، كذلك يجب الإشارة إلى المكاييل اليدوية (أيدي البشر)، والتي كانت استخدمت بكثرة برغم عدم دقتها وأهمها: القبضة (قبضة اليد)، والحفنة (حفنة اليد).

وإلى جانب تلك الموازين والمكاييل التي ذكرناها؛ فقد استخدمت أيضًا بعض الوحدات القياسية (المقاييس) التي استعملت في بعض المعاملات التجارية لقياس الأطوال، أهمها: الذارع، وكان الذارع السائد في مدن إفريقية أيام الحكم الموحدي والحفصي، كذلك استخدم في إفريقية وحدة قياسية إيطالية، وخاصة في مجال التجارة.

وكانت تستخدم لقياس الأقمشة المستوردة من «(Canna) الخارجية، وهي «الكانة «إيطاليا مثل الشبكة أو الأقمشة الصوفية، ويبدو أن تلك الوحدة القياسية لم تكن ثابتة، حيث كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، فكانت (كانة) تونس أطول من (كانة) (أنكونة)، و» كانة «طرابلس أطول من «كانة «البندقية؛ إذ يبلغ طولها ٢,٢٠ مترًا.

❍ وسائل التعامل التجاري:

عرفت أسواق المغرب وطرابلس في أثناء الحكم الموحدي والحفصي أنواعًا من التعامل التجاري، سواء أكان التعامل بين تاجر وآخر أو بين تاجر ومستهلك.

وقد كانت التقنيات والأنظمة التجارية التي يستخدمها أهل إفريقية تتم بالبساطة، ولا تتخذ شكل التعقيد، إلا بالنسبة للمعاملات الخارجية مع البلدان الأخرى، وخاصة مع النصارى، فقد عرفت هذه الأخيرة تقنيات في التجارة الأوربية، يبدو أنه قد أدخلها التجار والأعوان النصارى أو اليهود والساهرون على الحركة التجارية بين إفريقية وأوروبة.

١. النقد:

يعكس لنا النقد أوالعملة المتداولة في بلاد ما الأوضاع الاقتصادية في البلاد، فهي توضح مدى التقدم والاستقرار الذي تنعم به؛ وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراد الشعب، وعن طريق قيمتها نستطيع أن نقف على مدى رواج التجارة أوتدهورها؛ لأنه عن طريق قيمة العملة وقوتها الشرائية نستطيع أن نتوقف على مدى قوة النظام الاقتصادي في دولة ما، وحظها في الرفاهية والتقدم.

كانت العملة المتداولة في بلاد المغرب وولاية طرابلس أيام الحكم الموحدي العملة الموحدية، خاصة بعد أن وحدوا عملة المغرب الإسلامي، وقطعوا التعامل بالعملات السابقة، ومن ثم خلصوا المغرب من مشكلة اختلاف النقود وتعددها، فمنذ البداية كانت الدنانير والدراهم الموحدية تضرب في جميع عواصم الولايات.

والجدير بالذكر أن النقود الموحدية قد لاقت انتشارًا في بلدان غرب أوروبة؛ تبعًا لانتشار الموحدين، وازدياد النشاط الاقتصادي في تلك الفترة، وإقبال الأوربيين على النقود المغربية في التداول والتبادل والصرف؛ لجودة عيارها وجمال نقوشها، ومما يدل على الانتشار الواسع للنقود الذهبية والفضة الموحدية تلك النماذج التي عثر عليها في أماكن متفرقة من الغرب المسيحي.

فكانت التجارة مع الغرب المسيحي تقوم على السكة الذهبية الموحدية، فعندما يدخل التجار المغاربة إلى بلدان الغرب المسيحي يحملون معهم العملة المغربية؛ لتصرف هناك، فكانت إذاً العملة المغربية ذات الشهرة الدولية هي أساس وحدة النقد في التجارة هناك.

كما تم ذكر استخدام العملة الموحدية في إبرام المعاهدات التي عقدت بين بيزة البندقية وأمراء المغرب في العهد الموحدي.

- النقد الحفصي:

لقد نهجت الدولة الحفصية نهج دولة الموحدين في سبك مسكوكاتهم شكلاً وكتابة؛ لذلك

اكتسب الدينار الحفصي ثقة المتعاملين مع الدولة الحفصية وتجلى ذلك في أنه كان عمله التعامل على المستوى الرسمي، وفي الميدان التجاري كانت أسعار الجلود والصوف الذي يباع إلى تجار بيزة أوالديون المتبقية عندهم، وكانت موضوع الرسائل التي أوردها أماري (Michel Amari)، وكلها بيعت بالدينار الذهبي سوء أيام الموحدين أوالحفصيين.

ولقد ضرب دينار الذهب بطرابلس في عهد الأمير أبوفارس عبد العزيز ابن أمير المؤمنين العباس أحمد من سنة ٧٩٦هـ وحتى ٨٣٧هـ، ومرة أخرى في قفصة.

٢. المقايضة:

لم تقتصر طرق استخلاص الثمن في التعامل التجاري على البيع نقدًا، وإنما استخدمت طريقة المقايضة، وهي مبادلة أشياء، أي: معاوضة سلعة بأخرى، وهي عملية مركبة - بيع وشراء في ذات الوقت، وغالبًا ما تتم بين التجار في الأسواق البعيدة.

والجدير بالذكر أن البيع بالتقاضي قد استخدم في بلاد المغرب بصفة عامة وبلاد إفريقية وطرابلس بصفة خاصة في مجال التجارة الخارجية والداخلية، أي: داخل أسواق المدن والبادية. ولعل أشهر تجارة من هذا النوع كانت مع بلاد السودان، حيث إنها استخدمت بكثرة؛ إذ كانت التجارة مع السودان تقوم على المقايضة، والتي أطلق عليها اسم التجارة الصامتة، حيث كان يتم مقايضة الملح والنحاس من بلاد المغرب بالذهب من بلاد السودان.

واستخدم أيضًا نظام المقايضة داخل أسواق مدن إفريقية، حيث كان سوق الربع في تونس يتعامل فيه مع البدواريفيين البيع بالتقاضي، أما في بقية الأسواق فكانت تستعمل الطريقتين، أي: البيع نقدًا وبالتقاضي.

ويذكر الونشريسي أن نظام المقايضة قد انتشر في القرى المغربية على وجه الخصوص، حيث جرى العرف بها على بيع الطعام - الحبوب - بالعصير - الزيت، ويضيف أن من عادات الفقراء بالمغرب أنهم في سنوات القحط والجدب يحتاجون إلى الأقوات والأطعمة،

ويشترونها بالدين إلى وقت الحصاد، فإذا حل الأجل وعجزوا عن سداد الدين بالدنانير يضطر الدائنون إلى الحصول منهم على جزء من المحصول مقابل قيمة الدين.

وقد أورد مثالاً أن رجلاً اشترى قمحًا من آخر لأجل بث من محدد، فلما جاء الأجل أخذ الدائن زيتًا عوضًا من القمح.

واستخدم تجار مدينة قسنطينة نظام المقايضة في بعض معاملاتهم التجارية، حيث كانوا يستبدلون الزيت والحرير والأقمشة المصنوعة محليًا بالتمر والرقيق مع صحراء نوميديا.

٣. الصكوك:

لقد أشارت المصادر التاريخية إلى استخدام الصكوك منذ عصر صدر الإسلام، كوسيلة للتعويض عن دفع النقود، وهوأمر خطي يدفع بواسطته مقدار معين من النقود إلى الشخص المسمى فيه.

وشاع استخدامه في العصر الأموي، وكثرت الإشارات في العصر العباسي إلى استعمال الصك كوسيلة لدفع المال على المستويين الرسمي والشعبي.

ويعتبر الصك وثيقة ائتمان مضمونة؛ لتقرير الديون واستيفائها، ويجري تحرير الصك بدقة، حيث يدرج فيه اسم صاحبه ومقدار المبلغ الواجب الدفع رقمًا وكتابة، وموعد الدفع، وكانت الصكوك تصرف إما عند الصيارفة أوفي بيت المال.

واستخدمت الصكوك في بلاد المغرب منذ وقت مبكر، حيث يذكر ابن حوقل أنه شاهد في مدينة أودغست - جنوب المغرب الأقصى - صكًا بقيمة اثنين وأربعين ألف دينار بين تاجرين مغربيين.

ولا بد أن استعمال الصكوك قد شاع في باقي أجزاء المغرب بما فيها بلاد إفريقية، وإن كانت تتم غالبًا بطريقة بدائية، إذ أكد برنشفيك انعدام أرباب «البنوك «المحليين بالمفهوم المتطور

الذي تكتسبه تلك العبارة، لكنه لم ينف تمامًا وجود تلك العمليات المصرفية، وذكر أن هكا نقوم بها اليهود والنصارى، وخاصة في المعاملات التجارية مع الخارج؛ إذ أن من الواضح أن أصحاب رؤوس المال والتجارة أوالوكلاء من النصارى سواء في مدينة تونس ذاتها أوبمناسبة تجارتهم مع تونس قد استعمل أوالطرق الأوربية الرائجة آنذاك - العهد الحفصي - مع تطويرها في كامل الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل الصرف، والصك، والتأمين، وتأسيس الشركات.

ويبدوأن الأوضاع المالية قد تردت في مطلع القرن السادس عشر بسبب اضطراب الأوضاع الداخلية، واحتلال الأجانب للبلاد، فهذ اليون الأفريقي الوازن الذي كتب في بداية القرن السادس عشر كتابه «وصف إفريقيا «ينفي وجود تلك الخيرات المالية لسكان بلاد المغرب، حيث أشار قائلاً: «لم يكن لهم - المغاربة - خبرة كبيرة بشأن تصريف البضائع؛ حيث لم يكن لهم أرباب مصارف أوبنوك، ومن باب أولى وأخرى لم يكن لهم شخص قادرعلى تصريف العمليات من مدينة إلى أخرى، فالذي يرغب في ممارسة التجارة يتعين عليه أن يكون دائمًا بالقرب من بضاعته وأن يحملها معه إلى أي مكان آخر».

٤. السفاتج أوالحوالات:

السفتجة: كلمة فارسية، سفته: أي ورقة، ويذكر ابن منظوركلمة سفاتج من «سفتج «، أي: الخفيف والسريع، ومن القول: سفتج فلان لفلان النقد، أي: عجله.

وتستعمل السفاتج أوالحوالات للدفع في بلادأخرى، وهي أن يعطي تاجر مالاً لمن له مال بالبلد الذي يريد أن يسافر إليه بأسعار ذلك البلد، ويأخذ منه سفتجة؛ ليستظهرها لمنع نده المال في ذلك البلد، وتساعد هذه العملية على تأمين المال للطرفين: الدافع والقابض، وحمايته من غرر الطريق ومخاطره.

والجدير بالذكر أن نظام السفاتج أوالحوالات كان يستخدم في التجارة مع البلدان النائية، وكان الصراف وهم الذين يقومون بتحويل السفاتج إلى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول،

كما كان هذا النظام يسمح بتحويل الديون من أشخاص إلى آخرين، ويسهل أداء الديون بين التجار دون تنقلهم شخصيًا، ويحدد أجلال سفاتج وفق اتفاق الأطراف المعنية، ويمكن صرفها دفعه واحدة، أوعلى دفعات حسب اتفاق تلك الأطراف أيضًا.

إذ كان يتعامل في الحوالة الواحدة من ثلاثة إلى أربعة أشخاص هم: (الساحب): وهوالذي يحررها، ويسلمها مقابل مبلغ مالي أوبضائع، و(الحامل): وهوالذي يستلمها من الساحب، و(المسحوب عليه): وهوالذي يتلقى الحوالة في البلد الآخر، ويتكفل بدفع المبلغ المدون على الحوالة، و(المستفيد): وهوالذي يتسلم المبلغ المدون على الحوالة من المسحوب عليه، وإذا كان الحامل ينتقل بنفسه إلى البلد الآخر فيكون هوالمستفيد في نفس الوقت. والجدير بالذكر أن نظام الحوالة على الصيارفة هذا قد لقي معارضة من بعض فقهاء المالكية آنذاك واعتبروه هاربًا.

ورغم ذلك فإن نظام السفاتج أوالحوالات ظل مستعملاً طيلة العصر الوسيط؛ حيث اشترط الفقهاء لجواز العملية أن يتم الدفع للغريم - وهوالمحال أوالمنتفع بالمال - بحضور المحيل وبقبول الأطراف المعنية التي ذكرناها، وقد استخدمت السفاتج أوالحوالات في إفريقية وظل معمولاً بها حتى القرن التاسع الهجري الموافق الخامس عشر الميلادي.

ومما له دلالة واضحة على ذلك ما أشارت إليه رسائل الجينيزة عن وجود سفتجة بمبلغ مائتي دينار محولة من أحد تجار طرابلس إلى تاجر بالفسطاط، كذلك أشار «جوتين «إلى وجود العديد من السفاتج محولة بين مدينة تونس وبين بغداد في العراق.

ومن الأمور الدالة على استعمال تجار العهد الحفصي لنظام الحوالات العقد الذي أورده ابن رشد: أحال زيد عمرًا بعشرة دنانير المحالة له عليه من سلف صحيح على بكر في عدد مثلها صفة وقدرًا، ترتيب له عليه في معادلة صحيحة حل أجلها، أوتحل في وقت كذا حوالة صحيحة رضي بها المحيل والمحال، وبرئت بذلك ذمة المحال عليه مندين المحيل براءة صحيحة، وذلك بمحضر المحال عليه، وإقراره بصحة ترتيب العدة الموصوفة قبله من

الوجه المذكور إلى الأجل المذكور فيه، شهد على إشهاد المحيل والمحال عليه بما فيه عنهم من أشهدوه به في صحتهم وجواز أمرهم وعرفهم بتاريخ كذا».

وأشارت إحدى النوازل أن رجلاً كتب لصهره بمدينة قفصة بإفريقية وصية بأن يتسلم مبلغًا من المال من شخص فأحاله الأخير على شخص آخر.

٥. الشركات التجارية:

هي اتفاق بين طرفين يلزم بالعقد، يتم بمقتضاه خلط وسائل الإنتاج من رأس مال وغيره، والعمل - الجهد، ويتقاسم الشريكان الربح على أساس مدى المساهمة في الشركة، ولقد كانت بمثابة الضمان والتأمين للعمليات التجارية؛ ذلك لأن التجارة أضحت في بعض الأحيان مخاطرة وخاصة في الحقبات التي يسود فيها الاضطراب الداخلي والقطع والقرصنة في البحر، وقد كان الخوف هاجسًا كبيرًا، لدى البحارة المتنقلين من بلد إلى آخر، إلا أن الشركة في التجارة قد خفضت من وطأة الخسائر الناجمة عن عدم استتباب الأمن، وإن لم تكن قد منعت المحظور إلا أحيانًا قليلة، وأحيانًا أخرى كانت تنتهي نتيجة للخلافات التي تحدث بين الشركاء.

ومن أنواعها شركة القراض أو المقارضة، ويذكر أنه انتقل إلى بلاد المغرب والأندلس من الشرق الإسلامي عن طريق التجار البنادقة منذ القرنين الرابع والخامس الهجريين الموافق العاشر والحادي عشر الميلاديين، ولقد وجد هذا النوع في إفريقية في العهد الحفصي.

ولشركة المقارضة أنواع: إما أن يقرض أحد الطرفين مالاً للآخر على أن يسافر به للتجارة، ويكون الربح بينهما مناصفة، وكان هذا العقد أكثر شيوعًا من غيره، وإما أن يسلم التاجر الكبير البضاعة للتاجر العامل لتوزيعها إما داخل البلاد، أو خارجها مقابل أجرة محددة، وهنا اعتبر العامل بمثابة الأجير لا الشريك، ونوع آخر من شركة القراضت مثل في تسليم التاجر أموالاً لصاحب مركب على أن يقتني بضاعة من بلاد أخرى، وهي عملية لا تخلو من

المخاطر والصعوبات مثل مخاطر القرصنة، وقد وجد هذا النوع من الشراكة في إفريقية خلال القرن السادس الهجري الموافق الثاني عشر الميلادي عندما منع السفر إلى صقلية في فترات التوتر رغم حاجة الناس إلى الأقوات في فترة الشدة، ومنذ تلك الفترة تعود أهل إفريقية على استيراد الحبوب من جزيرة صقلية وفق الطريقة التالية: وهي أن يسلم مجموعة من التجار الدنانير المختلفة مرابطية، طرابلسية، مهدوية، وغيرها؛ إلى صاحب المركب بعد أن يعيد صاحب السكة ضربها، ويزيد عليها وزنًا من الفضة، وعند وصول الحمولة واستيفاء أجرة صاحب المركب يتم اقتسامها بين التجار، وهي عملية لا تخلو من صعوبات؛ لاختلاف جودة الحبوب وقلة الحمالين وغيرها، وكانت شركات القراض تحصل بين صفاقس وتونس وطرابلس بمبالغ متفاوتة، وكان تعرضة لحركات القُطَّاع التي يقوم بها القراصنة النصارى.

■ الاتفاقيات والمعاهدات التجارية:

تعد التجارة ركيزة مهمة في حياة الدول والشعوب، ولأجلها تقام الحروب وتشتعل، وقد كانت الحروب كثيرًا ما تشتعل بسبب الاقتصاد والتجارة، ونظرًا لموقع بلاد إفريقية المتوسط على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، ويقابلها دول أوروبا على الضفة الأخرى استدعى ذلك أهمية هذا الحوض المائي الذي أصبح ميدان صراع للدول الكبيرة، وظهور حروب القرصنة التي أجبرت الجميع على توقيع اتفاقيات أمنية وتجارية.

يقول برنشفيك: «ولقد كانت الدولة الحفصية منفصلة عن الأقطار المسيحية بالبحر، ولكن توسع أوروبا البحري والاقتصادي والعسكري الذي تأكد منذ أواخر القرن الخامس الهجري الموافق الحادي عشر الميلادي قد لحق بلاد المغرب في وقت مبكر، وقد تعددت الاتصالات بين إفريقية الحفصية والأقطار المسيحية في شكل يكاد يكتسي دومًا وأبدًا صبغة سلبية أودفاعية من قبل إفريقية، فلم يقم رعاياها في بلاد النصارى إلا بأعداد ضئيلة وبصورة نادرة؛ إذ لم يكن هناك أي قنصل حفصي تقريبًا في الخارج، وعلى وجه العموم لم

تكن تسعى هي نفسها إلى إقامة علاقات جديدة مع الدول المسيحية مقتصرة عادة على الصعيد الدبلوماسي على تبادل السفراء الوقتيين مع الدول التي أبرمت أوتريد أن تبرم معها معاهدات دبلوماسية، وقليلاً ما كانت تبادر بإجراء مفاوضات مع تلك الدول حتى لوتعلق الأمر باستعادة أومواصلة علاقات قديمة».

ويقول أيضًا: «وكانت العلاقات السلمية بين الدولة الحفصية والدول المسيحية ترتكز من الناحية القانونية على معاهدات صلح وتجارة وملاحة متباينة من حيث المدة، ومتجددة بصورة تزيد أوتنقص، والجدير بالملاحظة أن تلك المعاهدات التي أصبحت مفصلة أكثر فأكثر اعتبارًا من القرن الثالث عشر كلما اتسع نطاق المراكز المسيحية في دار الإسلام تعتبر بالضبط ممهدة لنظام الامتيازات القنصلية، وقد قلنا: إن النصارى هم الذين كانوا يبادرون في أغلب الأحيان بإجراء المفاوضات».

وكانت البندقية من الجمهوريات الإيطالية هي السّباقة إلى سلسلة الاتفاقيات التجارية والأمنية، فقد بادرت بالاتصال مع الحفصيين لعقد معاهدة تجارية وسلام عام ٦٢٩ هـ الموافق ١٢٣١م مدتها أربعون عامًا، تعلقت بالحقوق الأساسية المحتملة في حركة الملاحة.

ثم قامت بعدها جمهورية بيزا فأرسلت سفيرها عام٦٣٢ هـ الموافق ١٢٣٤م إلى السلطان الحفصي، وعقد معاهدة تجارية مدتها ثلاثون سنة، ونصت هذه المعاهدة على إعطاء امتيازات تجارية للسلطة في تونس وجميع مناطق الجمهورية وتوابعها شاملة السندات المالية المتنوعة.

ففي القرن السابع الهجري الموافق الثالث عشر الميلادي نشبت الحرب بين الإيطاليين مع بعضهم البعض وامتدت إلى شمال أفريقيا، وهذه الظروف توضح عدم اهتمام أبي زكريا بتجديد المعاهدة الحفصية المبرمة مع حكومة جنوة بعد انقضاء مدتها سنة ٦٤٤ هـ الموافق ١٢٤٦م.

ثم جاء سفير جنوة عام ٦٣٤ هـ الموافق ١٢٣٦م لعقد معاهدة مع السلطان الحفصي أبي زكريا مدتها عشر سنوات، فكانت بذلك العهد الحفصي فاتحة خير في تاريخ العلاقات التجارية مع المسيحيين.

وأرسلت جمهوريتي جنوة البندقية بعد ذلك سفيرًا إلى تونس لإعادة السلم، وأبرمت على إثرها معاهدتين:

الأولى: في سنة ٤٤٩ هـ الموافق ١٢٥١م لمدة عشر سنوات.

الثانية: في العام نفسه أبرمت اتفاقية أخرى، وتميزت هذه الاتفاقية بأمور منها:

- الإعفاء من أي أداء على الذهب أوالفضة أوالأحجار الكريمة التي يبيعها أهالي البندقية في دار السكة أومباشرة إلى السلطان.
- السماح لهم بتصدير الرصاص من إفريقية بدون رسوم.

وقد انتعشت تجارة الذهب والفضة وكل المواد التي شملتها هاتين الاتفاقيتين، وزاد من مكان السلطان الحفصي واحترامه.

وفي سنة ٦٦١ هـ الموافق ١٢٦٤م عقدت جمهورية بيزة مع السلطان المستنصر الحفصي معاهدة تجارية مدتها عشرون عامًا، تضمنت تلك الاتفاقيات تعهدات عامة للمواقف السابقة، وكذلك اختصاصات القناصلة وملكية الكنائس، كما تناولت ردع القراصنة في البحر.

وقد شهد عام ٦٦٨ هـ الموافق ١٢٧٠م قيام لويس التاسع ملك فرنسا بالحملة الصليبية الثامنة، وقصد الديار التونسية، فعكر هذا الحدث صف والاتفاقيات، وأسقط كل المعاهدات التجارية بين إيطالية والحفصيين، وتوترت الأوضاع على الساحل الإفريقي بأكمله، إلا أن السلطان المستنصر الحفصي قدم أدوارًا مهمة في حماية التجار الأوروبيين الموجودين في دولته، وقد ساعد ذلك على تطبيع العلاقات مع النصارى، وعقد العديد من الاتفاقيات في السنوات التالية.

عادت البندقية ليكون لها السبق في الاتفاقيات بعد الحملة الصليبية الثامنة فأرسلت

إلى مدينة تونس سفيرها، فأبرم مع السلطان الحفصي أبي عبد الله المستنصر في شهر ذي الحجة ٦٧٠ هـ الموافق ١٢٧١م معاهدة تجارية جديدة مدتها أربعون سنة، ثم تبعتها في شهر نوفمبر من العام التالي جمهورية جنوة، حيث بعثت السفير الجنوي فعقد مع ناظر ديوان تونس وقاضي قضاتها، نائبين عن السلطان الحفصي المستنصر معاهدة تجارية مماثلة في شروطها للمعاهدة السابقة، ومدتها عشر سنوات.

وفي سنة ٦٧٠ هـ الموافق ١٢٧١م أبرمت اتفاقية بين الدولة الحفصية وأرجونة، وكانت اتفاقية سياسية وتجارية، ومن بنودها المتعلقة بالتجارة السماح للأجانب بالإقامة في إفريقية بأمان وتعاطيهم للتجارة.

وفي سنة ٦٧٠ هـ الموافق ١٢٧٢م أبرمت اتفاقيتين إحداهما مع البندقية والأخرى مع جنوة، وقد نصت الاتفاقية المبرمة مع جنوة على الإعفاء من الأداءات الجمركية بإفريقية ونصت على بيع السفن ولوللمسلمين، وبيع أي بضاعة أخرى للنصارى الآخرين.

وفي سنة ٧١٢هـ الموافق ١٣١٢م أبرمت معاهدة واتفاقية بين ميورقة من جهة وبجاية وتونس من جهة أخرى، شملت بنودًا عسكرية وأمنية وتجارية، وتقرر فيها الاعتراف بحصول الملك النصراني على نصف الأداءات الجمركية التي يدفعها رعاياه، علاوة على بعض الإعفاءات الجمركية.

ويجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين الطرفين قد اضطربت نتيجة لتوقيع أراغون معاهدة مع تلمسان عام ٧٢٧هـ الموافق ١٣٢٧م، وعند عودة بجاية للحكم الحفصي تم بين الملك الأراجونى بيدور الرابع والسلطان الحفصي أبي إسحاق الثاني التوقيع على معاهدة عام ٧٦١هـ الموافق ١٣٦٠م لمدة عشر سنوات نصّت على إتاوة سنوية طالبت بها أراغوان قيمتها ألفا دينارٍ ذهبية سنويًا.

وفي سنة ٧٥٥هـ الموافق ١٣٥٦م عقد ابن مكي مع البندقية اتفاقية ودية دائمة تحصلت

بموجبها الجمهورية البندقية على حق استغلال ملاحة رأس المخبز الشهيرة مقابل دفع أجور وإتاوات ضبطت مبالغها بدقة، وضبطت أيضًا الرسوم الجمركية على مختلف البضائع الداخلة للموانئ الإسلامية والخارجة منها، وأعفيت من الأداءات الموظفة على التصدير والمواد المصنعة في البلاد والمواد الغذائية اللازمة للملاحين، كما أعفيت من الأداءات الموظفة على التوريد، واستفاد الجانبان من تلك المعاهدات.

وفي عهد أبي فارس الحفصي سنة ٨٠٠هـ الموافق ١٣٩٧م أبرمت اتفاقية مع أهالي جنوة قضت تلك المعاهدة على تسوية جميع المسائل المتعلقة بممارسة التجارة وبالمسؤولية المالية، وتهمُّ التجار التابعين لجمهورية بيزة في إفريقية، وتناولت الاتفاقية تجريم ومعاقبة أي أعمال مناهضة لرعايا الطرفين، وكذا محاربة ومقاومة القراصنة.

وأبرمت اتفاقية بين السلطان الحفصي والبندقية في سنة ٨٣٦ هـ الموافق ١٤٣٨م قضت بتمديد اتفاقيات سابقة، وقبلت البندقية بموجب هذه الاتفاقية رفع الأداء الجمركي المعهود على القيمة من ١٠ إلى ١٠،٥، وتضمنت أيضًا تعهدات جمهورية البندقية بتسديد ٨،٧٥ دبلون من الذهب إلى السلطان الحفصي في مدة ستة أشهر لتعويض الخسائر التي كان سببها أحد أفراد البندقية ويدعى دي كانالي، وقد نتج عن هذه الاتفاقية ازدهار التجارة بين الدولتين، وأنشأ خط تجاري بحري يربط بين شمال إفريقية والبندقية وغيرها من مدن جنوب أوروبا، ومن ذلك التاريخ أصبحت السفن التابعة لذلك الخط تقوم كل سنة بزيارة أهم موانئ إفريقية والمغرب عمومًا.

وفي سنة ٨٧٨ هـ الموافق ١٤٧٠م أبرمت اتفاقية بين السلطان عثمان الحفصي ونابولي وأرجونة (صقلية)، تناولت الاتفاقية العلاقات الديبلوماسية وتمديد بعض الاتفاقيات السابقة، وتضمنت ضمان أمن الملاحة والتجارة بين الجانبين.

يقول برنشفيك: «وخلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط احتكر الأسطول البحري

التابع للجمهوريات الإيطالية البندقية وجنوة وبيرة وفلورنسا بصورة تكاد تكون مطلقة النقل البحري بين إفريقية من جهة وبين إيطاليا والشرق بما في ذلك المشرق الإسلامي من جهة أخرى، وكان رعايا تلك الجمهوريات يسيطرون في الموانئ الحفصية على جزء هام من التجارة الخارجية، وقد كان هناك ما يدعوأصحاب صقلية والبروفانس وكذلك قطلونيا وميروقة إلى إقامة علاقات رسمية سلمية مع إفريقية فكانوا حريصين كل الحرص على تحقيق تلك الغاية، وبصورة استثنائية سعت بعض الدول المسيحية النائية إلى إبرام اتفاقيات تجارية مع الدول الحفصية مثل دولة النرويج التوسعية في سنة ١٢٦٢م وفرسان رودس في سنة ١٤٧٨م حينما كانوا متخوفين من قدوم الأتراك، ومن بين جميع الدول الأجنبية لم تتحصل من سلطان إفريقية على دفع ضريبة نقدية سنوية سوى صقلية، وقد ظلت أسباب إبرام الاتفاقية المتعلقة بتلك الضريبة غامضة».

وبعد اندلاع ثورة عيد الفصح بصقلية انتقل دفعها لفائدة الأرجونيين، وأصبح محل منازعات بينهم وبين آل أنجوالمستقرين في نابولي، وكانت مملكة أرجونة الحقيقية تحاول الحصول على تلك الضريبة لفائدتها، وتمكنت سنة ١٣١٤م من الحلول محل صقلية والحصول على ضريبة سنوية من الدولتين الضعيفتين والمنفصلتين عن تونس وبجاية، وبعد انقطاع طويل تم الاعتراف بوجوب تسديد الضريبة الحفصية إلى مملكة أرجونة بمقتضى المعاهدة التي أبرمها أبوإسحاق الثاني ووزيره ابن تافراجين سنة ١٣٦٠م، وبعد ذلك ببضع سنوات تمكن السلطان المقتدر أبوالعباس وبصورة نهائية حسبما يظهر بالرغم من الادعاءات الأرجونية اللاحقة من تخليص إفريقية من ذلك العبء الذي اكتسى صبغة مهينة طول المدة.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الجانب الثقافي

١,٣ العوامل التي أثرت على الحياة الثقافية في طرابلس خلال العهود الإسلامية

العوامل التي أثرت على الحياة الثقافية في طرابلس خلال العهود الإسلامية (دراسة في العلوم العقلية في الفترة مابين ٢-١٠هـ، ٨-١٦م)

إن البحث في هذا الموضوع ليس أمراً سهلاً، ومرد ذلك إلى استحالة الحصول على معلومات وافية حول جوانبه المختلفة، لان مايتوفر عنه ينحصر في المحظوظات والوثائق والتي مازالت في حاجة للمزيد من التحقيق والبحث عنها في مكتبات العالم.كما إن ماكتب حول الثقافة الليبية هوعبارة عن كتابات متفرقة وعامة بالإضافة إلى تشابك المعلومات وربما ذلك يعود على طبيعة وموقع طرابلس.

مهما يكن من أمر فإن طرابلس التي هي جزء من المغرب العربي، قامت بدور كبير في مجال الفكر والثقافة ضمن ما قدمته هذه المنطقه من وإسهامات في الحضارة الإسلامية.

سواء أكانت هذه الإسهامات قد نمت بمعزل عن الثقافات وافدة، أم تداخلت مع غيرها من الثقافات وألفت ثقافة واحدة.

وعند التحدث عن الجانب الثقافي في طرابلس ومقارنتها بجاراتها في العهود الإسلامية أن نكون موضوعين غير متحاملين أومدافعين.. بحيث لا نقول إن الحياة الثقافية في وطرابلس، كانت على قدم وساق مع المراكز الثقافية الكبرى في المغرب العربي مثل تونس وفأس، ولا نبالغ بنفي دورها، بل علينا أن ننظر إلى الموضوع نظرة تحليلية واقعية موضوعية من خلال استقراء المصادر التاريخية التي بين أيدينا، والبحث عن المفقود منها لإظهار دور طرابلس في الحياة الثقافية تجدر الإشارة هنا الى أنه من الصعب الفصل بين التاريخ السياسي لطرابلس وبين الجانب الثقافي، لان هذا يعكس ويبرز وضع طرابلس بين المراكز الإسلامية المجاورة (تونس القاهرة، مراكش) إذا يتضح لنا من خلال دراسة التاريخ السياسي أثره على الحياة

الثقافية من حيث الازدهار والضعف، وعلى ضوئه سنتفهم بموضوعية مكانة طرابلس الثقافية، وهي وإن كانت لا تضاهي المراكز الأخرى إلا إن ما كان بها من علماء وما قدموه من ذخائر العلوم الدينية والدنيوية في الحضارة الإسلامية لا يستهان به، وعلينا قبل أن نمضي في تتبع ملامح الحياة الثقافية في طرابلس خلال الفترة التي نعالجها، يجدر بنا أن نتوقف هنيهة لنحاول تعليل ضعف الحياة الثقافية في من خلال طرح السؤال التالي لماذا لم تشتهر ليبيا في مجال العلوم العقلية خاصة،والعلوم الأخرى عامة كما هوالحال في مصر وتونس المغرب والعراق.

إن محاولة تعليل هذه الظاهرة ليس أمرا سهلا، غير أن هناك بعض الباحثين تصدوا لتعليلها منهم الدكتور إحسان عباس الذي علل أسباب هذه الظاهرة في مجمل حديثة عن العلماء والأدباء بقوله يرجع ذلك:

١. إن العلماء الليبيين لم يتصلوا ببلاط الملوك في القيروان أومصر إذ أن أغلب العلماء والأدباء ترجع شهرتهم الى اتصالهم ببلاط السلاطين.

٢. هجرة الكثير من أبناء ليبيا إلى المغرب أوالمشرق.

٣. عدم وجود عاصمة سياسية مستقرة فطرابلس لم تتبلور كعاصمة إلا في فترات محدودة رغم ذلك لم تستطع أن تكون مركزاً كبيراً لملتقي علماء البلاد.

أما النعمان عبد المتعال يعلل ذلك بسبب عنف المعارك وقسوة القتال وإلى الهجرات العربية. أما البرغوتي يرجع ذلك إلى عدة أسباب منها، بعد طرابلس عن مركز الخلافة، اتساع ليبيا وفقرها وقلة عدد سكانها، الفرق الاجتماعي بين البر والعرب، هجرة العلماء والأدباء.

ويمكن أن نعلل هذا الظاهرة ضمن المؤثرات التي تؤثر في الحياة الثقافية بصفة عامه ليظهر لنا بعض الأسباب بالإضافة إلى الأسباب السابقة.

مؤثرات الحياة الثقافية:

هناك العديد من المؤثرات التي تؤثر في الحياة الثقافية سلباً أم إيجابا.

أولاً المؤثرات السلبية:

إن الظروف السياسية التي سادت ليبيا كانت في بعض العهود غير مساعدة على نمووازدهار الحياة الثقافية فيها، حيث ان الفترات التي كانت تتوافر فيها ظروف الاستقرار كانت أقصر إذا قسناها بتلك الفترات الأخرى التي كانت تتسم بالفوضى والاضطراب ومن أسباب ذلك ما يلي:

١. سوء الإدارة:

مع نهاية القرن الأول الهجري كان الإسلام، قد استقر بليبيا ثم تجاوزها حتى عم بقية أقطار المغرب العربي والأندلس، وكانت سياسة الولاة في الفترة الأول من الفتح الإسلامي تمتاز بالمساواة والتسامح مع الاهالي، وأثر ذلك فيهم فتحول كثير منهم إلى الإسلام خاصة في فترة حكم حسان بن نعمان (٧٣-٨٥ هـ) ومن جاء من بعده من ولاة صالحين سعوا على تطبيق مبدأ المساواة معهم. إلا أنه بعد ذلك وخاصة في الفترة ما بين (١٠٢-١٣٢هـ) تولى خلفاء وولاة، ليسوا بالصلاح الذي كان عليه من سبقهم أدى ذلك إلى سوء الأحوال السياسية والإدارية، فكان ذلك عاملا أساسيا من عوامل الثورات التي قام بها البربر على العرب في ليبيا.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور إحسان عباس: «إن اعتناق الاهالي للمذهب الخارجي ذودلالات عميقة، فهويعبر عن ميلهم إلى التشدد في فهم التعاليم الإسلامية وتمسكهم تمسكا يصبح قوة معارضة ضخمة في وجه الدولة حين يسلك ولاتها مسالك اجتهادية يشوبها التساهل في ممارسة

بعض الأمور بحكم تطور الزمن، وهو يدل على تشبث بتطبيقها دون خلل - وذلك أمر لا

يدرك مدى العسر فيه إلا من اضطلع بمسؤولية تطبيقه وحين يصبح الدين سلاحا فقد تختفي وراءه نزعات أخرى كالعصبية العنصرية والرغبات المادية وغير ذلك - ولكن ثورات البربر في اغلبها -كان غضبها المحنق على أهدار الحقوق».

كما يقول محمود ناجي في هذا الصدد: «إلا أنه في أواخر حكمهم (الأمويين) أدى سوء تصرف بعضهم لإغراق إفريقية وخاصة طرابلس في الفتن والحروب الأهلية».

ويضيف البرغوتي: «لم يكن (ثورات الاهالي) ناجمة عن تعصب للعرقية البربرية في مجابهة العرقية العربية، بقدر ما كان ناجمة عن تشابه النظرة للحياة والتعلق بالحرية المطلقة والتمسك بالديمقراطية المتطرفة،ذلك أن البربر (الاهالي)، شأنهم في ذلك شأن العرب من حرية وانطلاق لذلك فقد كانوا نزاعين

بطبيعتهم إلى تلك الحرية وعلى ذلك الأساس فإن الوالي العربي المسلم أوالبربري إذا لم يتصرف وفقا لروح الإسلام ثار عليه البربر المسلمون».

٢. الصراع العقائدي:

كان الاختلاف العقائدي بين (السنة والإباضية) من عوامل ضعف الحياة الثقافية في هذه الولاية. رغم أن هناك فترات سلام وأن لم تدم طويلا، فكان الصراع بين الاغالبة والرستميين يأخذ إضافة الى جوانبه السياسية وجها أخر وهوالجانب العقائدي. وكان إلى جانب ذلك اختلاف أخر في فترة الحكم الفاطمي (٣٠١- ٣٦١هـ) كان بين السنة والإباضية ضد الشيعة الإسماعلية، خلال (٣١١هـ - ٣٦١هـ) إلا أن هذه الفترة تتسم بالهدوء النسبي عن الفترة السابقة (الاغالبة والرستيمة).

٣. الصراع السياسي:

أن المتتبع لتاريخ ولاية طرابلس خاصة، يلاحظ أنها كانت منطقة صراع بين القوى

المتصارعة على الحكم من الشرق والغرب، وغالبا ما كانت القوة المهيمنة من الغرب، فمثلا الاغالبة يرون في طرابلس ولاية تابعة لهم،وفي نفس الوقت يرى سكانها أنه يجب أن يكون لهم حكم داتي.وهذا جعلها في صراع دائم مما حرمها من الاستقرار أسوة بالمراكز الحضارية الأخرى كالقيروان والقاهرة. إذ ظلت هذه المنطقة تشهد نزاعات وحروب بين الدول المتصارعة (الاغالبة والطولونيين والرستمين) كل منها تعمل على جعلها خاضعة لها، وفي نفس الوقت كان ولاة طرابلس يسعون كلما حانت لهم الفرصة لإعلان تمردهم محاولين تكوين حكومة مستقلة على غرار جاراتها، وهذا كله اثر بطبيعة الحال على الأوضاع الثقافية في البلاد، ففي فترة حكم الاغالبة تعاقب على ولاية طرابلس (١٧٩- ٢٩٦ هـ) أكثر من تسعة ولاة قام سكان طرابلس بالعديد من ثورات التمرد ضدهم،كذلك عندما أصبحت طرابلس تابعة للفاطميين بعد موقعة جادوسنة (٣١١هـ) قام سكانها بالثورة عليهم، إلا أن بوجه عام تمتعت ولاية طرابلس باستقرار نسبي في عهد الدولة الفاطمية.

كما شب صراع بين الصنهاجيين والرناتيين (٣٦٧- ٣٩١هـ)، وبينخزرون والزناتيين (٣٨١- ٥٤٠ هـ) كل ذلك اثر في الحياة الثقافية في ولاية طرابلس.

كما كانت الأطماع النصرانية في الاستيلاء على مدينة طرابلس تمثل جانبا آخر من الأخطار التي تتهددها، حيث سقطت في يد النورمان (٥٤١-٥٥٣ هـ) كما اتخاذ أعداء دوله الموحدين طرابلس مسرحا لمنازعاتهم السياسية المريرة جرموها من الأمن والاستقرار، فأصبحت طرابلس منطقة شدّ وجذب ما بين الحفصين أنصار الموحدين، وبني غانية وقرقوس ومماليكه خصوم الموحدين أضاف إلى ذلك غزوالأسبان وفرسان القديس يوحنا، وآخر هذا الفترة بسيطرة الدولة العثمانية على ليبيا.

٤. الهجرات العربية:

لونظرنا إلى التركيبة السكانية في ليبيا في فترة العهود الإسلامية، لنجدها تتكون أغلبها

من الاهالي الذين لم يكن لهم مراكز حضارية واضحة، ولم يكن لهم اهتمام بالعلم فهم أغلبهم من البدو، بالإضافة إلى لوافدين وهم الفاتحون أومن القبائل المهاجرة وجلهم من عرب اليمن وهم أيضا من البدوالتي تغلب عليهم النزعة القتالية وعدم الاستقرار،وعدم الخضوع إلى السلطة الإدارية،فهم ينقادون إلى حكم العشائر أكثر من النظام الدولة لهذا لم يلتفتوا لدراسة العلم، فهم رجال حرب أكثر منهم رجال علم ولقد اختلف المؤرخون بعد اتفاقهم على دور الهجرة الهلالية الذي لا ينكر دورها في تعريب البلاد، اختلفوا في تقديرها والحكم عليها فيعتبرها كارثة من الناحية الحضارية، ويعتبرها بعض الآخر نافدة فتحت أعين البلاد على الحضارة الأجنبية، ويعتبرها بعضهم سبباً في تدمير البلاد والإتيان على ما فيها من أخضر ويابس، ويعتبر بعض آخر دمار البلاد كان سابقا هجرة بنى هلال وسليم ويقلل من تقدير الدمار الذي لحق البلاد على أيديهم.ومجمل هذا الآراء لخصها الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في قوله: «الحقيقة التي لا يطرقها شك أن العرب لما قدموا فاتحين لم يجدوا في البلاد سوى خرائب متهدمة تعلوها مسحة من زخرف قديم أبلاه الدهر وغير نضارته الزمان لتعاقب الفتن وتوالى المحن. ولم يصيبوا غير مدائن متداعية البنيان، نزرة السكان، ضعيفة الإيراد...ولهذا السبب لم يفكر العرب في نصب مركزهم الذي عزموا على إيجاده في البلاد المفتوحة على أنقاض إحدى تلك المدائن البالية...ولوأن في البلاد عاصمة قديمة تناسب الفاتحين لما ارتادوا سواها،كما فعلوا في الشام وطليطلة ثم قرطبة في الأندلس».

٥. فقدان الإدارة المركزية:

إن المراكز الحضارية التي قامت في ليبيا قبل الإسلام وبعده لم تصل إلى مستوى المراكز الحضارية الإسلامية في المغرب أوالمشرق، ولذلك ظلت طرابلس حضاريا واقعة تحت الحضارات المجاورة لها من الشرق والغرب وهذا يرجع إلى أن ليبيا وخاصة طرابلس لم تكون عاصمة مركزية على غرار العواصم الأخرى، رغم أنها استطاعت أن تكون ذلك في بعض الفترات إلا أن هذا لم يستمر طويلا لان المقومات الحضارة في طرابلس كعاصمة

لم تكون متوفرة باستمرار فيها بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية،إذ أن العلوم وليدة العواصم، لهذا نلاحظ أن قبلة العلماء دائما تكون نحوالعواصم الكبرى. فأغلب النفوس تطمع إلى الشهرة إن لم تكن تطمع إلى الثروة والعكس صحيح. فلهذا كان العلماء من ليبيا يهاجرون إلى المراكز الحضارية التي تملك من المقومات ما لا تملكها ولاية طرابلس ولا وولاتها من الجانب الحضاري والاقتصادي والسياسي فهي في اغلب العهود الإسلامية ولاية ضمن ولاياتالمغرب العربي ولم تكن محط الطامعين للشهرة والثروة.

٦. العوائق الجغرافية:

نقصد بذلك المناخ والتضاريس والسكان، تحتل ليبيا مساحة كبري من مساحة المغرب العربي فهي تطل على ساحل البحر المتوسط، ومتوغل في الجنوب، ومدنها غير مرتبط بسبب الموانع الطبيعة منها الصحراء. كما قلة المياه فيها واعتمدها على الأمطار الجوفية هذا يجعل لا يستقر، فيها عدد كبير من السكان فلهذا نجد تجمع السكان في مناطق متفرقة من ليبيا حيث تتوافر أساليب العيش من ماء وارض صالحة للزراعة والمواني والمحطات التجارية، وهذه العوامل الطبيعية لا تشجع على تكوين مجتمع مدني يودي إلى تكوين عاصمة بمقوماتها الأساسية.

إلى جانب ذلك كانت منطقة نزاع بين القوة الحكم سواء من المشرق أومن المغرب، هذا أدي إلى كثرة الحروب والفوضى والاضطراب مما أثر في الحياة الاقتصادية وبالتالي في الحياة الثقافية.

٧. اتساع مفهوم الهوية:-

لم تكن الحدود والأقاليم واضحة المعالم في العهود الإسلامية، فكان المسلمون مواطنين في عالم الاسلامي واحد حر لا يعترف بشيء من الحدود السياسية، مما جعل العالم أوطالب العلم يتنقل بين الأقاليم الإسلامية لا ينتسب إلى طرابلس ولا إلى تونس والى مصر بل إلى

الإسلام ويرى أن جميع الأقاليم الإسلامية وطنه. لذا نجد كثير من علماء الشرق استقروا في الغرب وبالعكس، ولكن ربما يقال هذا عالم مشرقي أومغربي أوفارسي ولا يقال هذا تونسي وهذا مصري وهذا عراقي، فوحدة الدين هي الغالبة بين العرب في العهود الإسلامية.

- ثانيا المؤثرات الايجابية:

من المؤثرات الايجابية والتي ساهمت في الحياة الثقافية:-

١- الموقع:-

تعد ليبيا حلقة وصل بين المشرق والمغرب الإسلامي، فموقعها المتوسط جعل منها نقطة التقاء وتفاعل، وجسر عبور لقوافل التجارية، التي كانت تحمل إلى جانب البضائع الكتب والأخبار من البلاد الوافدة منها سواء من الشرق أومن الغرب. كما كانت ممرا للكثير من المسافرين والرحالة والحجاج والعلماء المغاربة وهم في طريقهم إلى المشرق ولعلماء المشارقة وهم في طريقهم الى المغرب. وكثيرا منهم كان يفضل البقاء لمدة من الزمن قد تطول، وقد تقصر كما. وفعل الأمام سحنون بن سعيد الذي كان يلقب «بسراج القيروان (١٦٠- ٢٤٠هـ) الذي أقام في ليبيا مدة من الزمن في طريق رحلته لطلب العلم في المشرق سنة (١٨٨هـ) وقد درس في كل من طرابلس وأجدابيا، والذي نقل عنه قوله «كان بأفريقية رجال عدول، بعضهم بالقيروان وتونس وطرابلس...لوقورنوا بمالك بن دينار لساووه «وهذا الموقع أعطى فرصة لليبيين أن يلتقوا بالأعلام والعلماء، ويأخذوا عنهم.

انتشارا لإسلام وإرساء اللغة العربية: استقر الإسلام في البلاد ورسخ منذ بداية القرن الثاني للهجري. ولم يصب بأي نكسة منذ ذلك الوقت. ومما زاد من رسوخ الإسلام في المنطقة قيام دويلات بربرية، ووجود كثير من الفرق الإسلامية والمذاهب الفقهية وشدة التنافس بينها ومحاولة أعوان كل فرقة أومذهب أن يكسبوا أنصاراً جددا وأن يكون لهم السلطان دون

غيرهم، وكذلك من العوامل التي حافظت على الإسلام في هذه المنطقة، ما قام به بعض الخلفاء والولاة من جهد لنشر الدين واللغة بإرسال العلماء وفقهاء لتعليم السكان في ليبيا والمغرب العربي الدين الإسلامي واللغة العربية، مثل ما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز والهجرات العربية وقيام دويلات أسلامية وانتشار المساجد.

ازدهار الجانب الاقتصادي:-

تأثرت الحياة الاقتصادية في ليبيا سلبا وايجابا بالاضطرابات والثورات السياسية التي حدثت فيها، إلا أنه خلال فترة الهدوء والاستقرار السياسي التي عاشتها نشطت الحياة الاقتصادية وازدهرت في طرابلس والأقاليم الأخرى مما أثر إيجابا حياتها الثقافية،إذ من المعروف أن ازدهار الاقتصاد غالبا ما يصاحبه ازدهار في الحياة الثقافية، بما يحققه من رخاء بين أفراد المجتمع مما يجعلهم يلتفتون إلى تعليم العلوم واقتناء الكتب وبناء المساجد وفتح المدارس مثل مدارس الاباضية في جبل نفوسة ومدرسة المتنصرية، وازدهرت المكتبات بذخائر العلوم من الشرق والغرب.وهذا ما أشار إليه البكرى في مصنفه عند حديثه عن ليبيا، حيث وضح لنا أن ليبيا قد تقدمت اقتصاديا خاصة في المجال ا الزراعي والحيواني في النصف الأول من القرن الخامس الهجري عما كانت عليه في القرون السابقة.

الحكم الذاتي واستقرار الأوضاع السياسية: -

لقد أشرنا في المؤثرات السلبية للحياة الثقافية أن ليبيا كانت متقسمة على نفسها مذهبياً وسياسياً. وكانت الانقسامات المذهبية خاصة ذات أثر واضح في تاريخ ليبيا علميا السياسيا، فعلميا تأثر الحياة الثقافية بالاوضاع السياسية التي مر بها الاقليم، أما سياسيا كانت البلاد ميدان صراع بين دولتي المشرق والمغرب، إضافة إلى اضطرابات وثورات داخلية بسب رفضها ألتابعيه للدول المجاورة. إلا أنها تمتعت بفترات الهدوء، كان فيها ليبيا نوع من حكم ذاتي، وذلك عندما تولي الحكم أسرة بني خزرون وأسرة بني مطروح (٥٤٠هـ) وأسرة بنى ثابت

(٧٣٠ -٧٩٢هـ) هذا الأمر ساعد على ازدهار الحياة الثقافية في طرابلس خصوصا.

كما أنها حضت بحكام على درجة من الصلاح سعوا إلى دعم الحياة الثقافية، فأصبح بلاط الحكم في طرابلس مقصدا للعلماء أمثال ابن كافي، أفلح الناشب، عبد الله بن يخلف الكتافي أبوالفتوح زيان الصقلي (٣٤٠هـ) باسلى الصقلي والشيخ محمد بن أبي حفص.

عوامل أثراء الحياة الثقافية : -

المساجد لم يكن المسجد حينذاك مجرد مكان للعبادة والصلاة، وإنما كان كذلك مدرسة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، فهومكان لإلقاء المحاضرات، والاستماع إلى الدروس، وهومجمع للطلاب والأساتذة، وهوإلى جانب ذلك يحوي في العادة - أماكن خاصة لسكني الأساتذة والطلاب المغتربين وفي هذه الفترة موضوع الدراسة -لم تك تخلومدينة أوقرية ليبية تخلومن مسجد أوأكثر ومنها ما أسس في وقت مبكر مع الفتح، ولقد زار التجاني طرابلس في أوائل القرن الثامن الهجري، ولفت نظره فيها كثرة مساجدها، حتى قال عنها: «مساجد البلد لا تحصى كثرة وهي تكاد تناهز الدور عددا »وقال في مكان آخر: « بخارج البلد مساجد كثيرة مشهورة بالفضل »ومن أشهر مساجد ليبيا:-

المسجد الجامع الذي بناه عمروبن العاص بزنزور والآخر الذي بناه في طرابلس أمام باب هواره مسجد الشعاب وقد تم بناؤه في القرن الثالث الهجري ومازال قائما ومسجد خطاب بخارج مدينة طرابلس وينسب للشيخ أبي نزار خطاب البرقي مسجد الجدة، وسمي بذلك لأن إحدى جدات بنى الأغلب قد بنته وعرف باسم البارزي وبمسجد أبي عثمان سعيد بن خلفون.مسجد المجاز، وجامع طرابلس الأعظم بني في القرن الثالث الهجري على يد عبد الله بن أبي مسلم بن اسحاق مسجد العشرة بني في النصف الأول من القرن السادس الهجري ومسجد الزروق، وجامع الناقة ونظر ما تقوم به هذا المسجد من دور أثر في انتعاش الحياة الثقافية.للمعرفة المزيد عنها انظر كتاب أحمد مختار النشاط الثقافي.

الرباطات:

هي من الأنظمة الدفاعية بنيت منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، لتقوم بدوريها الديني والدنيوي، أى الجهاد والدفاع والتعليم، وقد ذكر الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة في بحثه «الرباطات الساحلية الليبية «أن القصور بين قابس وطرابلس عددها ٢٥ قصرا، وأن القصور من طرابلس إلى سلوق عددها ٣٨ قصرا. وأن سواحل برقة كانت ذات قصور عديدة متقاربة كالسواحل الطرابلسيه. ويعتبر رباط طرابلس من أقدم الربط في إفريقية وقد شيده الوالي العباسي هرثمة بن أعين سنة (١٧٩هـ) ولم تكن الربط الليبية إلا جزاءاً من الربط المنتشرة على طول سواحل الشمال الإفريقي، وهي من الكثرة بحيث جعلت الخطيب بن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ) يصفها بقوله: «إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة، وذلك مسافة تسير فيها القوافل نحومن شهرين، في كل محرس منها رجال مرتبون نظار وإطلاع يكشفون البحر فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين، إلا والتغير يبدو في المحارس.

وكان من بين المرابطون في هذه الأربطة علماء وطلاب علم يقومون - بجانب علمهم الجهادي والدفاعي - بالتعليم والتعلم وبنسخ الكتب وببعض الأعمال الصناعية والزراعية التي يتعيشون منها.

كان هؤلاء المرابطين يشجعون طلاب العلم، ولنا في ترجمة أحد علماء تونس المرابطين، مثلا لما كان عليه رجال العلم والدين داخل أسوار الربط. كان من عادة المرابط أبي يونس نصير، إذا زاره بعض أهل سوسه في رباطه المعروف برباط الطوب، وكان معهم أطفال صغار، كان يسأل أولياء أمورهم هل يتعلمون بالكتاتيب؟ فإذا كان الجواب إيجابا أهدى إلى أولئك الصغار أقلاما من القصب، كان يبريها بنفسه ليهديها للصغار، تشجيعا لهم للإقبال على العلم ممن اشتهر بتعليم الأطفال في القرن ٩هـ الشيخ على العوسجي وعرف باسم «مؤدب الصبيان».

الزوايا (الكتانيب):

الزاوية هي في لأصل مكان معد للعبادة مثل المسجد، يفضل فيها تعليم الأطفال على المسجد بسبب سلوكهم واحتراما لبيوت الله، ويلجأ أليها طلاب العلم ولاسيما الفقراء منهم، وقد تكون في نفس الوقت مسكنا للطلبة والغرباء، ومكان لاجتماع المريدين، وتكون في الغالب مسماة باسم أحد الأولياء المرابطين.

وانتشرت الزوايا في البلاد في القرن التاسع الهجري ن ولاسيما في النصف الثاني منه وذلك لانتشار التصوف بحيث كانت في كل مدينة وقرية. وفي الغالب يدفن الوالى في زاويته، وقد يلحق بالزاوية مسجد هي تحظى بتبرعات وبأوقاف أكثر من المسجد والمدرسة، لاعتقاد الناس في ولى الزاوية وفي بركاته، والزاوية أكثر التصاقا بالناس، وأقل تأثرا بنفوذ الحكام.

وعملت الزوايا على نشر التعليم في الدواخل. وجعلته في متناول الجميع، واهتمت بتدريس الدين والتصوف ومن هذه الزوايا زاوية أولاد سهيل التي اسسها أولاده بعد وفاته سنة (٦٧٤ هـ) بالزاوية، وقد زارها التجاني، ورأى فيها كتبا كثيرة محبسه. ومازالت هذه الزاوية صداً للطلاب للحفظ القرآن، وبها حجر كثيرة يسكنها الطلبة، ولها أوقاف كثيرة تصرف على ما يحتاج إليه الزاوية من إصلاح، وفي مساعدة الطلبة الغرباء ومن زوايا مدينة الزاوية الغربية أيضا زاوية أولاد سنان، وهم أخوة الوشاحين والنوائل، وهم بنوسنان بن عامر بن جابر وعامر هوأبوشاح وزاوية يوسف الجعراني، وهي من زوايا مدينة مسلاته، وقد أسسها الشيخ يوسف الجعراني في حياته وكان يعيش في سنة (٨٢٠هـ) وزاوية الدوكالي وكان يتردد عليها في عهد كبار المتصوفة أشهرهم عبد السلام الشيخ محمد الفاسي ومن زوايا مدينة مصراته زاوية الشيخ أحمد الزروق التي كانت موجودة قبل (٩٠٢هـ) حسب ما ذكر ذلك البرموني، وكانت تدرس بها العلوم الشرعية واللغوية إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وتلقين التصوف. وزاوية إبراهيم المحجوب.

ومن زوايا مدينة زليطن وزاوية زاوية الشيخ عبد السلام التي أنسئت في القرن التاسع

الهجرى، وقد أوقفت عليها أوقاف كثيرة يصرف منها على احتياجاتها وعلى الطلبة الغرباء، لذلك فقد كثر عدد الدارسين بها وهي كغيرها من الزوايا التي كانت يدرس بها العلوم الشرعية واللغوية والتصوف، إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، ومن أشهر الذين درسوا بها في القرن العاشر كريم الدين البرموني،وعمر بن حجا، وأحمد بحر السماح وزاوية الحطاب نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحطاب الكبير (ت ٩٤٥هـ) المكتبات والدكاكين الوراقين كانت البلاد تزخر بالعديد من خزائن الكتب في المساجد والمدارس والزوايا بالإضافة إلى والخزائن التي يحتفظ بها العلماء والفقهاء في دورهم.إلا أن عدم استقرار الأوضاع السياسية في البلد، أدى الى سلب ونهب وحرق هذه المكتبات مثل خزائن جبل نفوسه التي كانت مملوءة بالك النفيسة، التي حرق معظمها في الفتن المتصلة التي لحقت بالح بعد القرن العاشر. إلا ان هناك الكثير منها لم تصله يد العابثين وأن وصلتها لم تقضى عليها. منها مكتبة زاوية أولاد سهيل التي زارها التجاني ومكتبة زاوية عبد السلام، التي تحتوي على نحوخمسمائة مجلد من الكتب الثمينة، والمكتبة التي تعرف باسم «خزانة نفوسة «وقد كان بها في عهد أفلح الالآف المؤلفه من الكتب، وكان مقرها بمدينة شوس في جبل نفوسة ومن المكتبات الخاصة مكتبة محمد المكني التي وصفها «ابن ناصر الدرعي «بقوله» إن خزانته لا توجد لأحد لأن المكني هذا كان فقهيا وبيته بيت علم. وهومفتي ومدرس وكان يتمتع بالذكاء والريادة». وذكرها العياشي بقوله «أن محمد بن المكنى يمتلك مكتبة كبيرة ليس مثلها لأحد من أهل البلده «ومنها مكتبة العالم والفقيه عبدا لله الخروبي في قرقرش قبل سفره الى المغرب ومكتبة العالم والفقيه أبومحمد عبد الحميد بن ابي الدنيا ومكتبة المكنى ومكتبة أحمد النائب التي تعد من أكبر المكتبات تضاهي مكتبة الأحمد ين..أحمد تيمور وأحمد زكي كما يقول ذلك المصراتي ومن المكتبات القديمة الخاصة والتي أشار إليها الدكتور عبد الحميد الهرامة في مقالة عن أهم مراكز المخطوطات: مكتبة آل منيع، مكتبة ضوي بغدامس، مكتبة زاوية أبي ماضي، ومكتبة محمد النعاس قرزة بنسمة، ومكتبة آل عمار أنشأها الشيخ محمد بن عبد

الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد عمار سنة (١١٨٠هـ) وغيرها كثيركما أن دكاكين الوراقين كان لها دور في الحياة الثقافية،فلم تقتصر مهمتها على بيع الورق وأدوات الكتابة وبيع الكتب بل كانت تقوم بدوركبير في نسخ الكتب وتصحيحها جليدها وعرضها والتعريف بها ونشرها وتوزيعها،كما كانت ملتقي للعلماء والأدباء والمثقفين وليست لمجرد بيع الورق والكتب.

المدارس:

عرفت المدرسة بمعنى المكان المخصص للتعليم في البلاد من عهد بعيد، وكانت أول مدرسة أباضيه في الجبل الغربي مدرسة بن يمكتن بقرية أفاطمان بالرحيبات وذلك قبل سنة (١٣٥ هـ/٧٢٥م)، وكان يتعلم الطلاب فيها القراءة والكتابة ويحفظون القرآن والأحاديث. وأول مدرسة مالكية في المغرب تأسست على نمط مدارس المشرق كانت بمدينة طرابلس ما بين (٦٥٥/ ٦٥هـ). وكثرت المدارس ولا سيما في مدينة طرابلس، وقرى الجبل الغربي إذ ذكر التجاني عندما زار طرابلس «بأن داخل البلد مدارس كثيرة «مازالت كثير من مدارس الجبل الغربي قائما الى لأن بعض هذه المدارس ألحق بها أقسام داخلية يأوي إليها طلبة البلدان البعيدة، وكما أسست مدارس لتعليم للبنات، وكانت أقدم مدرسة انشئت في القرن الثاني الهجري - بجهود الأهالي افاطمان وما حولها من قري منطقة الرحيبات في قرية أمسن، وكان بها قسم داخلي تشرف عليه مربية تسمى أم يحي زوجة أبي ميمون وكان احد اغنياء المنطقة يدعي الباروني ينفق على الاقسام الداخلية فيها.

ومن مدارس الاباضيه التي نشت في القرن الثاني هجري وظلت تشيع العلم الى القرن الحادي عشر مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس، وكان لهذه المدرسة مجموعة من الفروع في مختلف القرى والمدن، ومدرسة الرخام بطرابلس، ذكر البرموني أنه درس بها مبادئ الحساب والفرائض والفلك، كما ذكرها الخروبي عرضا في كتابه «ذكر بعض الأولياء.

ومن مدارس طرابلس أيضا مدرسة المنتصريه التي بناها الفقيه أبومحمد عبد الحميد بن

أبي البركات بن ابي الدنيا بين عامي (٥٥٥ـ٥٥٨هـ) في عهد الموحدين وقد وصفها التجاني بقوله «وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعا وأظرافها صنعا» ومدرسة ابن ثابت ذكرها الرحالة أبي الحسن على القلصادي في رحلته، ذكر أنه وصل طرابلس في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٨٥١هـ)، أقام بها. وغيرها من المدارس التي أشار إليه الأستاذ أحمد مختار في كتابه النشاط الثقافي في ليبيا لا مجال لذكرها.

الرحلات:

إتاحت الرحلات من المغرب إلى المشرق وبالعكس فرصة فريد لتأسيس علاقات فكرية وثقافية بين ليبيا وجيرانها، نظرا لموقعها فهي همزة وصل بين الشرق والغرب.

ومن العلماء المغاربة الكبار الذين مروا بليبيا وبقي بعضهم فيها لفترة من الزمن والتقى بعلمائها وسجل ملاحظاته على معالمها وأحوالها العالم والرحالة المغربي «ابن رشيق «الذي مر بطرابلس سنة (٦٨٥هـ) والعالم والرحالة المغربي «عبد الله التجاني «الذي قام برحلته إلى طرابلس فيما بين سنة (٧٠٦هـ) والرحالة «محمد بن عمر بن رشيد الفهري الذي زار طرابلس سنة (٦٨٤هـ) والرحالة «أبوعبدالله محمد بن العبدري الذي زاراها في سنة (٦٨٨هـ) وكذلك من الرحالة الذين زاروا طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري وكتبوا عنها الرحالة أبوسالم العياشي ومن العلماء المغاربة الذين مروا بطرابلس وهم في طريقهم إلى المشرق الفقيه والعالم الانددلسي الموسوعي «أبوبكر بن العربي «(ت٥٤٣هـ) الذي كان من بين تأليفه الكثير كتاب العواصم من القواسم «وكتاب «الاحكام «الذي يعتبر كتابا تربويا يحتوي على كثير من التوجهات التربوية القيمة. والفقيه «أبومحمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري «الذي مر بطرابلس سنة (٦٥٤هـ) وقد طالت إقامته بطرابلس بحيث استطاع بعض الطلاب الليبيين أن يدرسوا عليه بعض الكتب العلمية وذلك مثل كتاب «الكافي في الفرائض» لابن المنمر وغيره من الكتب.

ومنهم أيضا العالم الفقيه والمؤرخ ابن خلدون الذي زار مدينة طرابلس وبقوا فيها لفترة من الزمن يدرس ويحاضر فيها ويجالس علماءها والمتصوفين فيها ومما يدل على أن تلك الرحالات كانت تعطي فرصا لطلاب العلم في طرابلس وغيرها من الاقاليم، بلقاء بالعلماء من الاندلس والمغرب وتونس، ولأخذوا عنهم كثير من العلوم وهم في بلدهم.

نذكر منهم «أبا اسحق إبراهيم الاجدابي الذي عرف بابن الأجدابي وهومن علماء القرن الخامس الهجري.

ولم يكن له رحلة خارج طرابلس وعندما سئل من أين له هذا العلم ولم ترحل ؟ أجاب: «اكتسبته من بابي هوارة وزناتة «وهما بابان من أبواب طرابلس وإجابته هذه إشارة إلى أنه استفاد علمه من لقائه للعلماء الذين يمرون بطرابلس، عن طريق هذين البابين مشرقين أم المغربين.

ومعنى هذا أن طرابلس كانت ملتقي كبار العلماء ومنهم الشيخ «أبوفارس بن عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد، ومن خلال الاطلاع على مصادر ثقافة الشيخ المتمثلة في مشيخته، تتضح لنا منابعها الأصلية ان من علماء مشارفه ومغاربة، عبروا طرابلس، ومن شيوخه الفقيه «أبوالحسن إبراهيم محمد بن إبراهيم الأندلسي البسطي، الذي اجتاز طرابلس قافلا من الحج،فقرأ عليه بعض تأليفه في اللغة العربية، وسمع عليه شيئا من نظمه، وقد روى عنه «المذهبه «لابن المناصف ومنهم الفقيه أبوالعباس الأعجمي، ورد من المشرق على مدينة طرابلس، قاصدا المغرب فقرأ عليه بعض العلوم الدينية لابن الخطيب، ومنهم الفقيه القاضي أبومحمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي، وصل طرابلس قاضيا.وغيرهم كثير،وممن زار طرابلس والتقي بعلمائها ودارت بينه وبينهم مناظرات العالم المغربي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي ويكنى بأبي على (ت ١١٠٢هـ) في رحلة التي قام بها سنة (١١٠١هـ)، حيث كانت له مناظره مع العالم محمد بن

أحمد بن عبدالله المكني التنوخي (١١٢٨ هـ) الذي قال عنه العياشي «كان أعلم أهل ذلك الساحل تولى الفتوى ببلده مراراواشتغل بالتدريس وله مشاركة حسنة في فنون كثيرة».

المناظرات:

كانت المناظرات تجرى بين العلماء والفقهاء من أجل مسألة اوقضية عقائدية. حيث يجلس العلماء فيتناظرون ويتناقشون على ملأ من الناس..كل يدلي برأيه، ويلقي بحجته، وتتطلب هذا الفن من العلوم خبرة وأسلوباً ومنهاجا خاصا كما يتطلب سعة الحيلة الى جانب الإفاضة في المادة والفصاحة في النطق والبلاغة في التعبير وحسن الإلقاء وهذا ماكان متوفرا عند علماء المناظرات في طرابلس منهم أبوفارس عبد العزيز بن عبيد ومن علماء الاباضية الذين ناظروا المعتزلة أبوالمنيب محمد بن يانس الدركلي.

وممن برع في المناظرات ايضا ابن الاجدابي فلقد كان إلى جانب تمكنه في الفقة بارعا فيالجدل ومعرفة الآداب والأصول التي تتبع في المناظرة بين اهل المذاهب الفقهية كما كان محمد بن سالم المعروف بالعقعق على علم بالجدل والنظر ومن العلماء الذين ناظروا القدرية وألف في هذاكتاب أحمد بن نصر الدودي (ت٤٠٢هـ) بعنوان «الرد على القدرية».

الإنتاج الفكري في العلوم العقلية:

على الرغم من عدم وصول الكثير من المخطوطات والوثائق التي تشير إلى الحياة الثقافية في ليبيا طوال العصور الاسلامية غير أنه يمكن أن نستدل مما وصلنا على أن هناك علماء ومشائخ كانوا ذا علم واسع، وساهموا مساهمة فعالة في النشاط الفكري في المغرب العربي. وإن كان يغلب على نشاطهم الفكري العلوم الدينية.

إلا أن العلوم العقلية كان له نصيب من ضمن إنتاجهم الفكري ولكن لا نستطيع إعطاء صورة واضحة عن هذه العلوم في تلك الفترة (العصور الاسلامية) نظرا لضياع أغلبها، بسبب النكبات التي تعرضت لها البلاد، مما ادى إلى ضياع الكثير من تراثها في هذا المجال

خاصة». وما سلم من هذا التراث لا يزال حبيس دور المخطوطات والخزائن الخاصة، وبعضه لم يتح للدارسين معرفته حتى الآن.

في هذه الورقات نشير إلى ما حصلت عليه في -العلوم العقلية -التي أسهم بها أجدادنا في صرح الحضارة الإسلامية.

وهويدل على مكانتهم بين العلماء، كما يعطينا دفعه إلى المزيد من البحث والدراسة في المخطوطات التي تملاء خزائن دول الجوار في المغرب أوالمشرق.

علم التاريخ:

ونال علم التاريخ وهومن العلوم العقلية اهتمامات الكثير من العلماء الليبيين وكان من أوائل من كتب في التاريخ ابن سلام، واعتبر كتابه «أقدم مؤلف تاريخي للمغرب الإسلامي بأسره »، وكان لأحمد بن أبي زرعة البرقي (ت ٢٤٩هـ) كتاب في التاريخ وكتاب في الطبقات وفي رجال الموطأ وفي غريبه زيرى قاضي طرابلس في الفترة الصقلية وكتب في تاريخها كتاب بعنوان» الكافي في الوثائقومن ألف في هذا العلم محمد بن بهادر ولد بطرابلس سنة (٨٣٦هـ) ونشأ بها ومن مؤلفاتهرسالة في ترجمة شيخه جلال الدين المحلى، وفتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، ومجموعة تواريخ التركمان).

وفي الطبقات والسير ألف كل من أحمد سعيد، ومقرين البغطوري كتابا في سير المشائخ، واعتنى محمد بن عبد الله اللواتي البرقى الأباضي «بحفظ الأخبار وتقييد سير الأخبار «زمن مواليد النصف الثاني من التاسع الهجري وترجم الشيخ على الخروبي لمشايخه، ووضع الشيخ أبوالعباس الشماخي كتابا في سير مشائخ جبل نفوسه. وكذلك سليمان عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني، مؤلف في التراجم لأبي ربيع من علماء جبل نفوسة في أواخر القرن السادس الهجري كتابا في سير أبي ربيع، ذكر فيه سير أشيوخه وغيرهم ممن كان في زمنه ومن أشهر من كتب في تاريخ طرابلس ابن غلبون «كتابه التذكار «واعتمد في كتابة تاريخ على

البكرى والتجاني وابن بطوطة الادرايسي على عبد الحكم وابن الاثير، والعالموالمؤرخ أحمد النائب الذي كتب عن تاريخ طرابلس «المنهل العذب.

علم الفرائض:

وهوأحد فروع علم العدد، واهتم به العلماء ضمن علم المواريت، ويعد علم الفرائض من أجل العلوم، وفنا شريفا لجمعه بين المعقول والمنقول، والوصول به إلى الحقوق في المواراثات بوجوه صحيحة يقينية.

وأشهر من ألف فيه على بن زكرون، وأبا الحسن ابن المنمر، إلا أن كتاب ابن المنمر يعد من أحسن التأليف على مذهب مالك ومن أشهرها، ولابن المنمر تأليف في فرع آخر من علم العدد وهوالحساب.

علم الرياضيات:

وممن برع في هذا العلم،الشيخ أبوالظاهر الجيطالي من مصنفاته «كتاب الحساب وقسم الفرائض «اهتم فيه بالعمليات الحسابية وخصوصا الكسور، ويمتاز كتابه بكثرة التمارين التطبيقية في كيفية توزيع المخلفات بين المستحقين «وخصص جانبا منه لما نسميه بالحساب الذهني البسيط وبسط له قواعد طريقة عجيبة «كما أن العالم أبوالحسن المثمر الذي (ت٣٤٨هـ) اهتم بعلم الحساب وكتب فيه كتاب بعنوان «الحساب والازمنة «كما ليحي الحطاب مقدمة في علم الحساب ومختصر النزهة في علم الغبار، وللشيخ زروق رسالة في العد بالاصابع ولأبي هارون الجملالى كتابات في علم الرياضيات والمنطق إلا أن لم يعثر عليها.

علم الفلك:

أعطى علماء ليبيا بعض العناية لعلم الهيأة، وهوعلم يختص بحركات الكواكب المختلفة وممن معرفة بهذا العلم الشيخ سعيد عبدالله عبد الواحد كما اشتهر بن المثمر وله في ذلك مصنفا

بعنوان علم الهيأة والميقات ولمحمد بن محمد الحطاب ثلاث رسائل في استخراج وقت الصلاة ولابنه يحي الخطاب رسالة في استخراج الليل والنهار من ربع الدائرة ووسيلة الطلاب لمعرفة أعمال الليل والنهار بطريق الحساب» أشار الزركلي في الاعلام إلى أنه مطبوع إلا أن الدكتور الزريقي لم يعثر علي الكتاب المطبوع، بل عثر على المخطوط بالخزانة الصبيحية في مدينة سلا تحت رقم (١٢/١٩٩) وهذا الكتاب اختصار لرسالة والده لتكون وسيلة للمبتدىء في هذا العلم، وهي خاصة بمعرفة أوقات الصلاة والأعمال الفلكية بدون آلة.

وقد رتب الكتاب على سبعة أبواب وخاتمة. وله ايضا كتاب «مختصر سلك الدرين في حل النيرين «ذكر الزركلي أنه مطبوع إلا أن الزريقي لم يعثر عليه مطبوعا ولا مخطوطا وهواختصار كتاب الشيخ أحمد بن موسى بن عبد الغفار وهوفي علم الميقات وله ايضا رسالة في علم النجوم ومما كتبه الاجدابي في هذا العلم كتاب «الازمنة والانواء «الذي تناول في فصوله المختلفة: فصول السنة وأوقاتها، ومناظر النجوم وهيئاتها والرياح وأسماءها وأوقات الليل وما إلى ذلك من الموضوعات الفلكية ومن أشهر من كتب في هذا العلم ونبغ فيه العالم الشيخ عبد الرحمن بن محمد التاجوري العالم الفكي المعروف (ت٩٦٠هـ) الذي يعتبر في عصره شيخ الجماعة في الفلك والتوقيت، ولهذا العالم العديد من المخطوطات المتعلقة بهذا العلم إلى جانب الرسائل الهامة التي ناظر بها فقهاء المغرب حول قبلة جامع القرويين بفاس منها:-

١. شرح رسالة المارديني في الربع المجيب —مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم ٦٥٦-٨٥٩.

٢. رسالة في استعمال بيت الابرة- يوجد منها نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقمي ٣٤٥٧د -٣٤٨٨ د.

٣. ورقات في معرفة وضع بيت الابرة على الجهات الاربع - المكتبة الصبيحية بمدينة سلا محفوظة تحت رقم مسلسل ١٢٠٦- ١٠٨٠.

٤. ورقات في معرفة القبلة والأوقات – مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٧٤٠ ق.

٥. رسالة بعثها التاجوري ألى فقية درعة محمد بن على التمكروتي حول اتجاه القبلة في مساجد فاس مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٦٩٩٩.

٦. تنبية الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين – مخطوط بالمكتبة الملكية عدد ١٠٥٣ غير مرقم

٧. رسالة في العمل بربع المقنطرات مكتبة تمروت ن مكتبة الجامعة استانبول والحسنيةبالرباط وليبزج والقاهرة.

٨. رسالة في علم الهيئة مكتبة السلمانية استانبول.

٩. شرح المطلب اشار اليها بروكلمان.

١٠. رسالة في التوطية في الحساب السنة الشمسية، مكتبة الحسنية / الرباط.

علم الطب:

ومن كتب في هذا العلم العالم والفقيه الذي قال فيه التجاني «من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونثرا «هوأبواسحاق إبراهيم الاجدابي فمن مؤلفاته في الطب كتاب «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ «وهويشمل عددة ابواب منها باب في النبات وباب في ما يحتاج الى معرفته من خلق الانسان، وله رسالة في الحول.

من له معرفة من العلماء بعلم الطب في الجبل الغربي يونس بن محمد، وأبويوسف يعقوب وأبوزكريا يحي بن عامر، قال عنه الشماخي»أن له في علم الطب اليد العليا» وكان سيدي محمد الطبيب بمدينة طرابلس»من فضلاء الاطباء.

ومما لهم مخطوطات في هذا العلم لأحمد الزروق رسالة في أمراض القلوب، ولعلي بن عبد الصادق الجبالى الاعلام في طب أمراض على الوجه المطلوب مخطوط. وهناك ارجوزة في

الطب من ألف بيت لمحمد السباعي الغدامسي «ومخطوط في اعلام الطب لعلى بن عبد الصادق.

٢,٣ دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان[١] في العصر الوسيط

○ حركة القوافل

أولا: القوافل التجارية:-

نشطت حركة القوافل التجارية بليبيا عبر شبكة الطرق الداخلية التي تتصل بعضها بمناطق السودان جنوبا، وقد شهدت هذه الطرق نموا واسعا خلال الحكم العبيديين قبل تغريبة بنى هلال.

ونذكر من هذه الطرق:

أ. طريق نفوسه - زويلة:

هو يبدأ من جادو-كانت جادوعند كثير من المؤرخين هي القاعدة السياسية والإدارية لجبل نفوسة، كما كانت بحسب قول «أبوعبيد البكري»(مدينة عظيمة وتحتوى على أسواق وجالية كبيرة من اليهود)، ويضيف إلى هذه المعلومات بأن القوافل التي تنطلق من طرابلس في اتجاه زويلة وفزان تمر عبر مدينة جادوا التي كان سكانها يتكلمون إلى جانب اللغة العربية والبربرية اللغة الكانامية). وهذا راجع في الأصل إلى وجود جماعات سودانية من كانم استقرت في القرن الثالث الهجري

(١) حركات، ابراهيم (١٩٨٢). دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية (١)، ص ٢٩

/ التاسع الميلادي بمدينة اجتاون الواقعة أسفل دادوفي طريق القوافل القادمة من زويلة.

ب. طريق فزان الممتد الى بلما وكانم بتشاد:

يعد إقليم فزان من أقاليم الصحراء الليبية وقد ازدهرت تجارته بما يتميز به من واحات، ويذكر الرحالة أمثال التجاني والعبدرى بالإضافة الى ابن خلدون بأن أقاليم فزان يرتبط مع الصحراء الكبرى الى السودان بشبكة من الطرق على غاية من الأهمية بحيث سهلت على القوافل التجارية عملية الاتصال والتبادل التجاري، والربط بين صحراوات المغرب وليبيا ومصر وبلاد السودان الشرقي والأوسط والغربي.

وتبرز على رأس قائمة الواحات المهمة في صحراء فزان واحة زويلة ومرزق وودان، وأوجلة، والكفرة، وهون، والميزة التي تميزت بها هذا الواحات المنتشرة عبر الصحراء الكبرى - كما ذكر «ابن خلدون » (أن كل واحد من هذه الواحات وطن منفرد يشمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وعند تتبعنا للتطور الزمني للأحداث التاريخية التي مرت بها مدن الواحات الليبية، نلاحظ أن القوافل التجارية في علاقاتها بين الشمال والسودان عبر الصحراء الكبرى كانت على مر العصور تتأثر بما يطرأ من تغيير حيوي على هذه المدن والمراكز التجارية المهمة، فالعداوات المستحكمة بين قبائل وامبراطور سوكتومثلا جعلت تجارة القوافل وإن لم نقل تتوقف وتتعطل، تلاقي صعوبات في العلاقات التجارية بين طرابلس وبورنو، وكذا تاريخ القوافل التجارية بين المغرب والشرق كان يتطور أويتدهور بحسب العلاقات السياسية بين دول العالم الاسلامي في العصر الوسيط.وهذا منذ فترة العبيديين إلى ظهور دولة المماليك.

ج. طريق زويلة- سبها - ودان:

تأتي مدينة زويلة في مقدمة المدن الصحراوية التي عرفت ازدهارا في صحراء ليبيا

العصر الوسيط، فمنذ القرن الرابع إلى السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي منه اشتهرت زويلة بقبيلة هوّاره التي أسست دولة بني الخطاب والتي يسميها «ابن خلدون» «زويلة بن الخطاب» وأحيانا يقول «ملوك زويلة».

د. واشتهرت بتجارة العبيد القادمين من كواركانم:

كما كانت محط رحال جميع القوافل التي تقصدها من طرابلس وجادو إلى القيروان أومن أجدابيه وأوجله ومرزق ودار فور وسنار غرب النيل الأزرق ولعله يرجع تخصص زويلة بتجارة العبيد والعاج إلى أن تجارة العبيد بالنسبة للقوافل التي تقصدها تمثل التجارة الأكثر رواجا في مصر والقاهرة وطرابلس وبالتالي فهي الأوفر ربحا.

هـ. طرابلس غدامس:

وهويسير بمحاذاة الحمادة الحمراء، وهوأكثر اهمية من خط طرابلس مزدة ومرزق وزويلة ثم كانم، أما الطريق الذي يربط طرابلس بتيبوفكووار عبر مرزق وقطرون وتيجى يأتي في الدرجة الثانية في الأهمية بالنسبة لتجارة القوافل في العصر الوسيط. لهذا كانت زويلة بمثابة محطة لتجارة القوافل أكثر منها مركزا حيويا اقتصاديا.

و. وقد اشتهرت غدامس بصناعة الجلود وتصديرها:

وفي هذا قال موسى بن أحمد السعدي «بأنها بلد بالمغرب، ضاربة في بلاد السودان منها الجلود الغدامسية، وهي مدينة لطيفة في الصحراء على مسافة سبعة أيام من جبل نفوسة ينسب إليها الجلد الغدامسي..».

ز. طريق طرابلس إلى الجغبوب، وسيوه والفرافرة والأقصر بصحراء مصر:

ح. ويتصل بهذا الطريق عدة طرق أخرى آتية من مراكز العمران الشمالية الساحلية. مثل سرت وبنغازي ودرنة والقصر الجديد.

ط. طريق بنغازي إلى واداى:

ويمر على أوجله وجالو، وسرهن وكيانووتاهينه، حيث يتفرع إلى فرعين: فرع إلى ماووفرع إلى ابشى.

ثانيا قوافل الحج:-

الحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، يقصد بالحج في اللغة القصد، وفي المصطلح قصد بيت الله الحرام بمكة المكرمة للنسك في وقت معلوم من السنة معروف وهوفرض على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر، إذا استطاعا إلى ذلك سبيلا. وتاريخ أداء الحج من شمال القارة والصحراء وبلاد السودان يرجع إلى المراحل الأولى من انتشار الإسلام في هذه المناطق. ولا يخفى ما للحج من فوائد على الحاج دينية ودنيوية (اجتماعية ثقافية واقتصادية وسياسية، فالحج مناسبة يلتقي فيها الناس القادمون من شتى بقاع العالم الإسلامي لأداء فريضة الحج في مكة المكرمة وإظهار وحدتهم، وكذلك مناقشة الأمور ذات الاهتمام المشترك بينهم، وتبادل المنافع والسلع، وبها يقتبسه بعضهم من بعض من ثقافات، ويتعلم من مهارات تمدهم بأسباب البناء وعوامل الارتقاء والتطور بمجتمعاتهم المحلية.

وهنا نشير إلى دور ليبيا في التفاعل الثقافي في أفريقيا من خلال أحد العوامل الذي أعطى ليبيا هذا الدور إلا هوموقع ليبيا في طرق قوافل الحجاج والتجارة. ونشير هنا إلى أهم محطات قوافل الحج:-

أولا: محطة فزان ومن طرقها :

أ- طريق فزان: تقع فزان في جنوب غرب ليبيا الحالية، هذا الموقع الجغرافي جعلها على الأقل ملتقي ثلاث طرق للحجاج القادمين من شمال غرب أفريقيا والسودان الغربي والسودان الأوسط.

ب- أما طريق القوافل المغربية فهي تمر بفزان:

وهذه الطريق تبدأ من مراكش ثم يتجه جنوبا إلى درعا ثم توات. ومن هناك تفترق هذه الطريق إلى طريقين: إحداهما تتجه شمالا إلى طرابلس وهذه هي الطريق التي سلكها الرحالة المغربي «أبوسالم العياشي في أواسط القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي.

والأخرى تتجه شرقا مباشرة إلى مرزق، عاصمة فزان، ومن هناك تبدأ الطريق التجارية الرئيسية التي تمر بأوجلة فمصر. وهذه هي الطريق التي سلكها الرحالة المغربي ابن مليح في رحلته الحجازية (١٠٤٠-١٠٤٢هـ/ ١٦٣١/ ١٦٣-م).

ج- أما طريق حجاج السودان الغربي والأوسط:

وهي الطريق التجارية التي تبدأ من مدينة جاوبالشمال عبر توات بجنوب الجزائر، وغات غربي فزان، فيما بعد صارت طريقا يعرف بطريق الحجاج يبدأ من تمبكتووجاووتمر بآير، حيث ينظم إلى الطريق السوداني الآتية من المنطقة الشمالية في بلاد الهوسا ثم تتجه شمالا إلى غات، ومنها إلى مرزق في فزان.

د- هناك طريق آخر يبدأ من حوض بحيرة تشاد مارا ببلما:

وتلتئم مع الطرق السابقة فى مرزق وإلى أقصى الشرق هناك طريق يربط واداي بفزان.

وتشير الدلائل التاريخية إلى أن فزان منذ فجر إسلامه كان منطلقا لقوافل الحج، وممرا لقوافل الحج السودانية والمغاربية، منذ القرن (٣هـ / ٩ م) يبدوأن هناك ركبا سنويا للحج ينطلق من فزان.

ثانيا: **محطة غدامس:-**

لقد نالت غدامس حظا من الذيوع والشهرة كمركز تجاري متقدم في تجارة القوافل والحجاج بين الشمال والجنوب، وكان طريق غدامس - تادمكة (بمالي) أحد المعابر الهامة لتلك القوافل منذ القرن (٨هـ/ ١٤م) كما سمح مركزها بتقوية العلاقات بين المراكز الصحراوية الأخرى كتوات وتكدا وسلجلماته.

وأهم المحطات في الطريق الساحلي الليبي التي كانت توفر للمسافرين الراحة وتمدهم بالطعام والماء وتمكنهم من استبدال وسائل النقل أوتجديدها من جمال وخيل وبغال نذكر

المحطات التالية اعتماد على رحلة الورثيلاني مرتبة حسب مواقعها من الغرب إلى الشرق: برج الملح - الزوارة الحالية -الزوارة العامرة - زواغة -جنزور-قرقارش) - طرابلس الغرب - المنشسية - تاجوراء - وادي السيد - وادي الرمل - ساحل حامد - مسلاتة -زليتن - مصراته - أباكدية - تاورغة - العزينات -بئر حسان - بئر مطراو- الزعفران - معطن الاحمر - بلاد سرت - النعيم - العقيلة - اليهودية - أجدابية - صعدة - سلوق- التميمي - عين غزالة - مقرب - الطرفاوي - جرجوب - الجمينة - الشامة المدار - العقبة الصغيرة.

لقد أدى هذا التدافع إلى الشرق من الغرب ومن الغرب إلى الشرق ومن الجنوب الى الشمال في شكل القوافل التجارية أوقوافل الحجاج إلى ازدهار مراكز العبور الرئيسة في مختلف الجوانب، فمن المعروف أن التبادل التجاري الذي يتم بين القبائل والشعوب من أهم العوامل للازدهار المجتمعات ولتحقيق ذلك لابد من الأمن والاستقرار السياسي. وهذا مما أدى إلى ازدهار الحياة الاجتماعية والثقافية.

فما كانت تخلوقافلة قادمة من المغرب من رجالات العلم والثقافة فكتب التاريخ تزخر بأسماء الإعلام المغاربة الذين جمعوا إلى نشاطهم التجارى، تضلعهم في العلوم الدينية ومشاركتهم في شتى مناحي المعرفة «فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن أوالعبادة، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوة لإتباع مبادئ الإسلام بجانب نشاطهم التجاري.

ومما لاشك فيه كذلك أن هذا الاحتكاك بين شمال وجنوب أفريقيا عبر الصحراء بفضل حركة القوافل، قد ساعد على تطعيم وتغذية الجو التعليمي في محطات هذه القوافل بما يحمله هؤلاء المسافرون من تجارة أوالحجاج من أنباء وأفكار وأخبار عن العلم والعلماء والكتب والتأليف الجديدة وحلقات التدريس والمناظرات وغيرها من الإنباء التي تؤكد مدى التواصل الفكري والتتبع الدقيق لكل ما هوجديد.كما يذكر بعض الباحثين عددا كبيرا من الزوايا التي أنشأها المتصوفة القادمين من المغرب إلى ليبيا عبر طريق التجارة مثل زليطن

وزاوية مصراتة وزاوية تاجوراء والجبل الغربي. وكان رجال القوافل يتلقون التعاليم الروحية والبركة ذهابا وإيابا على شيوخ تلك الزوايا.

وفي خلال القرن (٧هـ /١٣م) حدث ازدياد ملحوظ في عدد من هذه الزوايا مما أدى إلى انتشار الإسلام بين قبائل البربر والعرب التي كانت تسكن الصحراء الغربية حيث انتشرت الطرق الصوفية انتشارا واسعا بين القبائل الصحراوية وذاع صيت ما يعرف بالأولياء والشيوخ.

ويبدوأن هذه القبائل قد قامت بدوركبير في انتشار الطرق الصوفية فيما وراء الصحراء (بلاد السودان) وذلك لسيطرتهم على طرق القوافل والحجاج بين الشمال والجنوب.، فلقد كان يقوم أصحاب تلك الزوايا بإدخال سكان إفريقيا في الإسلام وتعليمهم مبادئه ثم إرسالهم إلى داخل القارة دعاة مخلصين. ومن هنا فلا عجب أن يحدثنا التاريخ عن العديد من ملوك بلاد السودان اعتنقوا الإسلام عن طريق بعض التجار ثم فرضوه على شعوبهم -حدث هذا في مالي وكنو، وكانم.

كما أدى تدفق التجار المسلمين عبر الطرق الصحراوية من المراكز الشمالية كطرابلس وفزان إلى مملكة البرنووكانم إلى أسهامهم بدوركبير في نشر الإسلام والحضارة العربية في تلك المناطق. كما ادى هذا التواصل التجاري إلى استقرار عدد من التجار المسلمين في المدن الإفريقية وكونوا لهم أحياءا خاصة بهم أقاموا فيها المساجد والمدارس مما كان لهم عظيم الأثر ففي مملكة غانة يقيم عدد المسلمين من البيض في حي خاص بهم أقاموا فية اثنى عشر مسجدا، وفي مالى عاصمة دولة مالى رأى ابن بطوطة عددا من هؤلاء التجار وقد استقروا فيها وبنوا محلة تعرف بمحلة البيضان. ومما كان يدفع التجار المسلمين الى الاستقرار في هذه المناطق تجارة الذهب والنحاس.

التفاعل الثقافي:

أولاً: على الصعيد المحلي (في ليبيا):

أتاحت القوافل القادمة من المغرب إلى المشرق وبالعكس فرصة فريد ة لتأسيس علاقات

فكرية وثقافية بين ليبيا وجيرانها، نظرا لموقعها فهي همزة وصل بين الشرق والغرب.

ومن العلماء المغاربة الكبار الذين مروا بليبيا وبقي بعضهم فيها لفترة من الزمن والتقى بعلمائها وسجل ملاحظاته على معالمها وأحوالها الفقيه والعالم الأندلسي الموسوعي «أبوبكر بن العربي «(ت٥٤٣هـ) الذي كان من بين مؤلفاته الكثيرة كتاب «العواصم من القواسم «وكتاب «الأحكام «الذي يعتبر كتابا تربويا يحتوي على كثير من التوجهات التربوية القيمة. ومنهم كذلك العالم والرحالة المغربي «ابن رشيق «الذي مر بطرابلس سنة (٦٨٥هـ) والرحالة «محمد بن عمر بن رشيد الفهري الذي زار طرابلس سنة (٦٨٤هـ) والرحالة «أبوعبدالله محمد بن العبدري الذي زاراها في سنة (٦٨٨هـ) وكذلك من الرحالة الذين زاروا طرابلس في القرن الحادي عشر الهجري وكتبوا عنها الرحالة أبوسالم العياشي والفقيه «أبومحمد عبد الله بن عبد الكريم الغماري «الذي مر بطرابلس سنة (٦٥٤هـ) وقد طالت إقامته بطرابلس بحيث استطاع بعض الطلاب الطرابلسيين أن يدرسوا عليه بعض الكتب العلمية مثل كتاب «الكافي في الفرائض «لابن المنّمر وغيره من الكتب. والعالم والرحالة التونسي «عبد الله التجاني «الذي قام برحلاته إلى طرابلس فيما بين سنة (٧٠٦هـ). ومنهم أيضا العالم الفقيه والمؤرخ ابن خلدون الذي زار مدينة طرابلس وبقوا فيها لفترة من الزمن يدرس ويحاضر فيها ويجالس علماءها والمتصوفين فيها.

ومما يدل على أن تلك الرحلات كانت تعطي فرصا لطلاب العلم في طرابلس وغيرها من الأقاليم، بلقاء بالعلماء من الأندلس والمغرب وتونس، ولأخذوا عنهم كثير من العلوم وهم في بلدهم، نذكر منهم «أبي اسحق إبراهيم الاجدابي الذي عرف بابن الأجدابي وهومن علماء القرن الخامس الهجري. ولم يكن له رحلة خارج طرابلس وعندما سئل من أين له هذا العلم ولم ترحل؟ أجاب: «اكتسبته من بابي هوارة وزناتة «وهما بابان من أبواب طرابلس وإجابته هذه إشارة إلى أنه استفاد علمه من لقائه للعلماء الذين يمرون بطرابلس، عن طريق هذين البابين مشرقيين أم المغربين. ومعنى هذا أن طرابلس كانت ملتقى كبار العلماء.

ومنهم الشيخ «أبو فارس بن عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد، ومن خلال الاطلاع على مصادر ثقافة الشيخ المتمثلة في مشيخته، تتضح لنا منابعها الأصلية كان من علماء مشارقة ومغاربة، عبروا طرابلس، ومن شيوخه الفقيه «أبوالحسن إبراهيم محمد بن إبراهيم الأندلسي البسطي، الذي اجتاز طرابلس قافلا من الحج، فقرأ عليه بعض تأليفه في اللغة العربية، وسمع عليه شيئا من نظمه، وقد روى عنه «كتاب «لابن المناصف في مذهب مالك ومنهم الفقيه أبوالعباس الأعجمي، ورد من المشرق على مدينة طرابلس، قاصدا المغرب فقرأ عليه بعض العلوم الدينية لابن الخطيب، ومنهم الفقيه القاضي أبومحمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي، وصل طرابلس قاضيا.وغيرهم كثير.

وكان تجري بين العلماء الوافدين وعلماء البلاد مناظرات حول مسألة أوقضية عقائدية، كل يدلي برأيه، ويلقي بحجته، وتتطلب هذا الفن من العلوم خبرة وأسلوباً ومنهاجا خاصا كما يتطلب سعة الحيلة إلى جانب الإفاضة في المادة، والفصاحة في النطق، والبلاغة في التعبير، وحسن الإلقاء وهذا ماكان متوفرا عند علماء المناظرات في طرابلس منهم أبوفارس عبد العزيز بن عبيد ومن علماء الاباضية الذين ناظروا المعتزلة أبوالمنيب محمد بن يانس الدركلى. وممن برع في المناظرات ايضا ابن الاجدابي فلقد كان إلى جانب تمكنه في الفقه بارعا في الجدل ومعرفة الآداب والأصول التي تتبع في المناظرة بين أهل المذاهب الفقهية. كما كان محمد بن سالم المعروف بالعقعق على علم بالجدل والنظر ومن العلماء الذين ناظروا القدرية وألف في هذا كتاب أحمد بن نصر الدودي (ت٤٠٢هـ) بعنوان «الرد على القدرية.

إن الاتصال بين علماء طرابلس والمغرب أمر طبيعي لقرب هذه البلاد بعضها من بعض ونظرا لوجود طرابلس في طريق المغاربة أثناء سفرهم لأداء فريضة الحج، فإن العلماء ينتهزون هذه الفرصة فيجلسون في مساجدها دارسين ومدرسين فيجازون ويجيزون. وقد يرحل بعض العلماء من طرابلس قاصدا صفاقس أوالقيروان للأخذ والسماع من أكابر العلماء.كما حدث

لابن المنمر في سماعه من الشيخ ابن محمد بن أبي زيد القيرواني في القرن الرابع الهجري.

ثانيا على الصعيد الخارجي (فيما وراء السودان):

كانت القوافل التجارية تحمل معها إلى جانب البضائع تجار بألوان شتى ومذاهب فكرية وعقيديه وفقهيه وسياسية مختلفة. وعلى سبيل المثال انتقل مذهب الأباضيه إلى السودان من المركز التجاري الشهير جبل نفوسه فيذكر أن أبا الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني يتحدث في سيره عن عمروس بن فتح أحد قضاة جبل نفوسة الذي «بعث عالما من أهل الدعوة» إلى زغاوة ليستقر هناك ويطيب له المقام فيها. وأبوالعباس أحمد بن سعيد الشماخي أورد رواية يدهب فيها إلى أن أبا يحي الفرسطائي دعا أحد ملوك السودان الزغاويين إلى الإسلام فاستجاب إلى ذلك وحُسن إسلامه.

ومن صور التفاعل الثقافي بين ليبيا وبلاد السودان تدريس علماء ليبيين في مساجد ومدارس بالبلاد السودانية وتولي الرئاسة فيها لبعض الأمور. حيث يذكر أن العالم الفقيه منصور الفزاني تولى التدريس والإمامة في الجامع الكبير في تنبكت في شهر شوال ٩٧٧هـ/١٥٦٩م. وسبقه الى الإمامة في هذا الجامع شيخه أبوالقاسم التواتي سنة، ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م).

تخبرنا المصادر التاريخية أنه أسس - اى الجامع -من قبل السلطان المالى منسا موسى عقب عودته من رحلته الشهيرة إلى الحج أوائل القرن (٨هـ /١٤م)، وقد كلف بهذه المهمة المهندس والشاعر إبراهيم الساحلي وعبد الله الكومي الغدامسي اللذين حضرا معه من رحلته المشرقية وممن كان معلما ومكلفا بالأمور السياسية عند مللك التكرور العالم والفقيه المهدي الغدامسي، وقد ذكر ذلك ابن خلدون والمقريزي ضمن أخبار حج ملك التكرور بأنه صحب معه إلى بلاده عدد من العلماء منهم الفقيه المهدي الغدامسي.

ومنهم كذلك الفقيه المالكي سالم السواري الذي اغراه سلطان مالي منسا سليمان بالإقامة في مالى في منتصف القرن ١٤م كما أغرى غيره من علماء المالكية، حسب ما ذكر ذلك العمري

في الفصل العاشر من كتاب مسالك والإبصار. ويرجع الفضل في ازدهار مدرسة مدينة حاقا وتذكر أحيانا باسم جاقلياء الكبرى إلى الشيخ سالم السوارى.

أوضح صور التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب، ما يتجلى في شخصية الشيخ أبوعبد الله محمد على الخروبي ولد تقريبا حوالي (٨٨٠هـ) من فقهاء عصره المبرزين وأحد زعماء الصوفية المشهورين ممن كانت لهم زاوية في قارفارش. كانت له الرياده والصدارة بين أصحابه من المشايخ والمريدين مثل الشيخ الجيني والشيخ عبد الرحمن بن إدريس، وكان يتمتع باحترام وتقدير فائقين من حكام عصره في تونس وطرابلس وكانوا يزورونه ويستشيرونه في بعض المسائل المهمة. رحل عالمنا الخروبي إلى تونس ولتقي بعلمائها ومنهم سيدي يحى بن على الجالي وسيدي على بن بوتربية التونسي سنة ٩٣٢هـ ١٥٢٦م أثناء إقامته بتونس أنشأ مدرسة. ثم رحل من تونس إلى المغرب الأوسط (الجزائر) واستقر بها. وفي سنة ٩٦١هـ سافر إلى المغرب الأقصى. وفيها حظي باحترام الأوساط الحاكمة المغربية وتقديرها، حيث أكرم السلطان وفادته لان الشيخ الخروبي كان معروفا في الأوساط العلمية حتى قبل أن يزور المغرب.

وقد كان أحد الأشخاص الذين انبروا للرد على موقف التجار المحتكرين الذين كانوا يريدون احتكار السوق ومنع غيرهم من الاشتغال بالتجارة في أزمة سنة ٩٣٤هـ في فاس. كما أن الأوساط العلمية المغربية في فاس ومراكش رحبت به وفتحت أمامه مجالات التدريس والخطابة ومناظرة الفقهاء وقد سجلت لنا كتب السير والتراجم جوانب من هذه الخطب والمناظرات الفقهية والكلامية التي شارك فيها قضية اضطهاد الإسلاميين المهاجرين بفاس والمناظرة الكلامية حول مفهوم كلمة الإخلاص وغيرها من الموضوعات في سلوك الصوفية وفي علم الحديث وغيرها من الصور التي تجسد التفاعل الثقافي بين ليبيا بجيرانها.

أن موقع ليبيا الحيوي وحركة القوافل في العصر الوسيط جعله في مركز الصدارة في تاريخ العلاقات التاريخية. لا بين أقطار المغرب والمشرق وبلاد السودان فحسب، إنما استطاعت

أيضا بحكم موقعها الجغرافي الممتاز ومهارة تجارها، أن تؤدي دورا حضاريا هائلا بين الأقطار جنوبها وغربها وشرقها وجزر البحر الشامي (المتوسط) مما جعل ليبيا تتمتع بهذه الميزة ما يأتي:-

١- شبكات الطرق المتعددة التي تربطها بإطراف القارة غربها وجنوبها وشرقها.

٢- الساحل الليبي الطويل الممتد بموانئه من حدود مصر شرقا إلى حدود تونس غربا. فلقد كانت الموانيء مثل خمس ومصراتة والخمس وسرت وبنغازي تقوم بدور الوسيط بين تجارة القوافل عبر الصحراء وجزر شرق البحر المتوسط، وما يميز هذه الموانيء قربها من الساحل.

٣- واحاتها المنتشرة بقصورها ومدانها عبر صحراء فزان مثل أوجلة وزويلة وودان ومرزق وهون وسكنة والكفرة وغيرها...إذ تمثل هذه الواحات في مجموعها - مثل واحات تونس وصحراء الجزائر والمغرب - محطات تجميع وتوزيع لقوافل التجارة والحج وملتقى تجاري وثقافي.

٤- لا يمكن أن تستوفي الأهمية الاقتصادية فعاليتها في ليبيا في العصر الوسيط لولا جبل نفوسة ومدنه الشهيرة الذي ارتبط عضويا بتاريخ تجارة القوافل، بحيث أدى هوالآخر دورا لا يقل أهمية عن دور طرابلس ومصراتة وسرت وفزان في دعم العلاقات التجارية وازدهارها مع اقطار المغرب وصحاريه.

فطرابلس هي أنسب موقع جغرافي لهذه المناطق فقد كانت الموانيء الطرابلسية ومنذ القدم مثل طرابلس ومصراتة وبنغازي معابر لتجارة السودان باعتبارها أقرب موانيء ساحلية من ناحية بالإضافة إلى وجود شبكة من الطرق البرية الأكثر أمنا وسلامة.

٣,٣ دراسة للكتاب تذييل المعيار (النوازل) للعلامة عبد السلام عثمان التاجوري

مقدمة

تعد كتب النوازل من المصادر التاريخية غير التقليدية، ذلك أن للفتاوى الفقهية -فضلا عن قيمتها العلمية التي تبين مدى إطلاع صاحبها واجتهاده- دلالات تاريخية واجتماعية توسع دائرة الفائدة المرجوة منها، ومع ذلك ضلت مهمله ومنسيه من قبل الباحثين في حقل التاريخ ولم يتم الالتفات إليها وتقدير أهميتها إلا منذ عقود من الزمن ويسعى هذا البحث الى تسليط الضوء على احد هذه الكتب إلا وهوكتاب تذييل المعيار للشيخ العلامة عبد السلام التاجوري الذي عاش في القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي وهويحوي ماده علمية خصبة يستفيد منها الباحث في التأريخ للنواحي الاقتصادية والاجتماعية وذلك من خلال دراسة النوازل التي تخص إقليم طرابلس الغرب خاصة والعالم الإسلامي عامة.

أولا: تعريف النازلة في الاصطلاح الفقهي:

تطلق كلمة النوازل في اصطلاح الفقهاء بوجه عام على المسائل والوقائع الجديدة والطارئة على المجتمع، التي تستدعي حكمًا شرعيًا، ولم يرد عن الفقهاء المتقدمين بشأنها شيء[١].

وقال ابن عابدين: الفتاوى أوالواقعات: وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عن ذلك[٢]، والواقعات جمع واقعة وهي لغة بمعنى نزل، أما في الاصطلاح فهي الحادثة التي تحتاج إلى استنباط حكم شرعي لها، وقيل هي الفتاوى المستنبطة للحوادث المستجدة[٣].

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ١/ ٦٩؛ سبل الاستفادة من النوازل لوهبة الزحيلي مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع١١، ج٢، ص٣٦٢؛ سبل الاستفادة من النوازل لابن بيه مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع١١، ج٢، ص٥٣١؛ منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية ٨٨- ٩٠؛ فقه النوازل ٢٤.

(٢) مجموعة رسائل بن عابدين، ص١٧.

(٣) انظر: المعاملات المالية المعاصرة: د. محمد عثمان شبير، ص١٢- ١٣.

ثانيا: نشأة فقه النوازل:

نشأ هذا العلم من عهد الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي فكانت إذا نزلت نازلة أووقعت حادثة جمع الخليفة الراشد العلماء والفقهاء الموجودون هنالك واجتهدوا في استنباط حكم شرعي في هذه النازلة والحادثة وبعد ذلك إلى قام العلماء بالتدوين في الفتاوى والمذاهب الأربعة.

ثالثا: أهمية كتب النوازل:

تزخر كتب النوازل بأهمية بالغة في مجال الدراسات التاريخية خصوصا في المجال الاقتصاد ي والاجتماعي، فرغم أنها كتب تناول الجوانب الفقهية في موضوعها إلا أنها عبرت عن الانشغالات الحقيقية التي عاشها الإنسان في بيئاته المختلفة والتي شملت كل مجالات الحياة، وفي هذا الصدد فقد دعا وأشاد المؤرخون إلى ضرورة الخوض في مسائل كتب النوازل ونفض الغبار عنها لسد العجز في القضايا التي أهملتها كتب التاريخ السابحة في بحور السياسة والحرب.

وقد تنبه المستشرقون لأهمية النوازل وكانوا السباقين لاستخدام مادة النوازل في الدراسات التاريخية وذلك لأهميتها وقيمتها الثمينة بما تحتويه من مادة جوهرية في إثراء البحوث الاقتصادية والاجتماعية، فهذا المستشرق الفرنسي[١]. «أميل أمار «قد كتب تحليلا عاما لفتاوى المعيار نُشر بباريس في مجموعة الوثائق المغربية سنة (١٩٠٨-١٩٠٩م)[٢]، عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمختلف الطبقات.

كما أن كتب النوازل اهتمت بعلاقات المجتمع الإسلامي نظيرة النصراني وتضمنت

(١) السعيدي، أحمد (٢٠٠٩). النوازل الفقهية والعلوم الإنسانية «علم التاريخ مثالا" مجلة كان التاريخية، (٦)، لسنة ٢. ص ١٨.
(٢) الخطيب، إسماعيل (١٩٩٦). أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية. مجلة دعوة، العدد ٣١٦ (يناير فبراير)، المملكة المغربية، الرباط، ص ١٥٣.

بعلاقات بين دول الغرب المسيحي والغرب الإسلامي في حوض البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك العلاقات السياسية الاقتصادية والاجتماعية[١].

فكتب النوازل بما تحتويه من مادة علمية تفرض على الباحث في التاريخ الانفتاح عليها من أحداث، ونري أنها جوهر الدراسات التاريخية والحضارية نظرا لملامستها للواقع المعاش، كما أنها تعد منجما أهملته الدراسات، فهي تسد الفراغ والعجز الذي ظل مجهول في ميادين الدراسات التاريخية بصفة عامة والاقتصادي والاجتماعي منها بصفة خاصة.

فعلي المؤرخين والباحثين التفطن إلى مثل هذا الكنز الدفين والنادر ونفض الغبار عليه للنهوض بالدراسات التاريخية وإخراجها إلى النور في حلة جديدة مكتملة دون اللجوء إلى الكتابات الأجنبية التي تتميز بالصبغة الاستعمارية والحقد الدفين للإسلام والمسلمين وهذا ما سيشوه الحقيقة التاريخية ويعود بالسلب عليها[٢].

وكتابنا هذا «التذييل المعيار» للتاجوري من كتب النوازل التي اهتمت بالنوازل في طرابلس الغرب خاصة والعام الإسلامي في القرن الحادي عشر، يحتاج الي اهتمام الباحثين في تاريخ ليبيا خاصة والمغرب الإسلامي عامة لبارز جوانب جديدة في الحقل التاريخي خاصة في مجال الاجتماعي والاقتصادي احتواه على مادة علمية قريب ومن الوقع المجتمع الليبي.

❍ نبذة عن المؤلف ومكانته العلمية

أولا : نبده عن المؤلف:

هوالعالم الجليل الشيخ عبد السلام بن عثمان بن عزالدين بن الدين بن عبد الوهاب بن

(١) الخطيب، إسماعيل (١٩٩٦). أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية. مجلة دعوة، العدد ٣١٦ (يناير فبراير)، المملكة المغربية، الرباط. ص ١٥٦.

(٢) ابوصيقع، سامية (٢٠٢٠). أهمية كتب النوازل في الدراسات التاريخية الاقتصادية والاجتماعية، مجلة تاريخ العلوم، م (٥) (١٣) لسنة السادسة، ص ٤٢١.

عبد السلام طيب الله ثراه المشهور بالشيخ عبد السلام العالم التاجوري[١]،.سليل نسل جدين كبيرين من الطرفين (عبد السلام الأسمر وعبد الكريم النفاتي[٢]).

ولد في سنة (١٠٥٨- ١١٣٩ هـ / ١٦٤٨ - ١٧٢٧ م) بدار جده للأمة السيدة حميدة ابن سيدي أحمد ابن سيدي محمد الظريف ابن الشيخ عبد الكريم النفاتي، بالشط الشرقي من بلدية تاجورة[٣]، قبل عهد ولاية عثمان باشا الساقزلي[٤] الذي تولي ولاية طرابلس سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) ولقد عاش المؤلف حتي مطلع العهد القرمانلي.

تلقي العلم في بداية حياته في تاجوراء على عدد من الشيوخ في الزوايا والكتاتيب المنتشرة بالمدينة المذكورة ثم انتقل إلى مدينة طرابلس سنة (١٠٧٤هـ /١٦٣٧م) ليقيم مع أخواله من أسرة المكني التي تتولى لإفتاء في البلاد وليواصل تعليمه فيها.

ثانيا: مكانته العلمية

يُعد مؤلف الكتاب من علماء ليبيا الذين لدورهم الثقافي من خلال إسهاماتهم في التأليف والتعليم، وهومن أنجب فقهاء مدرسة تاجوراء، تلك المنارة العلمية التي أنشئت منذُ خمسة قرون تقريبا، وكان لها الدور الكبير إلى جانب غيرها من المنارات في نشر العلم والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لهذه البلاد، فكانت تلك المدرسة هي المنطلق الأول للمؤلف في تحصيله التعليمي، ثم نشاطه العلمي غالبا حتي آخر حياته.

هومن كبار المتصوفة، من أتباع طريقة جدة عبد السلام الأسمر، يظهر ذلك جليا في أرائه

(١) الزاوي، الطاهر (١٩٧١). أعلام ليبيا، ليبيا، طرابلس: مؤسسة الفرجاني، ص ٢١٧.

(٢) التاجوري، جحيدر عمار محمد عبد السلام العالم (٢٠٢١). الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني. ليبيا، طرابلس: مكتبة طرابلس العالمية. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات، ص٧٥.

(٣) جحيدر، عمار (١٩٩١). آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب، ص ٧٥.

(٤) هومن أصل يوناني من جزيرة كيوس اعتنق الإسلام، يروي أنه جاء إلي طرابلس بحارا على ظهر سفيه مسيحية، ذهب إلي الجزائر وصار قرصا، ثم عاد إلي طرابلس = انظر روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، ترجمة خليفة التليسي، ص ٢٦٧.

الفقه التي تتضمنها هذا المصنف وغيرها من مؤلفاته. قال عنه المؤرخ أحمد النائب:» برع في علم الشرعة وعلوم التفسير والتصوف، وكان خيرا مرشدا هادئا، داعيا للحق ملازما للطاعة، حسن الخلق لطيف الطباع، كريما، مأوي للغريب، جامعا للأخلاق الحميدة، ومن خيار عباد الله الصالحين المتمكنين بالسنة «[١]. ويصفه ابن مخلوف في كتاب شجرة النور بالعالم الماجد الفاصل من سلالة الأماجد الأفاضل الصالح العامل الشيخ سيدي عبد السلام المشهور بالعالم[٢]. وصفه «العالم «لم تذكر إلا في هذا الصدد، ولكنها صفه مشتهرة في أسرته حتى الوقت الحاضر وفي رسالة للشيخ على النووي الصفاقس يقول فيها: ورد علينا الشيخ الفاضل المتقن المتفنن الكامل، نخبة الزمان وقدوة الأقران، سيدي عبد السلام بن عثمان[٣].

فقد أتاحت له رحلة الحج إلي الديار المقدسة فرصة الاتصال بعلماء المشرق العربي، وهيأت الرحلات نفسها فرصة اللقاء بعلماء الأقطار المغاربيه في طريقهم إلى الأراضي المقدسة ذهابا وإيابا[٤]، بلغ عدد العلماء الذين التقي بهم حسب ما ذكره في خاتمومؤلفه فتح العليم (١٣) عالما منهم محمد بن ناصر الدرعي الذي اجتمع به في رحلته للحج سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٦م[٥].

ثالثا: مساهمة في الإفتاء:

تعتبر مؤسسة الفتوي جزءاً من النظام التشريعي في المجتمعات الإسلامية وهي إلي جانب القضاء من الخطط الدينية[٦] وعن طريقها يتم معالجة الكثير من القضايا والنوازال التي تحدث في المجتمع، فهي علم أوصناعة تحتاج إلي معرفة وإتقان، ولا يستطيع أن يمارسها

(١) المنهل العذب، ١/ ٢٩٠.

(٢) مواهب الرحيم، ص٣٤٦.

(٣) جحيدر، عمار: الحياة الفكرية في ليبيا، ص٦٦.

(٤) يوسف، محمد يوسف (١٩٩٦). الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين ٧/ ٨ الهجري، دراسة تحليلة، مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٢٣٢.

(٥) العالم، عزالدين عبد السلام (٢٠٠٩). دور الشبخ عبد السلام التاجوري في تحديث تجربة جده الاعلي الشيخ عبد السلام الاسمر الصوفية ونشر افكارة مجلة الجامعة الاسمر، ص ٢٣٢.

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة، دار الشعب (القاهرة، د، ت)، ص ١٩٦.

إلا من كان أهلا لها، يعرف أحكامها ولوازمها وكيفية إنزالها على الحوادث والوقائع التي يستفتي فيها، هذه الدراسة تسلط الضوء على إسهامات الشيخ عبد السلام عثمان التاجوري في هذا العلم[١].

الفتوى: إخبار المستفتي بحكم الشرع في المسالة المعروضة مع إتباع الأدلة بعد استقرائها،ودون إلزام الناس بذلك الحكم[٢]. وهي تختلف عن الأحكام القضائية والفتاوي الشرعية، فالأحكام ملزمة للخصوم ويجب عليهم تنفيذها، بينما الفتاوي غير ملزمة للمستفتي أوغيره[٣].

يتضح من المصادر التاريخية أن منصب الإفتاء استحدث مع بداية العهد العثماني الأول، كان فبل ذلك لا يوجد منصب للإفتاء، هذا ما ذكره ابن غلبون يقول «أثناء ولاية رافع بن مطروح على طرابلس خلال القرن منتصف السادس الهجري أن أحكام المسلمين مصروفة الي واليهم وقاضيهم[٤] وربما كان القاضي يتولي أمر الفتوي، يستعين بالعلماء والفقهاء يستشرهم واخذ رأيهم في القضايا المعروض عليه ورأي الشرع فيها، أوعمل تنوي الدولة القيام به، وعن مدى مطابقته لأحكام الشرع الإسلامي[٥].

ومن العلماء الذين تولوا منصب الإفتاء في طرابلس في العهد العثماني الأول في القرن العاشر والحادي عشر الهجري / السدس عشر والسابع عش الميلادي:-

١- الشيخ محمد بن شعبان الطرابلسي الذي ناظر علماء القسطنطينية وتغلب عليهم سنة ١٩١٦ هـ فكافأه شيخ الإسلام بإسناد قضاء طرابلس إليه وأضاف إليه وظفتي

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص ١٤.

(٢) القرافي، الامام شهاب الذين (١٩٨٩). الإحكام في تميز الفتوى عن الاحكام، تحقيق أبوبكر عبد الرازق، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٤) ابن غلبون، عبدالله بن خليل (١٩٦٧ (. التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الأخبار، تحقيق الشيخ أحمد الزاوي، ليبيا، طرابلس: مكتبة النور، ص٥٧.

(٥) ابن موسي، تيسير (١٩٨٨). المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، ليبيا، طرابلس: الدار العربية للكتاب، ص ٢٥٦

الإفتاء والتدريس[١].

٢- الشيخ أبوعبد الله محمد بن أحمد بن مساهل الطرابلسي سنة ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م، قال عنه العياشي «هذا الشيخ رضي الله عنه من أحسن ما رأينا وسمتاً وعقلاً وأصدقهم قولا وفعلاً له مشاركة في العلوم وحسن اطلاع على فروع المذهب، طالت ولايته للفتوي نحوالأربعين سنة وحمدت سيرته... وهوصهر الشيخ بن مساهل «[٢].

٣- الشيخ أحمد محمد المكني المولود بطرابلس سنة ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢م قال عنه العياشي: كان له ذكاء عقل وريادة ونبل، فمهر في فنون عديدة وفاق أقرانه، وبعد أن تولي الفتوي ظهرت نجابته وحمدت سيرته وسدد في فتواه، وولي أيضا التدريس في الجامع الكبير والخطابة والإمامة «[٣] توفي سنة ١١٠١ / ١٦٨٩م في طرابلس.

٤- محمد بن محمد بن مقيل وهومن العلماء الذي أبلوا بلاء حسنا في هذا المجال وقدفاق شيخه في ذلك نظرا لسعة اطلاعه حيث تلقُى العلم على عدد كبير من علماء طرابلس ومن العلماء الوافدين عليها،كان من تلميذه الشيخ عبد السلام عثمان التاجوري، الذي قام بجمع أجوبة المسائل التي عرضت عليه في كتاب تذليل المعيار توفي رحمه الله عليه سنة ١١٠١ هـ / ١٦٨٩م[٤].

٥- الشيخ محمد بن أحمد المكني، تلقي العلم على عدد من شيوخ طرابلس مع ابن خالته الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري، اللذان كانا يستقبلان الكثير من العلماء الوافدين على طرابلس أوالمارين بها في رحلة الحج، كانت وفاة في سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢م تقريبا[٥].

(١) الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص ٣٤٧

(٢) العياشي، العياشي، أبي سالم عبدا لله)١٩٧٧(. الرحلة العياشية طباعة حجرية، المملكة المغربية، الرباط، م ١/ ٦٢، وكذلك الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص ٣٣٢.

(٣) العياشي، أبي سالم عبدا لله)١٩٧٧(. الرحلة العياشية طباعة حجرية، المملكة المغربية، الرباط، ص ٦٨، وكذلك منصور علي الشريف: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس،٢٠٠٣ م)، ص ٦٢.

(٤) الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص ٣٣٤.

(٥) الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص ٣٤٩.

رابعا: العصر الذي عاش فيه المؤلف

ويمكن تلخيص مجمل التطورات أوالتحولات في الحياة العامة التي عاشها المؤلف خلال القرن (١١هـ / ١٧م) فهوعاش في عهد الدايات بداية حياته وشبابه وعاش باقي عمره في فترة حكم باشا أحمد القرمانلي.

١-الجانب السياسي:-

ترسخ نظام الدايات، بدايات التشكل الجغرافي لإيالة طرابلس بما يعرف ليبيا اليوم، فالنفوذ السلطاني العثماني كان يمتد نحوالشرق حتي درنة والجنوب فزان والجنوب الشرقي (أوجلة) والجنوب الغربي (غدامس)، وتطور البحرية الطرابلسي. لتصدي للهجمات الأسطول المسيحي، وقد اتسم حكم عثمان باشا الساقزلي،العهد الذي عاش فيه الشيخ عبد السلام التاجوري بالقوة،ولكنة كان عرضة لكثير من المؤامرات والثورات العربية للظلمة للأهالي.[١] رغم ذلك استطاع يفرض حكمه على البلاد لمدة تزيد عن عقدين من الزمان[٢].

ونتيجة القوة البحرية التي أنشأها عثمان باشا، أصبحت ولاية طرابلس مكانة مرموقة كدولة بحرية، تفرض سيطرتها على ما يقابل سواحلها، وتخشاها الدول الأوروبية آنذاك، لذلك حرصت على أن تعقد معها الاتفاقيات لتأمين سلامة تجارتها ورعاياها، فأبرمت معها انجلترا سنة ١٦٨٨م معاهد صلح وهولندا سنة ١٦٦٢م[٣].

وبعد وفاة عثمان باشا الساقزلي سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧٢م، تولي حكم البلاد عدد كبير من الولاة بلغ عددهم ثلاثة وعشرون واليا،عاصرهم المؤلف، إلا أن حكم كل واحد منهم لم يدم أكثر من خمس سنوات، بل أن بعضهم بقي سنة واحده في الحكم ثم أطيح به، تقدر هذه

(١) روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة، ص٢٨٠.

(٢) ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي، ص ١٥٥.

(٣) روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة، ص ٢٩٧.

الفترة التي اتسمت بعدم الاستقرار حوالي تسع وثلاثين سنة، بعدها تولي حكم البلاد أحمد باشا القرمانلي سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م، عند ذلك شهدت البلاد فترة من الاستقرار حيث عاصر المؤلف حكم أحمد باشا سته عشر سنة، فلقد كانت وفاة صاحبنا الشيخ التاجوري سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م، هذه تميزت ازدهار الحياة الثقافية[١].

٢- الجانب الاقتصادي:-

ازدهرت الحياة الاقتصادية بعقد الاتفاقيات التجارية بين إيالة طرابلس والدول الأوروبية منها الاتفاقية مع هولندي والانجليزية رغبة منهم، وكذلك نشطت حركة القوافل بين الأقطار الإفريقية عبر الجنوب، ظهور بعض الآثار المعمارية مثل سوق الترك[٢]، سوق الرباع وبعض الفنادق لجنود الانكشارية، إلا أنه أتقل أهالي المدنية والضواحي بالضرائب الفادحة مما يالبهلولقول ابن غلبون - نقلا عن البهلول «ومن عظيم ظلمة الفاحش أنه إذا باع أحد الشركاء عقاراً، ولوجزءاً لا يتجزأ، أغرم البائع وغير البائع مكس العقار كله، ممن باع ومن لم يبع»...وفرض على كل عبد يجلب من فزان ضريبة قدرها ريالاً وثمناً»[٣].

٣-الجانب الاجتماعي:-

ازدياد الهجرة الأندلسية خاصة بعد قرار الطرد العرب المسلمين من الأندلس سنة (١٠٨هـ / ١٦٠٩م)، كذلك ازدياد حجم الجاليات الأوروبية على أثر توقيع الاتفاقيات التجارية، وظهور شريحة (الفولوغلية[٤] وانضمامهم إلي شريحتي الأتراك العثمانيين،

(١) شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزوالإيطالي، ترجمة، د. محمد عبد الكريم الوافي، نشر المنشأة العامة للنشر طرابلس، ١٩٨٣م ص ١٤٣.

(٢) باكير، حسين سالم (٢٠٠٩). الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، ص٣٠.

(٣) ابن غلبون، القاهرة، ص ١٠٩-١١٠.

(٤) هم الابناء المولدون من زواج جنود انكشارية بالنساء الوطنيات أوالجواري الأوربيات، لذا يطلق عليهم ابن غلبون الفولوغلية، انظرا ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)،

والأعلاج[١]، دخلت في منافسات الصراع السياسي بالإيالة إلى أن تمكنت من الاستئثار بالسلطة في العهد القرمانلي.

٤- الجانب الثقافي:-

لعل أهم ما قام به الوالي عثمان الساقزلي اثناء فترة حكمة طرابلس بناء المسجد ومدرسة لتعليم العلوم التي التحق بها المؤلف فيما بعد لاستكمال تعليمة في مدينة طرابلس، وأوقف عليه أوقافا جمة[٢].

وبعد تولي الحكم الباشا أحمد القرمانلي نشطت الحياة الثقافية في طرابلس ولعل يرجع إلي استقرار الأوضاع السياسية في الولايه، وجود عدد من العلماء والفقهاء الذين ساهموا إلى حد كبير في نشر العلم والأدب، سواء ممن تلقوا علمهم في المنارات العلمية داخل البلاد، أوممن كان تحصيلهم عن طريق الرحلة سواء للمشرق أوالمغرب، ومن العلماء الذين عاشوا زمن المؤلف منهم على سبيل المثال الشيخ أحمد بن عيسي البربوعى، والشيخ محمد بن محمد بن مساهل والشيخ العارف بالله تعالي محمد بن الإمام، والشيخ أحمد البهلول والشيخ أبوالحسن على بن عباد الصادق من أجلاء الشيوخ وأكابر العلماء العارفين، له مؤلفات عديدة تدل على باعه في العلم[٣]، غيرهم الكثير لا يسعي المجال إلى ذكرهم، وهذا الزخم من العلماء ومجالاتهم المتعددة من فقه وأدب وعلوم كانت مناخ خصب لشيخنا التاجوري ينمووبيدع ويؤلف ويناظر العلماء من مختلف الأقطار سواء في طرابلس أوفي أرض الحرمين من علماء المشرق أوالمغرب.

المدار الإسلامي ص٢٢٤.

(١) ابن غلبون، ص٢٢٤.

(٢) النائب، أحمد الانصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص ٣٣٩/-٣٤٠.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣- ٢٩٠.

التعريف بالكتاب ومكانته بين كتب الفتاوي:

أولا: هدف المؤلف من تأليف الكتاب:

يعد كتاب «تذييل المعيار «ذيل لكتاب المعيار المعرب والجامع المغرب، عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تأليف أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفي بفأس سنة (٩١٤هـ / ١٥٠٨م). يهدف مؤلف من هذا الكتاب التالي:-

١. تجميع الاجتهادات والفتاوي التي صدرت عن عدد من علماء المالكية تعالج الوقائع جديد لم يتناولها كتاب الونشريسي تعن القضاة والمفاتي وطلبة العلم في إحكامهم وبحوثهم.
٢. عدم احتواء كتب الفتوي في كثير من الأحيان فتاوي علماء المالكية، التي صدرت من هذا القطر الذي يعيش فيه.
٣. لوثيق الاتصال بين علماء المالكية في مصر والمغرب وتونس والجزائر. وجب عليه تأليف هذا الكتاب ليكون إضافة في معالجة الوقائع الجديدة في هذا القطر وغيره من الوقائع والأقطار المجاورة.
٤. جمع الحوادث المستجدة في المغرب العربي وآراء الفقهاء فيها التي خاصة لم يظهر أي مؤلف جديد يتضمن هذه المستجدات منذ وفاة الونشريسي التي ما تقرب على قرنيين من الزمن.[١]

ثانيا: وصف الكتاب ومنهجية:

كان الكتاب مخطوطاً بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية نسخة واحدة تتكون من مجلدين، المجلد الأول ضاعت منه ورقات من المقدمة وأجزاء من الكتاب، تمكن المحقق

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص ٣١-٣٢.

من الحصول على كناش كتبه احد تلاميذ الشيخ استطاع المحقق أن يستكمل بها الناقص، كما تحصل المحقق بعد جهد على النسخة آخري من كتاب تذييل لدى إحدى الأسر في سوق الخميس بليبيا إلا أنها تبدا من مسائل البيع إلى نهاية الكتاب ستطاع المحقق من خلال التواريخ الواردة في الكتاب يستدل منها علي أن بداية التأليف كانت في سنه ١١٠٣ هـ / ١٦٩١ م مع ان بعض المسائل كانت قبل ذلك وكذلك لم يجد المحقق في خاتمة النسختين المعتمد عليهما في التحقيق ما يفيد تاريخ الفراغ من تأليفه؛ إلا أن وجد في أحد النسخ إشاره إلي أن نسخها كانت سنه ١١٣٨ / ١٧٢٥م أي قبل وفاه المؤلف بسنه واحده.

ثالثا: محتويات الكتاب:

قسم المؤلف الكتاب إلي أبواب وكتب ومسائل وفصول فلم يلزم المؤلف نهجا واحد، ولم يستعمل مصطلح النوارل كم كان متعارف عليه بين المؤلفين في فقه الفتاوي استعمل بدلا منها كلمه المسائل وهي مراد كلمه النوازل ومن قواعد التأليف قديما يضع المؤلف بابا جامعا في نهاية الكتاب يخصص للمسائل أوالقضايا التي لا تتدرج تحت الأبواب السابقة، ولكنها ضروري لا يستغني عنها، كما أن المحقق لاحظ التفاوت بين أبواب الكتاب في عدد المسائل[١].

يشمل المجلد الأول علي: مسائل في العقيدة والأخلاق والتصوف، وكتاب الطهارة ومسائل الاستقبال فرائض الصلاة، ومسائل القيام، وباب جامع في الصلاة ومسائل النقل، ومسائل سجود التلاوة، والمسائل المتعلقة بالمساجد والأئمة وصلاة الجماعة، ومسائل الاستحلاف ومسائل قصر الصلاة، ومسائل في السفر ومسائل الجمعة، ومسائل العيدين والاستسقاء والكسوف، ومسائل الجنائز، وفضل في كيفية تغسيل الميت وكتاب الزكاة، ومسائل مصرف الزكاة، ومسائل زكاة الفطر، وكتاب الحج، وكتاب الذكاة، وكتاب الأطعمة

(١) التاجوري: تدييل المعيار، ص٣١-٣٢.

والأشربة، وكتاب الأضحية والعقيقة، وكتاب مسائل الأيمان والنذور، ومسائل الوليمة، ومسائل القسم للزوجات، ومسائل النشوز، وباب جامع لمسائل الخلع وتوابعه، وكتاب الطلاق، وكتاب المفقود والغائب والمعسر بالنفقة، وكتاب النفقات وكتاب الرضاع وكتاب الحضانة وكتاب البيوع[1].

إما المجلد الثاني فهويشمل الأبواب التالية: باب جامع المسائل البيوع، ومسائل السلم، ومسائل القرض، وكتاب الرهن، وكتاب التفليس وكتاب الحجر، وكتاب الحوالة والضمان، وكتاب الشركة، وكتاب الوديعة وكتاب العارية، وكتاب الوكالة، ومسائل في الاستلحاق، وكتاب الغصب التعدي، وكتاب الشفعة، وكتاب القسمة، وكتاب القراض، ومسائل كراء الدواب، وكتاب إحياء الموات، وكتاب الوقف، وكتاب الشهادات، ومسائل الحيازة، وكتاب الدماء، وكتاب البغي والحرابة، وكتاب الزنا، وكتاب القذف والسرقة، وكتاب الشرب، وكتاب العتق وكتاب التدبير، وكتاب الولاء، وكتاب الوصايا، وكتاب المواريث والفرائض[2].

يضم الكتاب في نهاية كتاب الجامع لمسائل متفرقة من أبواب شتي أولها رسالة في القرآن الكريم تضم الأبواب التالية: الباب الأول في ذكر آداب تلاوة القرآن، والباب الثاني في ترتيب سور القرآن، والباب الثالث في كيفية نزول القرآن، والباب الرابع في أخذ الصحابة القرآن، كما يضم مؤلفات صغيرة منها رسالة الشيخ العربي الفاسي في شهادة اللفيف، ثم رسالة علمية في النقود المضروبة في دار الإسلام وحكم التعامل بها، ومبحث طويل لمسالة وقعت في طرابلس حول تزويج المرأة بدون موافقتها، ومباحث في كيفية الشهادة على الخصوم، كما نقل المؤلف مسائل عديدة من رحلة الشيخ أبي سالم العياشي، فيها مباحث مفيدة في

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨.

العقيدة والتقريب بين المذاهب والتصوف، وختم ذلك كلمة بنقل بعض المسائل من كتاب المحضرات للشيخ أبي على الحسن البوسي[١].

أما الجزء السادس من الكتاب خصصه المحقق فهرس عام كان جهد كبير من المؤلف ميز به الكتاب وجعله من كتب النوازل الموسوعة، تعتبر الفهارس مفتاح الكتاب، وبدونها يظل الكتاب مغلقا، لقد تقدم نظام فهارس الكتب في مجال الدراسات الإسلامية فلم يعد مقتصرا على فهرسة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والكتب والمؤلفات والأعلام، وإنما بدأ يتطور خاصة في كتب الفقه وأصوله والسير والتراجم وغيرها، لذلك أشرت في مقدمة الكتاب إلى نوعين من الفهارس الجديدة حرصت على مواكبتها والسير على نهجها، وهما فهارس كتاب المعيار المعرب للونشريسي، وكتاب اليوميات الليبية لمؤلفة حسن الفقه حسن، فهذان الكتابان وإن كانا يختلفان موضوعا، فالأول في الفقه والثاني في التاريخ، إلا أنهما يتضمنا ن العديد من المعلومات المعارف والفنون التي قد تخدم الكثير من الاغراض العلمية والدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية[٢].

ولتحقيق ذلك الهدف جاء المجلد السادس متضمنا اثنين وعشرين فهرسا محتويه لكافة المعارف والمعلومات التي وردت في الكتاب، فضلا عن الفهرس النهائي الذي يضم كافة المسائل التي وردت في الكتاب بأجزائه الخمسة ورغم ما في ذلك من مشقة تضاف إلى ما عانيته من ترجمة الأعلام وتخريج الاحاديث وتتبع النقول التي وردت في الفتاوي، والبحث عنها في مظانها للتأكد من صحتها، ومع ذلك أليت على نفسي أن يختم هذا العمل بهذه الفهارس الكثيرة، لكي يكون التحقيق ي مثل هذه الكتب تحقيقا موسوعيا أرغب في أن يطلق عليه، شاملا لفهارس عديدة تخدم الباحث المتخصص والقارئ العادي، تسهل عليه مهمة الاطلاع ومساعدة الدارسين الباحثين وغيرهم في العثور على معلومات مفيدة

(١) المرجع نفسه، ص ٣٨-٣٩.
(٢) التاجوري: المعيار، ٦/٧-٨.

في سهولة ويسر ودون عناء البحث إلى جانب كونها مفيدة في العديد من الدراسات.هذه الفهارس هي:-

جرد عام لمواضيع الكتاب / جرد مفردات الأبجدية العام / فهرس أبجدية عام للموضوعات الفقهية / جرد مفردات فهرس الإشارات التاريخية والاجتماعية / فهرس القواعد الفقهية والأحكام والقواعد الأصولية والشرعية / فهرس الآيات القرآنية الكريمة / فهرس أطراف الحديث الشريف / فهر الآثار / فهرس الكلمات المشروحة / فهرس الأمثال والحكم / فهرس الأبيات الشعرية والمنظومات / فهرس الطوائف والفرق والأهالي / فهرس الأعمال والصنائع والحرف / فهرس الأعلام / فهرس الكتب والمؤلفات / فهرس ا أماكن والبلدان والدول / فهرس الحيوانات والطيور والحشرات / فهرس المكاييل والموازيين والمقاييس / فهرس النقود والمسكوكات المعدنية / فهرس ا أشياء الأطعمة والأغذية والأمراض / فهرس المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة والتحقيق / الفهرس العام لكافة مواضيع ومسائل الكتاب[(١)].

رابعا:- منهج المؤلف في الكتابة:

نهج الشيخ عبد السلام التاجوري في تأليفه كتاب تذييل المعيار على نهج الشيخ الونشريسي في غالب أبواب الكتاب، إلا أنه أفراد الأبواب التي لم ترد في المعيار، منها الكتاب الأول الذي خصصه لمسائل متعددة في العقائد والأخلاق والتصوف، كذلك أفراد مسائل خاصة باستقبال القبلة، وتناول فتاوى بعض المعاصرين بين فقهاء طرابلس الغرب إلى جانب فقهاء تونس والجزائر والمغرب ومصر، وختم ذلك بكتاب جامع نقل فيه وسائل علمية ومباحث مفيدة لفقهاء من مصر وليبيا وتونس والمغرب. يقول المحقق الدكتور الزريقي «بما تميز به منهج تذييل المعيار، فمسائلة أقل عددا من مسائل المعيار المعرب، فهووإن كان قد اتبع نسقه، إلا

(١) نفس المرجع ١٢/٦.

أنه تميز في بعض الأحيان عن أسلوب الونشريسي»[١].

خامساً: تميز نهج المؤلف:

١-اتبع المنهج الصوفي:

تبني المؤلف نهج المتصوفة بإتباع طريقة جده عبد السلام الأسمر، يتضح ذلك بترجيح آرائهم في تعليقات على بعض المسائل في كتابه المعيار، يري أن المنصوفة يرفضون دعاوي الهوي فيقول:

«المسائل إذا كانت ذات قولين، وكانت الصوفية مع أحدي الطائفيين، ترجح قولهم لا محالة لما رزقوا من صدق الإلهام ونفوذ البصيرة مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور فيميلون مع الحق أين ما مال لرفضهم دعاوى الهوى، نص علي ذلك غير واحد من ألائمه وقد شاع وذاع عند كثير من الناس[٢].

٢- لحس النقدي:-

دقيق فيما ينقل، فلا تمر عليه المسائل إذا كانت متعارضة مع غيرها أولاحظ التداخل اوالتعارض اوسهو'إلا ينبه عليه القاري، وأحيانا يقوم بإيذاء رأيه في المسالة، أويرجح بعض الآراء على غيرها ففي كتاب الوديعة، كانت له آراء خاصة به في العديد من المسائل اويرجع بعض الآراء علي غيرها ومثال علي ذلك في كتاب الوديعة، سئل الشيخ محمد بن ناصر الدرعي عمن له دين في ذمة رجل مثل السلف وأكله غصبا، هل يجوز أخذه من متاعه إذا كان عنده بالأمانة والسرقة أويجوز إلا بإذنه؟ فأجاب: لا يعلق المؤلف على هذه المسالة بالآتي: قلت:

(١) المصدر نفسه، ١/ ٤١- ٤٥

(٢) التاجوري تذيل المعيار، ص ١/ ٥٦

وهذا منه رحمه الله على طريق الورع على عادته، وإلا يجوز للإنسان أن يأخذ شيئه ممن ظلمه، ولومن الأمانة والسرقة أولا يجوز إلا بإذنه؟ فأجاب:

لا، يعلق المؤلف على هذه المسالة بالآتي:

قلت: وهذا منه رحمه الله على طريق الورع على عادته، وإلا يجوز للإنسان أن يأخذ شيئه ممن ظلمه، ولومن الأمانة الموضوعة، على ما رجحه غير واحد من شرح المختصر، مصرحين بمخالفة قول الشيخ خليل وليس له الأخذ منها لمن ظلمه بمثلها[١].

وكان يشكك في الحكم الوارد في النصوص المنقولة أوفي صحة المنسوخ منه، وأن أحتاج الأمر الي تحقيق في الأمر بمراجعة المنقول منه.

٣ ـ الأمانة العلمية:

تميز المؤلف بالأمانة العلمية بإشارة إلى المصادر التي ينقل منها بعبارة وسئل الشيخ ..... وإذا نقل من كاتب يقول: ومن خط فلان، ثم يذكر المسألة، فجميع مسائلة معروفة المصدر[٢].

٤ ـ يستخدم الاختصارات:

يستعمل الرموز للإشارة الي الفقهاء الذين نقل عنهم الفتاوى وهوأمر متعارف عليه في كتب المتأخرين من المالكين، ولذلك حذا حذوهم، وقد أعطي رموزا لبعض علماء ليبيا رغبه في الاختصار، وهي رموز محلية،فوقع التشابه بينها وبين مصطلحات المالكية الأخرى، منها ممثلا رمز للشيخ محمد بن محمد بن مقبل بحرفين (مق) ورمز للشيخ لابن ناصر الدرعي (صر)[٣].

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص ٥٧

(٢) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. ١/ ٥٧

(٣) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ١/٥٨.

سادسا:ـ أهمية الكتاب:

- يُعد فقه النوازل والإحكام الفقيه مادة تاريخية تعكس المستجدات الاجتماعية التاريخية التي تحدث في المجتمعات الإسلامية سواء اجتماعية أواقتصادية وحتى سياسية تعكس الظواهر والأحداث التي تمر بها تلك المجتمعات، وهي أحداث تحتاج إلى اجتهادات العلماء، فيها وفق القواعد الفقهية.
- ويعتبر كتاب «تذييل المعيار «لشيخ عبد السلام التاجوري من مؤلفات علماء طرابلس في القرن التاسع، هتم فيه بالمسائل الفقهية المستجدة في القطر الذي عاش فيه والأقطار المجاورة، مما يعكس أهم المتغيرات العصر في جوانب الحياة الاقتصادية.
- هذا المؤلف «تذييل المعيار «يمكن اعتباره من الكتب الجامعة هذا الفن في مدرسه الفقه المالكي يتضمن عدد من الكتب ثم حصرها م من قبل المحقق الدكتور جمعة الزريقي نذكر منها.

أ. أ- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، لأبي القاسم البرزلي (ت٨٤١هـ)

ب. ب- المعيار المعرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد الونشريسي (ت٩١٧ هـ).

ت. ج- تذييل المعيار موضوع الدراسة للشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري (ت ١١٣٩هـ).

ث. د -كتاب المعيار الجديد للشيخ أبي عيسى المهدي الوزاني، (ت ١٣٤٢ هـ)[1].

٤- يكسب هذا الكتاب عن غيره مؤلفات النوازل لعلماء المالكية في طرابلس أهمية

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. ص٣٦.

خاصة لكون من الكتب التي لم يجد لها انتشار بين الأقطار العربية خلافا الي عدد من مؤلفات النوازل لعلماء المالكية التي وجدت لها انتشار على مستوى واسع.

٥- جمع المؤلف فتاوي عدد من علماء ليبيا لم تكن فتاواهم ذكرت في مصادر أخري، كم أن لم يقتصر جمع الفتاوي علماء المغرب العربي، بل شمل فقهاء المالكية في مصر.

٦- غطي الكتاب مساحة جغرافية أوسع من كتاب المعيار المعرب وغيرها من الكتب التي كانت أغلبها تقتصر على المغرب العربي ومنها يشمل الأندلس، إلا أن هذا الكتاب «تذييل المعيار» ضم فتأوي علماء المالكية في مصر، كما أن نطاقه الزمني يغطي حتي أواخر القرن العاشر والقرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر.

٧- يغطي مرحلة تاريخية مهمة لتطور الفقه المالكي في المغرب العربي، لأن الاجتهادات الفقهاء الذين وردت فتاواهم فيه، تناولت العديد من القضايا والظواهر التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي بهذه المنطقة[١].

سابعا: مصادر التي اعتمد عليها المؤلف:

لقد اعتمد المؤلف على فتاوى التي جمعها في مؤلفه على الفتاوي التي صدرت عن علماء المغرب العربي ومصر، ولا نقول أنه جمع كل ما صدر من فتاوى، بل جمع واصل إليه، من فتاوى فقهاء طرابلس في النوازل التي عرضت عليهم، وعلى ما نقله المسافرين من فتاوى صدرت في المغرب الأقصى، وغيرها من الأقطار، أوأجوبة التي كان يتلقها من علماء أرسل لهم مسائل طلب فيها الفتوى، أومن خلال ما سمعه من أجوبة من شيوخه أثناء مرورهم بطرابلس، وكذلك ما طرحه من أسئلة على العلماء الذين التقاهم خلال رحلته للحج. ومن أشهر العلماء الذين استفاد منه في الفتاوى الشيخ يحيى الشاوي من علماء الجزائر، الذي لتقي به

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص ٤٥

أثناء مروره بطرابلس في رحلة إلي الحج، والشيخ أبى القاسم عظوم من تونس، ومن الشيخ عبد الله العروي السوسي، ومن علماء القطر (الليبي) الشيخ محمد الصالح الحضيري من عائلات مدينة فزان وأعيانها، والذي أقام في طرابلس فاحتك بعلمائها وقام بالتدريس فيها وكان شيخا عالما فقيها تعرض عليه المسائل من عدة مناطق، ومن علماء طرابلس الشيخ محمد بن محمد بن مقيل، مفتي طرابلس، علامة عصره وفائق أهل مصره، والشيخ أحمد المكني شيخ بن مقيل الذي أجازة في كل العلوم. ومن علماء، ومن القطر المصري الشيخ أبور شاد نور الدين على بن زين الدين بن محمد بن عبد الرحمن الأجموري، من شيخ المالكية في عصره[1].

ثامنا: النقد الذي وجهه المؤرخين للمؤلف:

يمكن تلخيص النقد الذي وجهه المؤرخين للمؤلف في النقاط التالية:

١- أخطأ منهجية:-

أ- لا يعتمد على منهجية في نقل المعلومات، بل يعتمد على أقوال العوام في ترجمة الأعلام خاصة في كتابه فتح العليم.

ب- لا يستخدم العقل في نقل المرويات مما يتنافي مع الشرع، حسب رأي ابن غلبون[2].

ج- حسب رأي ابن غلبون أنه عير دقيق ينقل في بعض المسائل الفقهية وإدراجها في مؤلفه دون التأكد من موافقتها للمشهور من المذهب.

د- عدم إتقانه للفتوى لاستعماله الحيل الفقهية في مجال المعاملات[3].

٢-القيمة العلمية:

(١) التاجوري: تذييل المعيار، ١/ ٥٨-٦٤

(٢) ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي، ص٢٣٧.

(٣) التاجوري: تذييل المعيار، ١/ ٤٧.

قلل ابن غلبون من قيمة كتاب تذييل المعيار العلمية بقوله»...الشيخ عبد السلام التاجوري....وألف كتابا في الفتاوي سماه (التذييل) زعم أنه ذيل المعيار، وجمع فيه الغث والسمين شيئا لم يسبق به»[١] وهذا يدل على تقليل من شأن الكتاب، كما يفهم من مجمل عبارات ابن غلبون أن الكتاب لا يصلح أن يكون ذيلا للمعيار وليس في مستواه.

٣ـ مناصرته لأهل التصوف:

يعاب على المؤلف ميله إلى التصوف وتصديقه للكرامات المنسوبة إلى الأولياء والصالحين، يستند في آراء إلي صوفية أكثر استنادها إلى أحكام الشرعية[٢]. ويتضح ذلك من قوله».. المسالة إذا كانت ذات قولين، وكانت الصوفية مع إحدى الطائفتين، ترجح قولهم لا محالة لما رزقوا من صدق الإلهام ونفوذ البصيرة مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور فيميلون مع الحق أين ما مال لرفضهم دعاوي الهوي، نص على ذلك غير واحد من الأئمة، وقد شاع وذاع عند كثير من الناس...)[٣]، وفي هذا الصدد ينتقد المؤرخ مصطفي المصراتي الذي قام بدراسة كتابين من كتب الشيخ عبد السلام التاجوري، وهما كتاب الاشارات وكتاب فتح العليم، ومجالهما التراجم السير الذاتية، حيث قال «وعندما ما تقرأ مستعرضا ما شحن به كتابه هذا من خوارق العادات والأمور العجاب يستغرقك الاستغراب «[٤]، لكن الأستاذ مصطفي المصراتي ينصف المؤلف ويشيد بجهده فلا ينكر الفائدة العلمية لهذه المؤلفات، احتواها على عدة معلومات مفيدة تغطي نقصا في مصادر أخري، العديد من الفوائد التاريخية والحقائق الاجتماعية، وفي التراجم والمناقب والسير الذاتية للعلماء وفقهاء وحكام،

---

(١) ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي، ص٢٣٧

(٢) التاجوري: تذييل، ص ١/ ٥٢.

(٣) المصدر نفسه،١/ ٥٦ نقلا عن العياشي، أبي سالم عبدا لله)١٩٧٧(. الرحلة العياشية طباعة حجرية، المملكة المغربية، الرباط، (دون رقم صفحة).

(٤) مؤرخون من ليبيا، ص ٢٦٥.

خاصة في كتاب فتح العليم[١].

ولإنصاف الشيخ عبد السلام التاجوري، خاصة فيما ذكره ابن غلبون من نقد في الجانب المنهجي والقيمة العلمية ومناصرته لأهل التصوف نود عرض ما ذكره الأستاذ جمعة الزريقي محقق كتاب تذييل المعيار في قوله «... فإن ما نقله من فتاوي تبدوغريبة لأنها تستند إلى آراء صوفية أكثر من استنادها إلى أحكام شرعية، وإن كنا نختلف مع المؤلف فيها إلا أنه لم يكن مصدر لهذه الآراء بل هوجامع لها فقط، وما يقال عن الفتاوي التي تتضمن بعض الآراء الصوفية يقال أيضا عن الفتاوي التي تتضمن بعض الحيل الفقهية، يفتي بها بعض حذاق الشيوخ لالتماس الحلول من اختلاف المذاهب، وهوشيء معروف في الفقه الإسلامي، ولا يخلومنه أي مذهب، فكل هذه الفتاوي نقلها عن علماء وعزاها لهم بكل وضوح حسبما يراه القارئ في هذا الكتاب «ويضيف المحقق جمعة الزريقي «وسبب نقله لهذه الفتاوي التي - فيما اعتقد- كانت سبب انتقاد المؤرخ ابن غلبون للكتاب، أنه رجل صوفي شديد الثقة بما يقول به شيوخ التصوف وما يعتقدونه من آراء إضافة إلي أنه سليل الشيخ عبد السلام الأسمر صاحب الطريقة الصوفية المعروفة، والتي تبناها أحفاده من بعده وعملوا على نشرها بكافة الوسائل، ومن أهمهم الشيخ محمد أبوراوي شيخ المؤلف، فمن الطبيعي أن يسلك المؤلف مسالك آبائه وأجداده وشيوخه»[٢].

الإشارات التاريخية والاجتماعية التي أشار إليها مؤلف كتاب تذييل المعيار العالم الشيخ عبد السلام التاجوري نذكر منها:-

أولاً:- مسألة[٣] تزويج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم[٤] من الخليفة الثاني عمر بن

(١) المرجع نفسه، ص ٢٩٩.
(٢) التاجوري: تذييل المعيار، ١/ ٥٢.
(٣) التاجوري المعيار، ٢/ ١٨٩.
(٤) هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، أمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، شقيقة الحسن والحسين، ولدت

الخطاب، من أهم المسائل التي أثير حولها كثير من المناقشات والمجادلات بين السنة والشيعة منذ القرن الأول الهجري حتى وقتنا هذا.

لقد كان سبب هذا الزواج قول:رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سببٍ(١) ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلا سببي ونسبي(٢)» فقصة هذا الزواج قصة اكتساب الشرف، اكتساب السبب، سبب الاتصال بالله عز وجل لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:»كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي «كما تذكر المصادر التاريخية امثال المؤرخ يعيقوني والطبري(٣).

ثانيا: إعلام طرابلس إسهاماتهم العلمية:

مسالة انحراف قبلة مسجد القرويين(٤) التي تجمع بين هذه العناصر.

ثار الجدل جول الاتجاه الصحيح لقبلة جامع القرويين بعد بنائه وحاول بعض الأمراء تغيير المحراب، غير ذلك لاقي معارضة شديدة من فقهاء المغاربة وصروا على بقاء المحراب في موضعه، تنقل خبر انحراف القبلة في جامع القرويين بين العامة والخاصة من علماء وفقهاء المغرب العربي، علم بها الشيخ العالم الفلكي عبد الرحمن التاجوري من علماء المغاربة المتجهين الي المشرق، ولدرايتة بعلم الفك والمواقيت قام بدراسة الموضوع أرسل رسالة الي

في حدود سنة ستٍ من الهجرة، رأت النبي صلى الله عليه وسلم جدها، ولم تروعنه شيئاً، تزوَّجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك سنة سبع عشرة من الهجرة.

(١) والسبب هوالطريق الموصل إلى الله ولايكون - كما لايخفى - إلا عن طريقه صلى الله عليه وسلم. المكتبة الشاملة الحديثة، ملتقي الحديث، ص ٢١٠.

(٢) ورواه أحمد في فضائل الصحابة حديث رقم ١٠٣٤ حدثنا محمد ثنا بشر بن مهران نا شريك عن شبيب بن غرقدة عن المستظل أن عمر فذكره أرشيف ملتقى أهل الحديث - المكتبة الشاملة الحديثة، ص ٢١٠، انظرلراوي: عبدالله بن عمر، المحدث: الذهبي المصدر: المهذب الصفحة أوالرقم: ٥/ ٢٦٣٢ المكتبة الشاملة الحديثة.

(٣) أسدرم، حافظ وياسر مصطفي الشيخ (٢٠١٦). إثبات زواج عمر رضي الله عنه من أم كثلوم بنت على رضي الله عنه، ميرة الآل والاصحاب، الكويت: المكتبة الوطنية، ص ٤٤٩.

(٤) التاجوري: المعيار، ١/ ٢١٩,٩.

أمير فاس أحمد الوطاسي[١]، شرح فيها خطأ توجه المصلين في فاس إلى الجنوب ما دامت مكة تقع في جهة الشرق، معتمدا على أدلة عقلية ونقليه، مؤكدا بأن ذلك منكرا ويجب تغير القبلة، وبعد مناقشات للرسالة من علماء فقهاء المغرب احتجوا عليه بان لم يزور فاس ولم يري الجامع، الا أنه رد عليهم بأدلة فلكية وهندسية وفقهية مبينا بالدليل القاطع على أقوالهم التي جاءت قي رد علهم على رسالة الموجهة الي الأمير احمد الوطاسي عام ٩٥٥هـ، وفي هذا يقول الدكتور محمد حجي «ولم يلق التاجوري عنتا في دحض حجج الفقهين المغربيين اللذين مكناه من

أنفسهما عندما خاضا فيما هوخارج عن دائرة اختصاصها «[٢].

وبعد المجادلات التي دارت بين التاجوري وبعض العلماء المغرب حول قبلة مساجد فاس، ثم تغيير الاتجاه في عهد الأمير محمد الشيخ الأصغر الذي أعطي أوامره بوضع علامة على المحاريب، توضح الاتجاه الصحيح، كان ذلك في عهد الدولة السعدية[٣].

وعالمنا الفلكي هذا هوالشيخ عبد الرحمن بن أحمد أبوزيد[٤] (التاجوري) نسبته إلى ضاحية من ضواحي طرابلس الغرب (ت ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م)[٥] ودفن في مدينة زليتن).

يعتبر في عصره شيخ الجماعة في الفلك والتوقيت، ولهذا العالم العديد من المخطوطات المتعلقة بهذا العلم إلى جانب الرسائل الهامة التي ناظر بها فقهاء المغرب حول قبلة جامع القرويين بفاس منها:-

(١) حجي، محمد. الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، الرباط، ص ١ / ٢٩٠.
(٢) حجي، محمد. الحركة الفكرية في المغرب في عهد السعديين، ١ / ٢٩٠.
(٣) الزريقي، جمعة محمود: تراجم ليبية، دار المدار الاسلامي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٤٧٤.
(٤) مخلوف، محمد بن محمد بن عمر (٢٠٠٣). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ط١)، تعلق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان: دار الكتب العلمية.، ص٢٨٠، وكذلك أحمد النائب الانصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ص ١٩٧، والزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص٩٩٩.
(٥) كحالة: رضا: معجم المؤلفين، ٥ / ١٣١.

١. شرح رسالة الماrديني في الربع المجيب -مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم ٦٥٦-٨٥٩.

٢. رسالة في استعمال بيت الابرة- يوجد منها نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقمي ٣٤٥٧د -٣٤٨٨ د..

٣. ورقات في معرفة وضع بيت الابرة على الجهات الاربع - المكتبة الصبيحية بمدينة سلا محفوظة تحت رقم مسلسل ١٢٠٦- ١٠٨٠.

٤. ورقات في معرفة القبلة والأوقات - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٧٤٠ ق.

٥. رسالة بعثها التاجوري ألى فقية درعة محمد بن على التمكروتي حول اتجاه القبلة في مساجد فاس مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم ٦٩٩٩.

٦. تنبية الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين - مخطوط بالمكتبة الملكية عدد ١٠٥٣ غير مرقم.

٧. رسالة في العمل بربع المقنطرات مكتبة تمروت ن مكتبة الجامعة استانبول والحسنية بالرباط وليبزج والقاهرة.

٨. رسالة في علم الهيئة مكتبة السلمانية استانبول.

٩. شرح المطلب اشار اليها بروكلمان[١].

١٠. رسالة في التوطية في الحساب السنة الشمسية، مكتبة الحسنية / الرباط[٢].

ثالثا: العلاقات الثقافية:

(١) :https://www.alukah.net/sharia/0/92735/#ixzz7438jT5FO.

(٢) الزركلي: الاعلام ٣/ ٣٣٢ الموسوعة الشاملة الاكترونية، موقع tajuraa.blogspot.com.

هذا الموضوع يعد من ضمن العلاقات الثقافية بين علماء طرابلس والمغرب العربي والمشرق الإسلامي ولعل من أهم أسباب ودوافع هذا العلاقات الرحلات إلى الحجاز في سبيل أداء فريضة الحج، أثناء هذه الرحلة تحط الرحال عند المراكز العمرانية عادة ما يتم فيها الاتصال العلمي بين الوفدين والمقيمين من علماء وأدباء وفقهاء، يتم تبادل المعارف العلوم، فضلا عن عنايتهم (بالرحلة العلمية) لمواصلة تحصيلهم وخاصة إلى تونس ومصر.

وقد أفرز هذا التواصل العلمي بين الأجيال وثائق علمية متنوعة، كالإجازات والأتبات والفهارس والتأليف المشتركة في صور الفتاوي والأسئلة والردود والتعليقات ونحوها، وكتب التاريخ ولتراجم. ويؤكد ذلك التواصل الملحوظ وحدة الحياة العلمية في البيئات العربية الإسلامية ودورتها المتصلة أخذاً وعطاءً في محيط متجانس في الأصول والروافد، الطرق والمناهج والتيارات والقضايا.

ومن صورة هذا التواصل الذي أشار إليه الشيخ التاجوري قي كتابه المعيار لقاء الفقيه العالم احمد المكني مقتي طرابلس في تلك الفترة مع العالم الجليل اليوسي في طرابلس في طريق لأداء فريضة الحج والعالم الصوفي محمد بن ناصر الدرعي[1].

عرف اليوسي بنفسه في كتابه «المحاضرات» بقوله: "أنا الحسن بن مسعود بن محمد، بن علي بن يوسف، بن أحمد بن إبراهيم، بن محمد بن أحمد بن علي بن عمروبن يحيى بن يوسف، وهوأبوالقبيلة، بن داود بن يدراسن بن ينتتو، فهذا ما بعد من النسب "[2] كان مسقط رأس اليوسي إذن بهذه الربوع، وعلى وجه التحديد بإحدى القرى بجبل ملوية.. يقول اليوسي في

---

(١) التاجوري: المعيار، ٦/ ١٦١

(٢) كتاب المحاضرات لليوسي- نسخة ورقية- نقلا عن: حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي المسماة: "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" للإمام الفقيه الأصولي النظار: أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢هـ- تقديم وتحقيق وفهرسة: حميد، حماني اليوسي (٢٠٠٨(. الدار البيضاء مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث الطبعة الأولى ص:١٦

حاشيته على عقيدة السنوسي انتصارا للمذهب الأشعري الذي كتب له الانتشار في كثير من بقاع العالم الإسلامي عامة، وشمال إفريقيا خاصة [١٦]: "ولا خفاء أن بقاء طريق الأشاعرة إلى آخر الدهر، واضمحلال غيرها من الطرق من أقوى الأمارات على أنها الحق، وأنها التي عليها النبي المصطفى-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، ثبتنا الله عليها حالا ومآلا، وجميع المؤمنين بها بمنه ورأفته"[١].

اهتم اليوسي بعلم الكلام على سنن من تقدمه من مفكري عصره، وتناوله في مؤلفاته موجزا تارة ومفصلا أخرى، وبخاصة في «القانون» و»الحاشية» و»البدور»، ومما أورده في «الحاشية» قوله: «قال:»الشيخ سعد الدين في شرح النسفية: وبالجملة فهو-يعني الكلام- أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية، ورئيس العلوم الدينية، وكون معلوماته العقائد الإسلامية، وغايته الفوز بالسعادة الدينية والدنيوية، وبراهينه الحجج القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية. قال: وما نقل عن السلف من الطعن فيه والمنع منه، فإنما هوللمتعصب في الدين، والقاصر عن تحصيل اليقين، والقاصد إفساد عقائد المسلمين، والخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين، وإلا فكيف يتصور المنع عما هوأصل الواجبات وأساس المشروعات..وبالجملة، فشرف كل علم إنما هوبشرف معلومه، ولما كان معلوم هذا العلم أشرف المعلومات، كان هوأشرف العلوم.. "[٢].

وتجدر الإشارة أن فضل العلامة اليوسي على طلبة العلم وأهله لم يقتصر على داخل

(١) لدكتور حميد حماني-محقق كتاب" مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص" للإمام الحسن اليوسي وحواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي وأخذ الجنة وقانون العلم-وانظر كذلك: رسائل اليوسي- جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل القبلي- [وهي موضوع رسالة علمية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بكلية آداب فاس سنة ١٩٧٨ وهي في جزأين- طبعة دار الثقافة / الدار البيضاء -الطبعة الأولى / ١٩٨١، ص١٦ -١٧، نقلا عن منتصر الخطيب: ترجمة أبا الحسن اليوسي، الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، https://www.arrabita.ma/ A٩٪D٨٪٨٥٪AC٪D٩٪D٨٪B١٪AA٪D٨٪blog/٪D٨

(٢) حواشي اليوسي- ص: ١٧٦-٣١٧ نفلا هم الخطيب، إسماعيل (١٩٩٦). أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية. مجلة دعوة، العدد ٣١٦ (يناير فبراير)، المملكة المغربية، الرباط، ص١.

المغرب بل كذلك خارجه، ومثال ذلك على سبيل الذكر لا الحصر هوأنه قد استدعي من قبل فئة من علماء صفاقس طرابلس الغرب أثناء إقراره أداء مناسك الحج عام: ١١٠١هـ أي قبل وفاته بسنة لإعطاء الإجازة واستجاب لهذا الطلب. وأقام العلامة اليوسي بطرابلس الغرب وأجاز هؤلاء العلماء كما طلبوا بتاريخ يوم ٢٤ شعبان عام ١١٠١هـ. ومن الاجازات العلمية التي منحها الشيخ العالم البوسي إثناء إقامته في طرابلس مؤلف المعيار عبد السلام التاجوري في بعض العلوم كعلم الحديث وغيرها من العلوم وهذا ما يتضح من خلال هذه الأبيات:

أجـزت لكـم في كل مـا قـد رويتـه
ومـا قلـت مـن نظـم ومـن نثر
وحدثتكم في ذلكم عن شيوخنا ذوي
العلـم والعرفـان والفضـل والقـدر
ومن شـاء يسـتقصي ففهرسة لنا تضيء
لهـم كالنجـم في الطالـع الزهـر
على شرطها المعتاد في كل دورة من الفهم
والتحصيـل والصـدق في الذكـر[1].

هذه نماذج من التلاحق والتواصل العلمي بين علماء طرابلس وعلماء المغرب.

رابعا: المساجد القديمة في طرابلس وضواحها:-

مساجد قديمة كانت موجود في القرن العاشر الهجري في اقليم طرابلس. إلا انه، الآن لا وجود لها بُقي ذكرها في هذا المصنف وربما تحتاج الي البحث عليها من قبل علماء الآثار منها:-

(١) الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ص ١٠٧-١٠٨.

١- جامع الفواتير الذي ذكر أنه كان قريبا من ضريح أولاد سليمان وقد مر به الشيخ محمد بن ناصر الدرعي وسأله الشيخ أبوراوي عن صلاة الجمعة فيه فأجابه ببطلانها لقلة الدور حوله[١] المعروف الآن في وسط مدينة طرابلس على شط البحر.

٢- مسجد القليلة في مسلاتة والقليلة هناك عدة روايات حول تسمية هذة المنطقة فمن ضمن هذة الروايات يقال أن اسم القرية جاء من قلة عدد السكان بهذة القرية التي كان عدد سكانها قليلا في تلك الآونة بمقارنة بالقري المجاورة، ولكن الآن من أكبر القرى في مسلاته. وهناك رواية تقول أن الاسم جاء من (القلال) وهي الأقرب للصواب وهي مادة الفخار المستخدمة في صناعة أدوات الطبخ وحفظ الماء وغيرها من الاستخدمات في تلك الآونة. فكانت القرية في تلك الفترة مشتهرة بهذة الصناعات التقليدية.

٣- ومن المساجد القديمة المعروفة في مسلاتة مسجد عبد السلام الأسمر العتيق ومن أيام الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري الذي درس القراءن وعلومه علي يد الشيخ عبد الواحد الدوكالي في منارة مسلاتة في القرن التاسع الهجري، يقع في اعلي القرية القديمة بقرية القليل.

٤- ومسجد أحمد الرويمي أسسه الأخ أحمد الرويمي وهوينتمي الي عائلة الرويمي القاطنة في هده القرية مع غيرها من العائلات ومسجد عبد السلام الجدي الملقب أبوعوينة وهوحديث البناء في سبعنيات القرن الماضي[٢].

---

(١) التاجوري المعيار٦/ ١٦١.

(٢) شلوف، مسعود رمضان وآخرين، موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا، مصلحة الآثار الجماهيرية (دار العربي للكتاب، د.ت) ١/ ٢١٧ ويكببيديا.

٤,٣ دور التراث المالكي الفقهي في تحقيق الوحدة بين أقاليم ليبيا (٧-١٠ هـ/١٣-١٦م)

لقد حظي التراث الإسلامي بجهود جليلة، بذلها علماؤنا الأجلاء، حيث دونوا العلوم المختلفة وكتبوا المؤلفات المؤلفة، وحققوا المسائل واستنبطوا الفوائد والأحكام، فأثروا بذلك التراث العلمي للأمة الإسلامية في مختلف الجوانب العلمية.

وظهرت المذاهب الفقهية، واشتهرت منها المذاهب الأربعة حتى أضحت هي السائدة في بلاد الإسلام، وكان المذهب المالكي أحد هذه المذاهب العظيمة، وأسسه الإمام مالك بن أنس ونسب إليه، وبرز تلامذته بالعلوم والاجتهاد، وانتشروا في أقطار الأرض واعظين ومعلمين ومؤلفين ومناقشين، وقد كانت بلاد المغرب إحدى البلدان التي تأثرت بالمذهب المالكي، وأصبحت له السيادة المطلقة فيها.

وفي هذا البحث سنتكلم عن دور المذهب المالكي في بلاد المغرب وعوامل انتشاره، ودوره في تحقيق الوحدة الليبية، وتأثيره على الحياة الاجتماعية في الأقاليم الليبية.

الجذور التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا

إمام دار الهجرة:

اسمه: مالك بن أنس بن أبي عامر أبوعبد الله الأصبحي المدني، حليف عثمان بن عبيدالله القرشي، سمع نافعًا ومحمد بن شهاب الزهري، وروى عنه الثوري وشعبة، قال سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد: كان مالك إمامًا في الحديث.

يعد إمام دار الهجرة ومؤسس المدرسة المالكية، قال أبوحاتم: «كان مولد مالك سنة ثلاثا وأربع وتسعين (٣٩ أو ٤٩ هـ) وكنيته أبوعبد الله من سادات أتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين ممن كثرت عنايته بالسنن وجمعه لها وذبه عن حريمها وقمعه من خالفها أورام مباينتها مؤثرا لسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيرها من المخترعات الداحضة قائلا بها

دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة».

أصول مذهبه: اعتمد الإمام مالك على الأدلة النقلية من الكتاب العزيز والأثر الصحيح المشهور عن الثقات، ثم اعتمد على الاجتهاد والنظر، وذلك على النحو الآتي:

١. تقديم كتاب الله تعالى على ترتيب أدلته في الوضوح من تقديم نصوصه، ثم ظواهره، ثم مفهوماته.

٢. السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهومها.

٣. الإجماع عند انعدام الدليل من الكتاب ومتواتر السنة.

٤. القياس على الأدلة السابقة عند انعدامها والاستنباط منها؛ إذ كتاب الله مقطوع به، وكذلك متواتر السنة، وكذلك النص مقطوع به فوجبت قديم ذلك كله، ثم الظواهر، ثم المفهوم في دخول الاحتمال في معناها، ثم أخبار الآحاد -عند عدم الكتاب- والمتواتر منها، وهي مقدمة على القياس؛ لإجماع لصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الأصلين، وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر الثقة وامتثالهم مقتضاه دون خلاف منهم في ذلك، ثم القياسآ خرًا عند عدم هذه الأصول على ما مضى عليه عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم من السلف المرضيين وعلى مذاهبهم أجمعين.

٥. وانفرد مذهبه عن سائر المذاهب بالاحتجاج بعمل أهل المدينة، باعتبار القرب والمكان التي توارث العمل.

أماكن انتشار المذهب المالكي:

نشأ المذهب المالكي بالمدينة المنورة موطنا لإمام مالك، ثم انتشر في الحجاز،وغلب عليه وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان.

وظهر ببغداد ظهورًا كثيرًا، ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع الهجري، وضعف بالبصرة بعد القرن الخامس، وظهر في نيسابوري، وغلب على قَزْوِينْ وأبهر من خراسان، وكان له ظهور ببلاد فارس، وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام، وكان قد خَمَلَ بالمدينة قبل القرن الثامن، فلما تولى قضاءها ابن فرحون سنة ٧٩٣هـ جدده وأظهره، وكان له بها، وبغيرها أئمة ومدرسون على مر العصور والقرون.

عوامل انتشاره في المغرب:

انتشر المذهب المالكي في المغرب العربي عن طريق تلاميذ علي بن زياد: سحنون، وأسد بن الفرات، والبهلول بن راشد.

أخذ المذهب ينتشر في المغرب العربي انطلاقًا من القيروان ليعم كافة الأقطار الأفريقية شمال الصحراء وجنوبها، حيث وضع الإمام سحنون المدونة التي تجمع فقه المدرسة المالكية من أقوال الإمام مالك وابن القاسم وتعليقات سحنون عليها، كما ألف أسد بن الفرات كتابًا أطلق عليه اسم (الأسدية)، وهومزيج بين فقه مالك وآراء مدرسة العراق.

ثم ما لبث أن تطور المذهب وزاد في الانتشار على يد علماء أجلاء، جاءوا بعد الرواد الأوائل عكفوا على دراسة تراث المذهب، وساهموا في تطويره وبحثه عن طريق تدريسه ووضع مؤلفات جديدة عليه تلقفها سكان الأندلس وشمال أفريقيا وجنوبها بالقبول، تلك الجهود والمؤلفات هي التي ساهمت في الحفاظ على المذهب وبقائه إلى الوقت الحاضر.

ومن أشهر رجال المذهب المالكي الذين ساهموا في خدمة المذهب على مر العصور بالإضافة إلى جهود علي بن زياد الطرابلسي:

١. الشيخ / أبوجعفر أحمد بن نصر الداودي الطرابلسي، الذي عاش في طرابلس، ووضع فيها كتابه (النامي في شرح الموطأ)، توفي بالجزائر سنة ٤٠٢هـ.
٢. الشيخ / أبوالعباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطني القروي المعروف بـ(حلولو)،

له مجموعة من المؤلفات القيمة، تولى القضاء بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس، وفيها توفيسنة ٨٩٨هـ.

٣. الشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن أحمد التاجوري، العالم الفلكي الشهير، له مؤلفات كثيرة في هذا المجال، وقصته مع قبلة جامع القرويين بفاس مشهورة، توفيسنة ٩٦٠هـ.

٤. الشيخ / محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، العالم الكبير، له مؤلفات في العقيدة والتفسير والتراجم وغيرها، توفي بالجزائر سنة ٩٦٣هـ.

٥. الشيخ / أحمد بن محمد المكني، مفتي طرابلس، توفي سنة ١١٠٠هـ.

٦. العالم الجليل الشيخ / محمد بن محمد بن مقيل، مفتي طرابلس، تميز بفتاواه الجيدة واجتهاداته في الفقه من خلالها، توفي سنة ١١٠١هـ.

٧. الشيخ / عبد السلام بن عثمان التاجوري، له عدة مؤلفات من أشهرها (تذييل المعيار)، وهوكتاب في الفتاوى يقع في ستة مجلدات، توفي سنة ١١٣٩هـ.

٨. الشيخ / أبوعبد الله محمد المسعودي، له عدة مؤلفات من بينها (لوامع الغرر على نظمه اللآلئ والدرر في مصطلح علم الأثر، توفي سنة ١٢٨٨هـ.

٩. الشيخ / عبد الرحمن البوصيري له مؤلفات منها كتابه (اللآلئ والدرر في المحاكمة بن العيني وابن حجر)، وهوكتاب في الحديث توفي سنة ١٣٥٤هـ.

١٠. الشيخ / محمد بن محمد بن عامر، مؤلف كتاب (ملخص الأحكام الشرعية على المعتمد من مذهب المالكية)، توفي سنة ١٣٨١هـ.

أسباب اختيار المغرب العربي (ليبيا) للمذهب المالكي:

إن هناك العديد من الأسباب التي جعلت المغاربة يختارون المذهب المالكي دون غيره من المذاهب الفقهية، التي نشأت في شرق العالم الإسلامي، وهذه الأسباب متعددة

ومتنوعة، وقد اهتم بها العلماء منذ القديم؛ حيث حاول ابن خلدون تفسير ذلك قائلا: «وأما مالك -رحمه الله- فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل؛ لما أن رحلتهم كانت غالبًا إلى الحجاز، وهومنتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك، وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته.وأيضًا فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة، التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة؛ ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضًا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب».

ومن خلال كلام ابن خلدون يظهر أن الأسباب ترجع إلى سببين اثنين، هما:

السبب الأول:

اختلاط الناس بالبلدين المقدسين مكة والمدينة، وخاصة المدينة المنورة التي كانت يومئذ دار العلم، وفيها ظهر الإمام مالك كفقيه ومحدث لا يبارى في علمه وفقهه، فتأثر الناس به ودرسوا على يديه، وتخرج من مدرسته كبار العلماء أمثال سحنون، وكون مكة والمدينة بلدين لا تنقطع عنهما وفود الحجاج والقادمين لزيارة قبر المصطفى -عليه الصلاة والسلام- كان ذلك أدعى لتأثر الناس بمذهب إمام دار الهجرة، وكيف لا يحصل ذلك والقادمون إلى مدينة المصطفى تحط رحالهم وتقع نظرات أعينهم على الإمام وتلامذته؟ فضلاً عن تأثر الناس بعلماء الدين وحبهم لهم، فقد كانوا يفدون ببداوتهم من بلدانهم متعطشين للعلم والفقه، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة المنورة.

وعلى الرغم من ظهور مدراس جليلة في الفقه الإسلامي آنذاك كمدرسة العراق المتأثرة بالإمام أبي حنيفة وكذا مدرسة الإمام الشافعي في الجزيرة ومصر إلا أن العراق لم يكن في

طريق الوافدين من الأندلس والمغرب، ومع ذلك فليس هناك بلد يضاهي مكة والمدينة في أسر قلوب الناس إليها، ويأتي حب علمائها تبعًا لهذه المكانة.

السبب الثاني:

التشابه في الصفات الاجتماعية والمعيشية، حيث كانت المدنية المنورة لا زالت على بداوتها وبساطتها لم تغزها الحضارة والمدنية التي في كانت العراق وبلاد الشام والقاهرة، وكذلك الحال في بلاد الأندلس وبلاد المغرب من ليبيا وتونس والمغرب وموريتانيا وغيرها إذ كانت على بداوتها، فمالت نفوسهم إلى تلك الصفات المشابهة لحياتهم ومعيشتهم، فأخذوا المذهب المالكي غضًا طريًا لم يخالطه تنقيح الحضارة ولم يمتزج بالمدينة.

وإلى تفسير ابن خلدون لأسباب انتشار المذهب المالكي يضيف الباحث ما يلي:

١. اتصال أهل المغرب بالإمام مالك مباشرة، والتتلمذ على يده، ونقل آرائه وعلمه وفتواه إلى بلادهم، وقد وجدوه الأنسب مع بيئتهم، ففضلوه على غيره من المذاهب، فغلب مذهبه عليهم كما يشير إلى ذلك ابن فرحون.
٢. نفور سكان المغرب العربي من كثرة ثورات الخوارج، التي لا تكاد تنقطع، والفتن السياسية، والفرق المبتدعة والضلالات المنتشرة؛ وقد وجد المغاربة ضالتهم عند إمام دار الهجرة الذي أصبح عندهم إمامًا ولا إمام غيره، وقد اعجبوا به، واتخذوه قدوة لهم في كل شيء، حتى في أحوال معاشه ولباسه وطعامه، وكيفية جلوسه للإسماع وطريقته في الحديث.
٣. تبني المرابطين للمذهب المالكي، وجعله المحور للتكوين العلمي والتربوي لجميع أفراد المجتمع، وبناء المجتمع وفق أصول هذا المذهب وفروعه، وإنزال الفقهاء المالكية منزلة ريادية وقيادية في تعميق المفاهيم الإسلامية وفق أصول المذهب المالكي؛ وقد أدى هذا السبب إلى القضاء على بقية المذاهب التي كانت في الساحة كالخوارج

والشيعة.

وقد مر المذهب المالكي بفترات قوة وانتشار وفترات ضعف وخمول، ومن ذلك:

- كان القرن الثالث هو عصر انتشار المذهب المالكي، وفيه دخل في نزاع مع المذاهب الأخرى.
- في نهاية نفس القرن الثالث انتشر المذهب الشيعي الإسماعيلي، وفرضته الدولة العُبيدية بالقوة على بلاد المغرب، فتعرض المالكية لمحن كثيرة من قتل وتشريد وتعذيب، على أيدي العُبيديين.
- تغير حال الدولة العبيدية زمن الدولة الزيرية؛ حيث انتصرت للمذهب المالكي نحو سنة ٤٣٤هجرية، ففرضته على الرعية، وتعصبت على المذاهب الأخرى.
- ازداد المذهب المالكي قوة وانتشارًا في زمن الدولة المرابطية من سنة ٤٥٣هـ وحتى سنة ٥٤١هـ، فتبنته وانتصرت له بقوة.
- تغير حال المذهب زمن الدولة الموحدية من سنة ٥٤١هـ وحتى سنة ٦٦٨هـ، التي حاربت المذهب المالكي وأحرقت كتبه ومنعت الاشتغال به، وطاردت علمائه، ودعت للمذهب الظاهري في الفروع على طريقة ابن حزم الأندلسي.
- لما زالت دولة الموحدين فرض المذهب المالكي سيادته على كامل بلاد المغرب تقريبًا.

٥,٣ دور التراث المالكي في تحقيق الوحدة

وسائل المذهب المالكي وتراثه لتحقيق الوحدة والتواصل بين الأقاليم:

لقد كان المذهب المالكي ولا يزال من أكبر الوسائل التي حققت الوحدة والتواصل والانسجام بين الأمة الليبية، وهذه الوحدة والتواصل شملت جميع مناحي الحياة عقيدة

وفقهًا وسياسة واقتصادًا واجتماعًا؛ وقد وظف المذهب المالكي وتراثه مجموعة من الوسائل لتحقيق هذه الغاية النبيلة، الوحدة والتواصل بين الأمة الليبية.

وأهم هذه الوسائل في نظر الباحث تتمثل في:

أولاً: اعتماد فقهاء إقليم طرابلس وبرقة وفزان على الكتب الفقهية المتداولة في المغرب العربي، وهي كثيرة منها: موطأ مالك، ومدونة سحنون، والشفا للقاضي عياض، والرسالة لأبي زيد القيرواني، ومختصر ابن الحاجب، ومختصر خليل، والقرطبية في الفقه، وجامع المعيار للونشريسي، وجمع الجوامع في الفقه، والمدخل لابن الحاج، ونظم أبي مقرعة، وتحفة الأحكام وشرحها:

فرعى ابن الحاجب، والتوضيح لخليل، والمنتقى للباجي، ومقدمة التاجوري، والمرشد المعين لابن عاشر، ولامية الزقاق، والمنهج المنتخب في قواعد المذهب، والبيان والتحصيل وغيرها.

وهذا يعني بلغة التربويين توحيد المناهج بين الأقاليم، وتوحيد المناهج لا يقتصر فقط على الفقه بل يتعداه إلى بقية المعارف من لغة وأدب، وتفسير وحديث وقراءات وعقائد، وحساب وفلك ومنطق وسيرة، كما كانت مدارس في المغرب العربي تدرس نسيم الرياض، ودلائل الخيرات للجزولي، والمرشد المعين لابن عاشر الفاسي، ومؤلفات أحمد المقري، والدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن بري، وإضاءة الدجنة في قواعد أهل السنة للمقري.

ولم يكتف علماء ليبيا بدراسة المؤلفات المالكية المغربية فحسب؛ بل درسوها دراسة وافية ووضع الكثيرون منهم شروحًا واختصارات وهوامش وتعاليق على هذه المؤلفات.

ثانيًا: إيفاد طلاب العلم إلى تونس والمغرب والحجاز للتعمق في دراسة العلوم والثقافة، ثم عودتهم إلى بلدانهم؛ لنشر ما تعلموه بين أبناء شعبهم، وقد عرف الكثير من علماء المغاربة، الذين رحلوا في طلب العلم، واشتهروا في الشرق بعلماء المغاربة.

ثالثًا: تجارة الكتب، وقد كانت هذه التجارة مربحة في المغرب، وكانت في كثير من الأحيان على أيدي الفقهاء التجار، الذين يقدمون إلى من المغرب؛ لغرض التجارة والتعليم في آن واحد، أولغرض الحج، ومثلهم القادمون من مصر والمشرق الذين ارتحلوا لطلب العلم.

إن إعمال الوسائل السابقة لمصلحة المذهب المالكي وتراثه في العقيدة والفقه قد حققت وحدة وتواصلاً بين الأقاليم الليبية.

وهذه الوحدة تمثلت في الأهداف الآتية:

أ. التمسك بالمذهب السني، وهوالهدف الأكبر، ويتمثل المذهب السني في المذهب المالكي وتراثه، وإقامة الحياة وفق أسسه وأصوله.

ب. كما وحد هذا المذهب وتراثه المحتويات التعليمية والمقررات بين علماء الأقاليم، وهذا حتمًا قد أدى إلى توحد النموذج التعليمي وطرق التدريس والوسائل التعليمية المستخدمة من حفظ وتلقين واستظهار، وحوار ومناقشة التي يستخدمها المدرسون والعلماء.

ت. لقد استطاع المذهب المالكي وتراثه أن يحقق الوحدة والتواصل بين الأقاليم، وتتمثل مظاهر وصور هذه الوحدة والتواصل في النقاط الآتية:

١. في الجانب التعليمي، وذلك بالحرص على حفظ القرآن وتعليمه والتفقه في الدين، والإقبال على الصلوات وتعمير المساجد والازدحام عليها.
٢. سيادة الأمن في البلاد، والبعد عن إثارة الفتن والقلاقل.
٣. الاهتمام بالأعياد الإسلامية، وصلاة الجمعة، والعبادات، ولبس الثياب البيض الحسان في يوم الجمع.
٤. احترام العلماء وتبجيلهم؛ وخاصة القضاة والفقهاء، لدرجة أن البعض من الباحثين رأى أن درجة القاضي في الدولة أعلى من درجة الوالي أوالأمير، وقد فرض

القضاة أنفسهم على الأمراء بسبب استقامتهم؛ وبسبب الدور الذي لعبوه في إشاعة النظام والأمن والاستقرار، والإشراف على التعليم، والقيام ببناء المساجد.

٥. الأخذ بالعزيمة والشدة في تعاليم الدين، مع تمسك الفقهاء بالتقاليد والعادات الحسنة، وعزوفهم عن مصاحبة الأمراء والسلاطين.

٦. عدم حضور المذاهب الأخرى بقوة في المغرب العربي من حنبلية أوأحناف أوشافعية؛ وحتى مذهب الخوارج، الذي انتشر في فترة بين القبائل البربرية في المغرب، تراجع كثيرًا أمام سيطرة المذهب المالكي وثبات أقدامه الراسخة في المنطقة.

دور المذهب المالكي وتراثه في الحياة الاجتماعية

كان للفقهاء دور كبير في تنظيم الحياة الاجتماعية ومحاربة الأخلاق والعادات السيئة المنتشرة في المجتمع، وكان لهم مكانة خاصة في المجتمع الليبي، فهم رجال الدين والدنيا، فمنهم الأئمة والخطباء والفقهاء، والقضاة، والمستشارون، والمفتون والعدول وغيرهم، واستمدوا مكانتهم، ونفوذ هم من كونهم حفظة الدين وحملة الشريعة، فالمجتمع يجلهم، والدولة تحترمهم، وتقف عند رأيهم وتعمل بإشارتهم.

فقد حاز الفقهاء مكانة مرموقة بين الخاصة والعامة، فلقد مثل الفقهاء الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع الليبي، يسترشدون برأيهم وينتظرون مواقفهم الإصلاحية، وألقي على عاتقهم عبء الإصلاحات الاجتماعية، والحفاظ على قيم المجتمع المسلم، وظلت أعين الناس حكامًا ومحكومين معقودة عليهم.

ولذا لم يأل فقهاء المجتمع الليبي جهدًا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه للقضاء على بعض الأعراف التي لا يقرها الإسلام، وفي المقابل تعزيز القيم والأخلاق الإسلامية في المجتمع.

ومن أهم الأسباب التي تفسر تمتع الفقهاء بمركزا جتماعي متميز وبدرجة كبرى من المصداقية أن أهدافهم الأساسية في الحياة لم تكن مادية، فمثلاً لم يكن الحصول على العلم

مرتبطًا بدخل مرتفع وبثروة عظمى، أوبأرباح مادية بل على عكس ذلك، اعتبر واجبًا دينيًا وأخلاقيًا.

ومن الأدوار الهامة التي قدمها الفقهاء في الأقاليم الليبية:

أولاً: تأثير المذهب المالكي في الحياة الزوجية، (الزواج، والطلاق، والخلع، وقضايا الشرف):

- الزواج:

يعد الزواج من أهم الطقوس العائلية في المجتمع الليبي، انطلاقًا من قواعد الإسلام التي تحث عليه، ولما يخلق من حياة عفيفة داخل المجتمعات الإسلامية.

لم يكن الزواج في المجتمع الليبي اختيارًا شخصيًا، ولكنه اختيار تشارك فيه الأسرة باستشارة داخلية من قبل الخاطب، فالرجله والخاطب ويتم من خلال هذه الاستشارة تحديد المواصفات المرغوبة في الزوجة، والتي تتمثل في حسن الخلق والأصل وكمال الدين، كما يعد الجمال أحد العوامل الجذابة في اختيار الزوجة.

ويمنع الأهل خروج الفتاة إذا تقدم لخطبتها من لا يرضونه،ولكن رأيها هوالمعول عليه؛ إذ نجد من تقول: «لا تزوج غيره»، ووفقًا للأعراف الجارية في المجتمع فعندما يرغب الرجل في الاقتران بامرأة ما-وبعد موافقة أبيها على الخطبة- يتم تعيين الصداق الذي يتفق عليه سواء كان نقدًا أوعينًا، ويتم تسجيل هذا الصداق في العقد، وكان أمرًا واجبًا وفق الأحكام التشريعية الإسلامية؛ لقوله تعالى: في سورة النساء: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء:٤]، وجرت العادة ألا يسجل جهاز العروس في عقود الزواج الإسلامية، وكان الصداق يدفع جزء منه قبل الدخول على العروس والجزء الآخر يؤجل دفعه إلى بعد العرس، ويدفع غالبًا في حالة الطلاق، وبعد الاتفاق على المهر أوالصداق يقدم الخاطب هدية للعروس من كسوة وطعام وحلي.

ومن العادات التي كانت متبعة نظر الرجل إلى المرأة قبل خطبتها وفق الضوابط الشريعة الإسلامية، وأن المرأة تستشير في شأن خطبتها المشايخ وغيرهم.

وهذه العادات والأعراف التي عليها المجتمع الليبي هي نتيجة تأثير المذهب المالكي، ونجد من عادات المجتمع الليبي وفق المذهب مالك أن لا يتم النكاح إلا بولي وصداق وشاهدي عدل، وخالفوا الأحناف في ذلك،فهم لا يشترطون الولي وبإمكان المرأة أن تزوج نفسها.

ومن هنا يتضح اختلاف المجتمع الليبي في عادات الزواج عن المجتمعات التي يسود فيها مثلاً مذهب الأحناف الذي تصح عندهم شهادة النساء على عقد النكاح، فعندهم كل من صلح أن يكون وليًا في النكاح بولاية نفسه يصلح شاهدًا فيه، والمرأة عندهم يمكن أن تكون ولية نفسها أما في المالكية لا يصح.

أما في القُرى والبادية فغلب العرف على الشرع في إجراءات الزواج وإثباته؛ ففي البادية يكون إثبات الزواج شفويًّا بإقامة وليمة؛ يُدعى إليها الناس كنوع من الإشهار، ويتم في غيبة القاضي والشهود، وكانتْ العادة عند العربِ -وإن كانوا من سكان المدن- عدم قبول العدول المعينين من السلطة الحفصية في الشهادة على الزواج.

وفي القرى كان يكفي الإشهار في الزواج، وحتى يتوافق الشرع مع العادة أجاز بعض الفقهاء الزواج بالإشهار إذا كان بعيدًا عن موضع القاضي والشهود، ولم يجزه البعض الآخر من شيوخ البرزلي بحُجَّةِ أن الإشهار لا يغني عن الإشهاد.كما جرت العادة في الرِّيف أوالبادية أن يقدِّم العريسُ مهرًا للعروس عبارة عن أرض زراعية مساة تعرفها المرأة،أوبعدد مسمى من المواشي، وجرت العادة أن تظل الأرض تحت يد الزوج يستغلها برضا الزوجة حتى لوكان الزوج متعدد الزوجات؛ ففي أحد الأسئلة: طالب أولاد الزوجة المتوفاة من والدهم ما أغتله من أرض والدتهم بعد زواج استمر نحوعشرين عامًا.

وفي بعض مناطق الريف الأخرى كان مقدم الصداق لا يدفع نقدًا، وإنما عينًا من الحلي

الذهبية أوالفضية، وكذلك الكسوة، وتقدَّر هذه الأشياء بالدنانير، وفي البادية يعطيها صداقها نقدًا ويكسوها ويدخل عليها، وتكون الكسوة في البادية على قدر الرجل وهمته، أمَّا المهر فقيمته معلومة وواحدة للكل، والفرق فقط في الكسوة.

ومن عاداتهم أنَّهم لا يسمون صدقاتهم، ولا يشهدون عليها وقت الخطبة، ولكن عند الزواج. كما أن من حق المرأة أن تشترط على زوجها عدم التزويج عليها أوالتسري، إلا بأذنها ورضاها. وقد يشترط وكيل العروس خدمًا يقومون على مساعدتها، وعلى الزوج نفقتها أوأن يأجر عاملاً، ويوثق ذلك في عقد عند القاضي بحضور شهود حتى لا يضيع حق العامل، ويتناقل بين الناس الاتفاق.

تحمل العروس إلى بيت الزوجية في العمارية أوالهودج كما هومركوب النساء في السفر، وقد اختفت هذه الوسيلة تدريجيًا مع تطور وسائل النقل والمواصلات الحديثة.

كذلك ماجرت به العادة من إعطاء الدراهم لأهل المزامير والملاهي بين الناس في الأعراس، وأيضا عادة دفع النساء الدراهم، ويعلن عن ذلك بالأصوات بأن فلانة أعطت كذا حتى يسمع من في الحفل، وعندما تحدث مناسبة الطرف الآخريفعل ما فعلت الأولى لها من رد ما دفعت في حفلها من دراهم. وهذه العادة مازالت موجودة عرفيًا تعرف (بالزلوف)، وهوإعطاء مبلغ من المال أوالهدايا لأصحاب المناسبة ترد للطرف الآخر في مناسباته سواء كانت زفافًا أوغيره.

وعن الهدايا التي تهدى للزوج في الأعراس والمناسب اتسئل الشيخ عن الهدايا هل تؤكل أم لا ؟ حيث يهدى للمتزوج من أقاربه وأصحابه من الطعام وغيره شيئًا، واذا تزوج أحد من الطرف الآخريهدى له كذلك، كأنه يرد له على وجه السلف، وتعرف بالدارجة الليبية (الرداده).

■ الطلاق:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء:١٩]، فيجب على الزوج أن يحسن عشرة

زوجته بحيث تكون مصاحبته لها بالمعروف، أي: بحسب ما تعرفه بطبعها، ومخالطته إياها بما تألفه من سجيتها، وهذا مشروط بما لا يستنكر من ذلك شرعًا، بمعنى أن لا تخرج عشرة زوجته عن حدود العرف والمروءة؛ لأن مراعاة عرف الناس وعاداتهم مقيد بعدم مخالفة الأحكام والأخلاق التي يدعوالشرع إليها والآداب التي يحث عليها، وفي حالة الخلاف والطلاق يكون موقف الزوج من ذلك وفق ما تقره الشريعة والعرف.

روي عن عروة بن الزبير قال: «كان الناس يطلقون من غير حصر ولا عدد، كان الرجل يطلق امرأته، فإذا قاربت انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها كذلك راجعها، فنزل قول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

لقد كان فقهاء المالكية في الحضر يتلطفون بالناس في أحكام الطلاق، ويتلمسون لهم الأعذار؛ حفاظًا على كيان الأسرة لحماية الأطفال من التشرد والضياع، ففي حالة نطق لفظ الطلاق أكثر من مرة فلا يحكم عليه بالتحريم، بل يعتبر طلقة واحدة وله حق الرجعة، هذا خلاف ما يحكم به بعض الفقهاء في المذاهب الأخرى، وقد كانت الزوجة تستشار في حق العودة إلى بيت الزوجية أوالطلاق، ولا يحق لولي الأمر استرجاعها إلى بيت الزوجية بالإكراه.

وهذا ما يتضح من هذه المسألة:»وسئل الشيخ المكني بما حاصله رجل طلق خليعة ثم مشى ورجع فقيل له: كل، فقال: هي طالق بأربعين، فأجاب إذا كان الأمر كما ذكر فلا تلزمه إلا طلقة الخلع الأول، وله مراجعتها برضاها وعقد جديد».

كما أن للزوجة حق الامتناع من السكن مع ضرتها وأقارب زوجها إلا برضاها؛ منعًا من وقوع المشاكل بين أفراد العائلة، كما أن للمرأة في المدن حق الخلع عكس ذلك في الريف يعتبر طلاق المرأة عار.

أما حالة الطلاق في القرىفالكثير منهم لا يتبعون الأحكام الشرعية في زواجهم ولا في طلاقهم مفضلين العرف والعادات والتقاليد؛ فالطلاق كان يرونه عارًا يلحق بالمرأة خاصة التي تطلبه المرأة التي فرت من قريتها ولجأت إلى قاضي المدينة، وطلبت منه أن يطلقها للضرر؛ لأن عودتها مرة أخرى إلى القرية يعرضها للقتل، وهوما رصده البرزلي في إحدى قرى القيروان التي تبعد عنها بنحوتسعة أميال، عندما لجأت زوجة للقاضي الذي أراد أن يصلح بين الزوجة وزوجها ولم يطلقها، ومكنها من قريتها ووعظ ونصح الزوجين، لكن لم يُجْدِ ذلك وتم قتلها، وفي حادثة أخرى وقعت سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م هربت الزوجة من قرية جبلية على بعد مرحلة من القيروان فطاردها زوجها، فهربت إلى تونس ودخلت في حماية أحد زعماء العرب.

لقد كان في الإقدام على طلب الطلاق مخاطرة على الزوجة، ولذلك لجأت النساء إلى بعض العرافين ليكتب لها كتاب عطف إذا أعرض عنها زوجها أوخاصمها، فيه بعض آيات من القرآن الكريم، وفي بعض الحالات كانت تدَّعي الكذب بادعاء بعض العيوب ليست في زوجها؛ حتى تحصل على الطلاق بالاتفاق مع المفتي الذي يجد لها مخرجًا، مثلما حدث في تونس عندما جاءت زوجة لمفتي تونس ابن علوان تطلب الطلاق من زوجها الأندلسي الذي أساء عشرتها، فقال لها: ادَّعي عليه أن داخل دبره برص، فادَّعت ذلك عليه؛ فحكم عليه بأن ينظر في ذلك المحل، فلما رأى الزوج ذلك طلَّقها.

ومما يدل مراعاة المذهب المالكي للعرف: «شكت امرأة حضرية إلى قاضي الأنكحة بالقيروان وجع يصيب يدها من طحن الدقيق فأمر زوجها بشراء خادم لها، بينما أتته امرأة بدوية في نفس القضية فأمرها بالبقاء مع زوجها قائلاً لها: «إن نساء البادية دخلن على ذلك بخلاف هذه الحضرية».

- في قضايا الشرف:

سئل عمن رأى أخاه على معصية زنى أولواط أوغيره، هل يفشي عليه ذلك من أول مرة؟

وكيف إن كان منه ثانية وثالثة ما حكمه؟ فأجاب من عمل المعاصي فلا يهتك ستره، وإن رجا موعظته وعظه برفق، وقال -عليه السلام- لبعض أصحابه: «هلا سترته بردائك»، هذا يدل على منع انتشار الرذيلة في المجتمع، وكان يفرض الزواج على من وقع بها.

ثانيًا: تأثير المذهب المالكي في تربية الأبناء:

تتجلى مظاهر اهتمام الآباء بتربية أبنائهم وحرصهم على صلاحهم في عنايتهم بحفظ أبنائهم القرآن الكريم، فلقد كان الآباء حرصين على تعليم أبنائهم القرآن الكريم وإن كلفه ذلك إجارة مؤدب لتعليمهم بأجر معلوم، وكان يشترط في تعليم الصبيان أن يكون المؤدب متزوج مشهور له العفاف ولا يكون شيخًا كبيرًا، ولا أرب له، إذا كان هذا في زمن البرزلي فكيف بزماننا، وقد أهمل الناس هذا الشرط؟! فنشأ من الفساد ما الله أعلم به.

ثالثًا: تأثير المذهب المالكي فيأخلاق المجتمع:

يمدحون الرحالة والجغرافيون القبائل العربية في الأقاليم الليبية، يقول ابن رشد السبتى أثناء مروره بطرابلس:»... فوافينا مدينة طرابلس، فراينا بلدًا حسنًا وناسًا فضلاء...»، ويقول التجاني عند دخوله لطرابلس:»... وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى إلى البلد إذ ذلك عن موضع سكناه وهوقصبة البلد فنزلنا بها...»، وهومايؤكد أن التجاني وجد أهلها من أكثر الناس جودًا، وأحسنهم معاملة، وأنبلهم خلقًا وفضلاً، فعزم على الإقامة بها لمدة طويلة من الزمن.

ولا شك أن هذه الفضائل النفسية والقيم المحمودة من أعرق الصفات الراسخة في نفوس الأهالي، وأبرزها شيوعًا بينهم، وهى تمثل الواقع الذي جعل هذا الرحالة ينظر إلى مدينة طرابلس الغرب بعناية مخصوصة، ويبدي إعجابه بعمارتها أثناء وصفه لها وحديثة عنها.

وهذا العبدري يمدح مدن إقليم طرابلس أثناء مروره، فنجده يمدح مدينة مسلاته وأهلها بقوله: «قوم يبرون أهل الدين، ويكرمون الحاج، وهم على خير وصلاح».

ومن مكارم الأخلاق في المجتمع الليبي التعاون على نوائب الدهر والإحسان إلى المحتاجين وقضاء حاجتهم، والصلح بين المتخاصمين، وإنظار المعسر والتجاوز عن الدائن، فقد حث علماء المالكية الأهالي على هذه المكارم حتى يطمئن المدين على ماله وتظل المروءة بين أفراد المجتمع، وهناك عرف اجتماعي يعرف بالضمان أو الكفالة، وهو «التزام المكلف بأداء ما وجب على غيره من الحقوق المالية»، والضمان عقد جائز، والمصلحة تقتضيه، وتدعو الحاجة إليه، وهو من التعاون على البر والتقوى، وفيه قضاء لحاجة المسلم، وتنفيس لكربته.

ولهذا العقد المتعارف عليه اجتماعيًا أثر كبير في ترابط المجتمع ونشر قيمة المحبة والألفة والتسامح والبر بينهم.

السعي للصلح بين المتخاصمين، لإزالة الشقاق بينهما، وبذلك تصفوا النفوس، وتزول الأحقاد، وكان يقوم بها شيوخ القبائل، وكبار التجار والعلماء وكبار الأعيان في المدينة، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

يحرم على المالك أن يحدث بملكه ما يضر بجاره من ماكينة قوية، أو فرن ونحوهما، فإن لم يضر فلا بأس، وللجار على جاره حقوق كثيرة أهمها: صلته، وبره، والإحسان إليه، وكف الأذى عنه، والصبر على أذاه، ونحو ذلك مما يجب على المسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ».

ويرعى المجتمع اليتيم ففي سؤال الشيخ المكي: عن إذا عضل اليتيمة زوج أمها فإن للحاكم تزويجها، وكذلك جماعة المسلمين.

وكان للفقهاء دور كبير في مساعدة غير القادرين على الحج. ومن أخلاقهم: العفو في القتل العمد، وهو من الأعراف المشهورة عند الناس، في جوز العفو عن القاتل عمدًا عند الصلح، ويكون أمر هذا العفو في يد الذكور من دون الإناث من أولياء الدم، على الراجح من مذهب الإمام مالك.

ومن أخلاقهم تعظيم الشعائر الدينية، فقد كان لفقهاء المالكية دور مهم في الاستعداد لاستقبال شهر رمضان؛ تطبيقًا لتعاليم السنة النبوية الكريمة، فكانوا يحثون الناس على أن يكثروا من العبادة وفعل الخير والتردد على المساجد في أوقاتها.

ويظهر ذلك جليًا في شهر رمضان، حيث يحرص الناس أشد الحرص على الصيام، فلا يقبل الناس من أحد أن يفطر تحت أي ذريعة، ولوكان صاحب عذر، وأرى أن ذلك من أثر فقها لإمام مالك، فمالكي وافق أباحنيفة ويخالفه الشافعي وأحمد في كون المفطر بالأكل والشرب في نهار رمضان كالمفطر بالجماع، عليه القضاء والكفارة، لذلك عكس هذا الفقه حرصًا شديدًا بين الناس على الصيام، وإن توفرت الرخصة لمفطر.

كما نلاحظ أن الناس لا يأخذون برخصة الإفطار في السفر،ويعيبون على من يفعل ذلك، وهذا من أثر المذهب المالكي، فعندا لمالكية الصوم أفضل للمسافر، وعلى المسافر الكفارة إن أفطر في سفر قد بيت فيه نية الصيام، ومن تعظيمهم الشعائر الدينية ذبح الأضحية في العيد الكبير كما يسمونه، ويقبلون على ممارسة طقوس وعادات اجتماعية، حيث تشكل عملية اقتناء الأضحية والاستعداد لها من مدة، ويكون ذلك بتربية الأضحية وإطعامها الشعير،ويقوم بهذهالعادة جميع فئات المجتمع الغني منهم والفقير، ويحرصون كل الحرص على أن تكون الأضحية من الضأن أوالماعز، ولا يحبذوا الأضحية من البقر أوالإبل، وهذه خصوصية في المذهب المالكي، فعند المالكية الضأن مقدمة على غيرها،والذكرمنها أفضل،ثم الماعز ثم البقر ثم الإبل.

رابعًا:صور من العادات والتقاليد في المجتمع الليبي:

١. في الأعياد: وذلك بلبس الثوب الجديد، فنلاحظ تزاحم الأسواق في ليالي العيد لشراء الثياب الجديدة، وكانت الزوجات تقوم بتزين الأبناء بالملابس الحسنة، وتلبس البنات الحلي، وزيارة الأقارب والجيران؛ لتبادل التهاني العيد. وهذا يرجع إلى أثر

المذهب المالكي، فقهاء المالكية يفضلون لبس الثوب الجديد في العيد لا المغسول. واتفق الجمهورعلىندب لبس الجديد أو المغسول، فخصوصيةالمذهب في ذلك المعتقد جعلت الناس يحرصون على لبس الجديد في الأعياد ما استطاعوا.

٢. في نظافة الملبس والمسكن: تميز المجتمع الليبي بنظافة الملبس والمسكن حيث نجد ابن حوقل يشير إلى اهتمام أهالي طرابلس بملابسهم ونظافتها، وفى ذلك يقول:»...كان أهالي طرابلس يهتمون... بنظافة الأغراض والثياب والأحوال، ومتميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور...»، وهويعني الاهتمام بمظهرهم وأناقتهم.

وهذا راجع إلى أثر المذهب المالكي فيهم، فقد حث على النظافة وفق منهج الكتاب والسنة، لقد كانت عادة الاغتسال يوم الجمعة من العادات المشتهرة بين الناس؛ لأن الغسل يوم الجمعة عند المالكية سنة خلافً الجمهور الفقهاء القائلين باستحبابه. ويرجع القول بسنيته في ما أرى، لرواية مالك لحديث غسل يوم الجمعة بصيغة الوجوب.

٣. في العزاء: ترتبط الوفاة كما في ثقافات مختلفة حول العالم بمجموعة من الطقوس الاجتماعية التي تتلازم مع هذا الحادث الطبيعي والحتمي، ولعل ما يشكل القاسم المشترك في ما بينها هوالتعبير الوجداني عن الشعور بالحزن في أجواء يطبعها عمومًا الأسى، وأحيانًا الحداد على روح الفقيد.

لا تختلف الثقافة المغربية كثيرًا عن باقي الدول الإسلامية من حيث تفاصيل الدفن في التراب وإكرام الموتى وتقديم واجب العزاء والتعبير عن الحس التضامني لاسيما من قبل الجيران في الأحياء الشعبية والقرى عبر المشاركة في التأبين والدفن وصلاة الجنازة، أوحتى عبر تقديم الطعام لأسرة الميت خلال مدة لا تقل عن ثلاثة أيام.

فمن العادات المتصلة بالجنائز والوفاة عادة الجهر بالتهليل، حيث يقوم الناس في جنائزهم عند حملها بالتهليل والتصلية والتبشير والتنذير على صوت واحد، ويقرأ أفراد من العائلة

شيئًا من القرآن الكريم، ويذكر بعض الابتهالات، ويتم الإعلان عن الوفاة من المؤذن ينادي في الناس توفي فلان بن فلان، ويعلن عن وقت الجنازة. وهذا كله من آثار المذهب المالكي.

ومن العادات التي عرفت عن المجتمع الليبي قراءة سورة يس على المحتضر، حيث استحب فقهاء المالكية قراءة سورة يس على المحتضر، والشائع بين الناس قراءتها عند الاحتضار وبعد الموت وعند الدفن،والأحاديث التي جاءت فيها أحاديث ضعيفة.

٤. الذهاب إلى الحمامات: كانت النساء تذهب إلى حمامات المدينة، وكانت تصحب معهاخاصة العروس -أي: أهلها-، وتؤجر لها نساء يعملن على حراسة الملابس، ويساعدنها في الحناء، هذا ما يتضح من النص: «لرب الحمام دخوله هومرة في الجمعة أوفي كل شهر، إن ذكر من ذلك عددًا من ذكور وإناث كان، وإن اشترط مع ذلك على الكتري ما احتاج إليه أهله من حناء ونوره لم يجز شيئًا».

خامسًا: الرفق بالحيوان (الدواب المستخدمة في أعمال النقل):

فلقد تناولت الكتب الفقهية مسائل الرفق بالحيوان خاصة التي تستخدم في نقل السلع والأمتعة، مثل الجمال والبغال والحمير والخيول، ولقد اشتهر استخدام الجمال في المنطقة الجغرافية التي تسمي حاليًا ليبيا؛ نظرًا للطبيعة الصحراوية التي تغلب على الإقليم.

وعادة ما كانت هذه الدواب المستخدمة في النقل يتم كرائها -أي استئجارها- من قبل الحمالين، كان يتم الاتفاق على تعيين الشيء المحمول ومقداره، وأن يكون على الحمار بردعه والفرس سراج ولجام، ويذكر ثمن الاستئجار وعلفها، وعند استئجار الدابة للحرث أوالاستقاء يجب تعيين الأرض، ولا تحمل شيء على ظهرها يضرها، عند حمل شيء قد يضرها مثل الزجاج يوضع شيء لحمايتها.

سادسًا: أهل الذمة:

فكان يسمح لهم باستغلال المرافق الاجتماعية الضرورية، ولم يمنعوا من استقاء المياه مع المسلمين من الصهاريج، بل سمح لهم الخروج مع المسلمين في صلاة الاستسقاء، وكل هذه القرائن تعكس مدى التعايش المشترك بين الشعوب والديانات، وكان القاضي في كثير من أحكامهميصدر الحق لأهل الذمة مع البينة دون اعتبار آخر، فلم يجد القاضي ابن رشد أي حرج من تحويل حكم كان لصالح مسلم إلى نصراني قد هضم وثبت حقه.

كان نساء المسلمين يدخلن الحمام مع الكتابيات، ومشاركة أهل الذمة أعياد المسلمين بالعكس وفي الأسواق والألعاب الشعبية في الشوارع.

سابعًا: دور الفقهاء في محاربة البدع:

وسئل عن إنشاد الشعر الغزلي في الصوامع عقب التهليل وما معه من الأذكار ما حكمه؟ فأجاب إنشاد الشعر الغزلي وغيره في الصوامع من البدع التابعة.

وسئل: عن الجهر بالذكر أمام الجنازة على صوت واحد ما حكمه؟ فأجاب: إن ذكر الله والصلاة على رسوله -عليه السلام- من أفضل الأعمال، وجميعه حسن، لكن للشرع وظائف وقتها، وأذكار عينها في أوقات وقتها، فوضع وظيفة موضع أخرى بدعة، وإقرار الوظائف في محلها سنة، وتلقي وظائف الأعمال في حمل الجنائز إنما هوالصمت والتفكر والاعتبار، وتبديل هذه الوظائف بغيرها تشريع، ومن البدع في الدين، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [النجم: ٣٢] نهى عن أن يزكي بعض الناس بعضًا تزكية السمعة والمدح للدنيا، وكأن ولي الميت يزكي ميته بذلك الفعل من قبل نفسه ليعتقد ذلك له ولميته انتهى، وقال أيضًا: المنقول عن السلف الصالح رحمهم الله في المشي مع الجنائز هوالصمت والتفكر في فتنة القبر وسؤاله وشدائده.

كان للعلماء المالكية دور بارز في محاربة البدع والخرافات والظواهر الوثنية المخالفة للشريعة، ويدخل في هذا المجال محاربة الكلام والمتكلمين والمنجمين والمشعوذين؛ وعلماء

المالكية كانوا دائمًا قوة رادعة لكل المظاهر المخالفة للشريعة، أي كان مصدرها وقوتها، واشتهروا بشجاعة نادرة في هذا الميدان.

٦,٣ صمود المالكية في طرابلس الغرب أمام الإسماعيلية خلال القرن الرابع الهجري

❍ التعريف بالمالكية والإسماعيلية

التعريف بالمالكية:

قبل الحديث عن تعريف المالكية لابد من الحديث عن الإمام مالك ومكانته العلمية ومذهبه وتلامذته وأصول مذهبه التي يُقِيم عليها الأحكام:

أولاً: التعريف بالإمام مالك:

اسمه وكنيته: أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو ب نالحارث الأصبحي المدني حليف عثمان بن عبيد الله القرشي، وكان أبوعامر أبوجد مالك حليف عثمان بن عبيد الله التيمى القرشي[(١)].

ميلاده: ولد سنة ثلاث أوأربع وتسعين من الهجرة النبوية[(٢)].

مكانته العلمية: كان محدثًا ثقة لا يحدث إلا عن ثقة، ولا يروي إلا ما صح،وهوأول من انتقى الرجال من فقهاء المدينة،وكان مع ذلك إمام في الفقه والدين والعقل والنسك، وهوإمام من أئمة المسلمين،مجمع على فضله، لقب بإمام أهل الحرمين، وبإمام دار الهجرة، وإليه ينسب المذهب المالكي الشهير[(٣)]. يقول عنه ابن حيان: «من سادات أتباع التابعين، وجلة الفقهاء

(١) التاريخ الكبير للبخاري (٧/٣١٠)، ومشاهيرعلماء الأمصار لابن حبان (ص٢٢٣).
(٢) مشاهيرعلماء الأمصار لابن حبان (ص ٢٢٣)، ورجال صحيح مسلم لابن مَنْجُويَه (٢/٢٢١).
(٣) رجال صحيح مسلم لابن مَنْجُويَه (٢/ ٢٢١)، وترتيب القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة

والصالحين، ممن كثرت عنايته بالسنن، وجمع هلها وذبه عن حريمها، وقمعهم نخالفها أورام مباينتها، مؤثرً السنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيرها من المخترعات الداحضة، قائلاً بها دون الاعتماد على المقايسات الفاسدة»[١].

مذهبه العقدي: يعتقد الإمام مالك عقيدة أهل السنة، وهي عقيدة السلف الصالح.

وفاته: توفي -رحمه الله- سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية[٢].

ثانيًا: أبرز تلامذته:

للمكانة التي نالها الإمام مالك، والعلم الذي حصل عليه، والوجاهة بفضل دار الهجرة؛ والجهد الذي بذله في العلم والتعلم؛ فقد كان أتباعه وتلامذته، بحيث لا يحتمل هذا البحث المختصر عن تتبعهم وذكرهم جميعًا، فقد روى عنه شيوخه قبل تلامذته، يقول الذهبي: «روى عنه من شيوخه: الزهري، وربيعة، ويحيىبن سعيد، وغيرهم»[٣].

رحل إليه طلاب العلم من أقطار الأرض، ومنهم على سبيل المثال ما يأتي[٤]:

١. عبد الرحمن بن القاسم (ت١٩١هـ)، من خيرة العلماء صاحب مالكًا عشرين عامًا.
٢. عبد الله بن وهب القرشي (ت١٩٧هـ)، لازم الإمام مالك أكثر من عشرين عامًا.
٣. عبد الرحمن بن مهدي العنبري (ت١٩٨هـ)، من أئمة الحديث، وسادات الحفاظ.
٤. يحيى بن سعيدالقطّان (ت١٩٨)، نزل بغداد واشتهر بمعرفة الحديث ونقد الرجال.
٥. محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ)، من أئمة المسلمين، صاحب المذهب

مذهب مالك. لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة (١/ ٧٧).

(١) مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، ص ٢٢٣.
(٢) المصدر السابق (ص٢٢٣)، وطبقات الفقهاء للشيرازي، ص٦٨.
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٧٢٠).
(٤) تسمية فقهاء الأمصار للخرساني (ص ١٢٧)، وسير السلف الصالحين للأصبهاني (ص١٠٤٤)، وسيرأعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٩).

الشهير.

٦. أشهب بن عبد العزيز القيسي (ت٢٠٤هـ)، ممن نشروا المذهب المالكي في مصر.

٧. زياد بن عبد الرحمن الملقب بشبطون (ت٢٠٠٤هـ)، سمع الموطأ من الإمام مالك.

٨. عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون (ت٢١٢هـ)، من مشاهير المالكية في المدينة.

٩. أسد بن الفراتالقيرواني (ت٢١٣هـ)، أحد كبار أصحاب مالك، وقاضي إفريقية.

ثالثًا: أصول المذهب المالكي:

يقوم المذهب المالكي -كغيره من المذاهب الفقهية- على أصول يستند إليها لمعرفة الأحكام الفقهية، وتتجلى أصول المذهب المالكي في الآتي[١]:

١. القرآن الكريم: وهوأصول الأصول، وأصح أدلة الإسلام بلا خلاف؛ لأنه كلام الله.

٢. السنة النبوية: وهي أهم أصول المذاهب الفقهية وأقوى الأدلة بعد القرآن الكريم.

٣. الإجماع: وهو «اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عصر على أي أمر كان»[٢].

٤. إجماع أهل المدينة، أوعمل أهل المدينة: وقد اعتبر الإمام مالك أحد الأدلة «لأنهم مهبط الوحي ومعدن الرسالة، وإذا وقع شرع كان ظاهرًا فيهم وعنهم يأخذ غيرهم، وإذا لم يوجدشيء بين أظهرهم دل ذلك على بطلانه أونسخه»[٣].

٥. القياس: هوحمل الفرع على الأصلفي إثبات الحكم لعلة يدل الدليل على أن الحكم إنما ثبت في الأصل أوسقط منه لتلك العلة[٤].

---

(١) الذخيرة للقرافي (١/ ١٥٢)، وشرح تنقيح الفصول للقرافي (ص ٤٤٥)، واصطلاح المذهب عند المالكية، لمحمد إبراهيم (ص٥٤).

(٢) جمع الجوامع للسبكي (٢/ ٢٧٦).

(٣) شرح تنقيح الفصول للقرافي (ص٤٢٣).

(٤) المقدمات الممهدات لابن رشد (١/ ٣٨).

٦. قول الصحابي: كان الإمام مالك يأخذ بأقوال وفتاوى الصحابة ويرى الأخذبه واجبًا.

٧. المصلحة المرسلة: يقول القرافي: «وأما المصلحة المرسلة فغيرنا يصرح بإنكارها، ولكنهم عند التفريع تجدهم يعللون بمطلق المصلحة، ولايطالبون أنفسهم عندالفوارق والجوامع بإبداء الشاهد لها بالاعتبار، بل يعتمدون على مجرد المناسبة، وهذا هوالمصلحة المرسلة»(١).

٨. العرف والعادات: وتأخذ به جميع مذاهب أهل السنة الفقهية، ويصرحون بذلك.

٩. سد الذرائع: وعنه يقول القرافي: «الذريعة الوسيلة للشيء، ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد؛ دفعًا له، فمتى كان الفعل السالم من المفسدة وسيلة إلى المفسدة منعنامن ذلك الفعل، وهو مذهب مالك -رحمه الله-»(٢).

١٠. الاستصحاب: «وهوالحكم بثبوت أمر في الزمان الثاني بناء على أنه كان ثابتًا في الزمان الأول»(٣).

١١. الاستحسان: قيل: هوالأخذ بأقوى الدليلين عند التعارض، وقيل: هوالعدول عما حكم به في نظائر مسألة إلى خلافه؛ لوجه أقوى منه(٤).

خلاصة القول: بعد الحديث عن ترجمة الإمام مالك وتلامذته وأصول مذهبه يظهر جليًا أن المالكية هم: الذين يتبنون الآراء الفقهية للإمام مالك بن أنس في العبادات وسائر أنواع المعاملات، وعلماؤهم يأخذون بأصول المذهب المالكي في الفتوى واستنباط الأحكام الفقهية.

(١) الذخيرة للقرافي (١/ ١٥٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٢).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥١).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٥٥).

التعريف بالإسماعيلية:

الإسماعيلية هي: فرقة منفرق الشيعةتنتسبإلىإسماعيلبنجعفرالصادق الذي يرجع نسله إلى الإمام علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-.ولكي يظهر التعريف بالإسماعيلية لابد من الحديث عن إسماعيل بن جعفر، وفرق الشيعة التي صاحبت ظهوره، وأهم معتقدات الإسماعيلية، وبيان ذلك على النحوالآتي:

أولاً: التعريف بإسماعيل بن جعفر:

هوإسماعيل بن جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد بالمدينة المنورة سنة ١١٠هـ، وكان أكبر أولاد جعفر الصادق، وتلقى العلم عن أبيه، وتوفي سنة ١٣٨هـ قبل أبيه على أحد الأقوال عند الشيعة[١].

ثانيًا: نشأة الإسماعيلية:

قلنا: إن إسماعيل بن جعفر مات قبل أبيه في أحد الأقوال عند الإسماعيلية، ولكن لما مات جعفر الصادق انقسمت الشيعة إلى فرقتين[٢]:

الفرقة الأولى: هم الذين اعتبروا الإمامة في موسى الكاظم الابن الأصغر لجعفر الصادق، ثم في أبنائه من بعده حتى محمد بن الحسن العسكري، الذي اختفى في سرداب في مدينة سامراء، وهوالملقب بالمهدي المنتظر، وتعرف هذه الفرقة بالاثني عشرية؛ لأنهم يحصرون الإمامة في اثني عشر إمامًا أولهم علي بن طالب وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، وتنتشر هذه الفرقة في إيران والعراق وسوريا ولبنان.

الفرقة الثانية: هم الذين ساقوا الإمامة في إسماعيل من أولاد جعفر، وهوالذي نص جعفر

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٦٩)، والوافي بالوفيات للصفدي (٩/ ٦٢).
(٢) الملل والنحل لشهرستاني(١/ ١٩١)، ومقالات الإسلامي ينل لأشعري (ص١٧)، والوافي بالوفيات للصفدي (٩/ ٦٢)، وتاريخ الدولة الإسماعيلية لمصطفى غالب (ص١٢٣).

الصادق على إمامته، واختلفوا في موت إسماعيل، بين قائل بموته إلا أن الإمامة لا رجوع فيها، فإن النص لا يرجع القهقري، فأصبحت في أولاده، وبين قائل بأنه كان حيًا، وإنما تم إخفائه وستره وإظهار موته؛ تقية وخوفًا من العباسيين، وتعرف هذه الفرقة بالإسماعيلية أوالباطنية أوالتعليمية أوالهادية.

ثالثًا: أبرز معتقداتهم وأفكارهم:

ارتبطت عقيدة الشيعة بالأوضاع السياسة إلى درجة كبيرة، فالإمامة هي محور الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق، وعليها يدور الجدال والنقاش، وعنها تتفرع الخلافات الفكرية والفقهية بلوالعقدية منها، وقد افترقت الشيعة إلى فرق وطوائف شتى، لكل منها معتقدات وأفكار، ومن أبرز معتقدات الشيعة الإسماعيلية[١]:

١. الإمام هومحور دعوتهم، ومحور العقيدة يدور حول شخصيته، فهم يعتقدون بأحقية الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، وأن الإمامة باقية في عقبه، وأن الأئمة معصومون ومنصوص عليهم، وأنهم من نسل إسماعيل بن جعفر، وأن من مات ولم يكن في عنقه بيعة له مات ميتة جاهلية.
٢. يضفون على أئمتهم صفات ترفعهم إلى ما يشبه الإله، ويخصونهم بعلم الباطن ويدفعون لهم خُمس ما يكسبون من الأموال.
٣. يؤمنون بالتقية والسرية، ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث، وأن الأرض لاتخلومن إمام ظاهر مكشوف أوباطن مستور، فإن كان ظاهرًا جاز أن يكون حجته مستورًا، وإن كان مستورًا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين.
٤. يعتقدون أن القرآن مخلوق، وينكرون صفات الله أويكادون؛ لأن الله فينظرهم فوق متناول العقل، فهو لا موجود ولاغير موجود، ولاعالم ولاجاهل، ولاقادر ولاعاجز،

(١) الملل والنحل للشهرستاني(١/ ١٩١)، والموسوعة الميسرة (١/ ٣٨٧)،وأصول الإسماعيلية لبرنارد، (ص١٨).

ولايقولون بالإثبات المطلق ولابالنفي المطلق، فهوإله ليس بالقديم وليس بالمحدث، فالقديم أمرهو كلمته، والحديث خلقه وفطرته.

٥. يقولون بالتناسخ، وأن الإمام عندهم وارث الأنبياء جميعًا، وأن الإمام يرث من سبقه من الأئمة.

هذه بعض أبرز معتقدات الشيعة الإسماعيلية، ولهم أفكار وانحرافات كثيرة، يصعب تتبعها والحديث عنها في هذا البحث المختصر، ولهم أدلة يرجعون إليها لبيان الأحكام الشرعية، وتنحصر أدلتهم في الآتي[(١)]:

١. القرآن الكريم: وهم يأولونه، ويعتقدون أن له معنى باطنًا يعرفه أئمتهم، ويعتقدونأن هذا القرآن الموجود فيه نقص وزيادة.

٢. السنة النبوية: ولا يقبلون الأحاديث النبوية إلا إذا رويت عن طريق أهل البيت.

٣. أقوال الصحابة: وليسوا هنا جميع الصحابة، بل صحابة آل البيت ومن والاهم.

٤. أقوال أئمتهم: باعتبار أن أئمتهم معصومون، وأن الحق الإلهي في الحكم منصوص فيهم، فيقتضي ذلك قبول قولهم، فالإمام هوالمرجعية النهائية بعد الرسول في تفسير ما فرضه الله تعالى.

٥. العقل: وهومن الأدلة المختلف فيها بينهم، فمنهم من يأخذ بها، ومنهم من ينكرها بحجة أنه لا مكان للعقل مع وجود الإمام.

والملاحظ أن أغلب أدلة وأصول تشريع الأحكام عند الشيعة الإسماعيلية نقلية؛ لأن أساس مذهبهم يرجع -حسب زعمهم-إلى أن الحكم حق إلهي أودعه الله في أئمتهم المعصومين، وعليه فهم المرجعية التشريعية للأحكام، وأما العقل فلا مكان له أمام الحكم الإلهي المتمثل

(١) الملل والنحل للشهرستاني(١/١٩٧)، ومقالات الإسلامي ينل لأشعري (ص٦)، وأصول الإسماعيلية لبرنارد (ص١٤٩).

في أئمتهم، فهم وإن اتفقوا مع أهل السنة في مسمى بعض هذه الأدلة إلا أن تفسيرها وطريقة الاستدلال بها يختلف تمامًا عن تفسير أهل السنة، وأما الاجتهاد وما يلحق به من القياس والاستحسان والاستصحاب والمصلحة المرسلة وغيرها من الأدلة في الفقه الإسلامي فلا يقرون بها؛ إذ لا مكان لها مع وجود الإمام المعصوم بزعمهم.

بداية ظهور المالكية والإسماعيلية في طرابلس الغرب

بداية ظهور المالكية في طرابلس الغرب:

تبلور المذهب المالكي في المدينة المنورة، ومنها انتشر إلى بلدان شتى من ديار المسلمين، وبفضل مكانة المدينة، وما ورثة الإمام مالك من علم الفقهاء السبعة الذين ورثوا فقه الصحابة الكرام؛ فقد ساعد ذلك على انتشار المذهب المالكي، ودخل المذهب المالكي إلى بلاد أفريقيا بفضل جهود تلامذة الإمام مالك، كابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم، ويعد علي بن زياد (ت١٨٣هـ) من الأوائل الذين ساهموا في إدخال المذهب المالكي إلى بلاد المغرب، فقد سمع من الإمام مالك، وأدخل الموطأ إلى أفريقيا، ولما قدم عامر بن محمدبن سعيد القيسي-تلميذ الإمام مالك-بلاد المغرب شرع في التدريس، وأسندإليه منصب القضاءالأول،وسمع من هجموع من الناس مارواهعن الإمام مالك، فكان عامر بذلك أولمن أدخل الموطأ إلى المغرب الأقصى[١].

وبما أن ليبيا ومنها طرابلس الغرب جزء من بلاد المغرب العربي، فقد كانت التحول الكبير نحوالمذهب المالكي بعد أن كانت بلاد المغرب على المذهب الحنفي؛ إذ لم يكد القرن الرابع يطلّ، حتى كان المذهب المالكي أكثرانتشارًا وترسخًا في البلاد كلها، حيث تجذرت أصوله وفروعه في سائر مرافق الحياة[٢].

(١) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص٢٥٣)، والاستقصال لناصري (ص١٣٨)، والأزهار العاطرة الكتاني (ص١٣٠).
(٢) الأزهارالعاطرة الكتاني (ص١٣٠).

وقد كانت طرابلس الغرب من البلدان التي تتمتع بمكانة استراتيجية على جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية، ولهذا ظلت تقدم أدورًا مهمة على مرور القرون، وقد تدرج المذهب المالكي في الدخول إلى طرابلس عبر المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: بداية ظهور المذهب المالكي في طرابلس:

كان بداية ظهور الفقه المالكي في طرابلس مع قدوم علي بن زياد الطرابلسي الذي سمع من الإمام مالك، وكان أول أمره في طرابلس ثم رحل إلى المدينة، ثم سكن مدينةت ونس، ولم يكن سحنون يفضل أحدً امن أهل المغرب عليه، توفي سنة ١٨٣هـ[(١)].

والجدير بالذكر أن علي بن زياد الطرابلسيكان على قدركبير من الفقه والعلم والاجتهاد، دوّن المسائل والفتاوى التي نقلها عن الإمام مالك، فهووإن استقرفي تونس إلا أن ظهور تأثير الفقه المالكي في ليبيا كان مبكرًا، بفضل موقع طرابلس وجهود العلماء، فإلى دور علي بن زياد ظهرت كوكبة من الفقهاء في طرابلس في القرنين الثاني والثالث الهجري، على أيديهم انتشر المذهب المالكي الذي كان على عقيدة أهل السنة، وله أصوله المعروفة في الفقه، ومن أبرز علماء هذين القرنين ما يأتي:

١. أبوعبدالله محمدبن معاوية الحضرمي الطرابلسي، سمع من مالك الموطأ[(٢)].
٢. حبيب بن محمد الأطرابلسي، سمع من محمدبن معاوية الحضرمي الطرابلسي[(٣)].
٣. محمدبن ربيعة الطرابلسي (ت١٨٢هـ)، وأخذ عنه ابن مخلد في طرابلس[(٤)].
٤. إبراهيم بن محمد الغافقي الأطرابلسي، (ت٢٥٣هـ) قاضي طرابلس[(٥)].

(١) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص٢٥٣).
(٢) القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك. لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة، (٣/ ٣٢٣).
(٣) الثقات للعجلي (ص٤١٤).
(٤) الثقات لابن قُطْلُوْبَغَا (٨/ ٢٨٨).
(٥) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله الحموي (١٩٦٠م). معجم البلدان، مطبعة السعادة، (١/ ٢١٧).

٥. محمد بن حمود قاضي طرابلس الغرب، من علماء القرن الثالث الهجري[١].
٦. إبراهيم بن حسان الأطرابلسي، من علماء القرن الثالث أخد عن بقي بن مخلد[٢].
٧. شرحبيل قاضي طرابلس، ولي القضاء أيام سحنون، وأثنى عليه سحنون[٣].

فهؤلاء -وغيرهم كثير- كان لهم دور في إرساء دعائم المذهب المالكي في طرابلس الغرب، وليس هنا موضع استقصاء جميع علماء طرابلس، وإنما الإشارة إلى ظهور المذهب المالكي، ومن أراد الاطلاع على أغلب علماء طرابلس وليبيا فعليه بكتاب أعلام ليبيا للزاوي، والجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية للشريف.

المرحلة الثاني: رسوخ المذهب المالكي في طرابلس:

لم يكد يطل القرن الرابع الهجري إلا والمذهب المالكي له السيادة في بلاد المغرب عامة، حيث ترسخت قواعده وأصوله في المجتمع، وبه حكم في القضاء والفتيا، وكانت طرابلس الغرب تحظى بكوكبة من خيرة فقهاء المالكية، كانت لهم اليد الطولى في مقارعة الشيعة الإسماعيلية التي حركت أذيالها آنذاك، ومن أبرز علماء المالكية في طرابلس الغرب في هذا القرن:

١. يونس بن أبي النجم المؤدب الأطرابلسي المتعبد (ت٣٠٥هـ)، اشتهر بالإجابة[٤].
٢. أبو الأسود موسى بن عبدالرحمن القطان، قاضي أطرابلس الغرب (ت٣٠٦هـ)[٥].
٣. عبد الله بن محمد الأعمش الطرابلسي المتعبد المعروف بالعازب (٣٠٧هـ)[٦].

(١) الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي، (١/ ٢٧١).
(٢) ناصر الدين محمد الشريف (١٩٩١). الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، الاردن، عمان: دار البيارق للطباعة، ص٥٨.
(٣) طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ص٢٥٣)، وكذلك ناصر الدين محمد الشريف (١٩٩١). الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، الاردن، عمان: دار البيارق للطباعة، ص٦٠.
(٤) ابو بكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ١٣٣).
(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢٢٦).
(٦) ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير

٤. أبوعبد الله محمد بن أبي حميد الأطرابلسي، شيخ عابد فاضل (ت٣٣٩هـ)[١].

٥. أبوجعفر أحمد الأطرابلسي المتعبد بالمنستير، زاهد مجتهد مجاهد (ت٣٤٧هـ)[٢].

٦. علي بن أحمد بن زكريا بن الخطيب بن زكرون الطرابلسي (ت٣٧٠هـ)[٣].

٧. محمد بن عمر النفطي قاضي طرابلس، رجح الزاوي أنه من أهل القرن الرابع[٤].

٨. إبراهيم بن أحمد بن جعفر بن هارون الطرابلسي البرقي كان حيًا سنة ٣٩١هـ[٥].

٩. أبوجعفر أحمد بن الحسين بن محمد الأطرابلسي، من علماء القرن الرابع[٦].

١٠. محمد بن الحسن بن أبي الدسبي الطرابلسي، قاضي طرابلس، كان حيًا سنة[٧].

١١. أبوجعفر أحمد بن نصر الداودي (ت٤٠٢هـ)، كان بأطرابلس، ثم نزل تلمسان[٨].

١٢. أبوالحسن علي بن محمد المنتصر بن المنمر الطرابلسي، أحيي السنة وأزال البدعة، من خيرة العلماء خلقًا وجاهدًا، ومقارعة للشيعة الإسماعيلية (ت٤٣٢هـ)[٩].

فهؤلاء -وغيرهم كثير- من خيرة أهل العلم، وبعلمهم وفقههم ترسخ المذهب المالكي في طرابلس الغرب، وكان لهم الدور البارز في مقارعة الشيعة وأفكارهم ومعتقداتهم الباطلة.

بداية ظهور الإسماعيلية في طرابلس الغرب:

استمر الإسماعيليون بدعوتهم السرية، ونشب الخلاف بينهم وبين إخوانهم الاثني عشرية

البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ١٥٩).

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٨٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٣).

(٣) القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك. لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة، (٦/ ٢٧٤).

(٤) الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي (١/ ٣٤٨).

(٥) المقفى الكبير للمقريزي (١/ ٦٣).

(٦) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ٥٧).

(٧) الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي (١/ ٣٤٨).

(٨) تاريخ الإسلام للذهبي (٩/ ٤١).

(٩) شجرة النور الزكية لمخلوف (١/ ١٦٤).

الذين ادعوا بالإمامة لموسى الكاظم وذريته بعد موت إسماعيل بن جعفر الصادق، واستمر الحال على السرية والكتمان حتى بدأت الشيعة الإسماعيلية بالظهور في القرن الثاني في بلاد المغرب ومنها إلى طرابلس، ثم فرضت حكمها وسلطتها في بداية القرن الرابع الهجري(١).

- ويمكن تقسيم ظهور الإسماعيلية في تونس وطرابلس إلى مرحلتين، هما:

المرحلة الأولى: الدعوة السرية والتأسيس:

لقد كانت أعين الإسماعلية على بلاد المغرب العربي لما يتمتع به من ميزات استراتيجية، سواء من الناحية الجغرافية أومن ناحية البيئية التي كانت بعيدة على مراكز القوى الإسلامية المتمثلة ببغداد والأندلس، فوجدوا في كتامة بغيتهم، يقول ابن خلدون: «وساربهاإلى إفريقية رجلان يعرف أحدهما بالحلوانيّ والآخر بالسفيانيّ أنفذهما الشيعة إلى هنالك وقالوا لهما: إنّ العرب أرض بور فاذهب اواحرثاها حتيح ياصاحب البذر،وسارا لذلك ونزل اأرض كتامة، أحدهما ببلد يسمّى سوق حمار،وفشت هذه الدعوة منهما في أهل تلك النواحي من البربر وخصوصًا في كتامة»(٢).

وكانت إمارة الأغالبة التي كانت لها السيادة على تونس وطرابلس منذ سنة ١٤٠هـ، وكانت في بداية أمرها على مذهب أبي حنيفة، ثم إن الخلافات السياسية بين الإمارات في المغرب لعبت دورًا مهمًا في استقطاب بعضها للميول نحوالعقائد والأفكار، فكان إبراهيم الثاني (٢٦١ - ٢٨٩هـ) من أمراء الأغالبة يميل للإسماعيلية ويساندهم هووأهل بيته السالميين، وفي عهدهم ظهر أبوعبد الله الشيعي، ورغم هذا التصرف إلا أن الغالبية لم يكونواعلى استعداد للتنازل عن ملكهم، إلا أن الأمر انقلب عليهم لما تمكن عبيد الله في عهد زيادة الله بن عبد الله الأغلب(٣).

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ (٦/ ٥٨٣).
(٢) تاريخ ابن خلدون (٣/ ٤٥٠).
(٣) أخبار بني عبيد للصنهاجي (ص٣٨)، والعقيدة والدولة في المغرب لأبي الدهاج (ص٦٢).

المرحلة الثانية: الجهر بالدعوة والتحرك العسكري:

وتبدأ هذه المرحلة منذ إرسال أبي عبد الله الشيعي الصنعاني إلى قبيلة كتامة سنة ٢٧٠هـ، حيث وفد إليها مع الحُجاج دون أن يفصح لهم قصده ونواياه، يقول ابن الأثير: «كان أبوعبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء، وقد سار إلى ابن حوشب النجار، وصحبه بعدن،وصار من كبار أصحابه،وكان له علم وفهم ودهاء ومكر، فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان إلى ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعي: إن أرضك تامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر، فإنها موطأة ممهدة لك»[١].

سار مع الشيعي عبد الله بن أبي ملاحف، ويبدوا أن الأمر صدر من عبيد الله لابن حوشب لإرسالهما، ولما وصلا بدءا بالدعوة إلى بيعة عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وبدأ معها العمل العسكري والكفاح المسلح، إلى أن وفد عبيد الله من (سلمية) من بلاد الشام، وتم البيعة له في رقادة سنة ٢٩٦هـ[٢].

وأثناء تلك الأحداث الدامية احتجزت طرابلس أبا العباس المخطوم وأباجعفر الخزري وأم عبيدالله الشيعي، يقول المراكشي: «وبعث أبوعبدالله الشيعي إلى طرابلس، فأتى منها بأخيه أبي العباس المخطوم وكان بها محبوسًا، وبأبي جعفرالخزري وبأم عبيدالله الشيعي وكانت هنالك مع الخزري»[٣].

لم تكن طرابلس في منأى عن هذه الصراعات، فحين كانت المعارك تدور رحاها في تونس وما جاورها كانت طرابلس بقيادة أبي العباس أحمد بن إبراهيم الأغلب، ثم تولى الإمارة على الأغالبة زيادة الله بن عبد الله، إلا أن ولاية زيادة الله كانت من أسوء الفترات ضعفًا وضياعًا، وكان أخوه أحمد بن عبد الله واليًا على طرابلس، ويتحمل هوالآخر جانبًا من

(١) لابن الأثير، الكامل في التاريخ (٦/ ٥٨٣)، وينظر: أخباربني عبيد للصنهاجي (ص٣٨).
(٢) ينظر: أخباربني عبيد للصنهاجي (ص٣٧)، والدولة الفاطمية لعبد الله جمال الدين (ص٤١: ٤٩).
(٣) البيان المغرب للمراكشي (١/ ١٥٠)

المسؤولية؛ وذلك أن عبيد الله المهدي كان قد مر من طرابلس[١].

وبعد أن خضعت القيروان ورقادة وسلجماسة وغيرها، بدأت الأنظار تتجه نحوطرابلس التي ظلت مغلقة على المذهب المالكي والمعتقد السني، فولى عبيد الله المهدي عليهم ماكنونبنضبارةاللحياني من بني كتامة، وبدأ ماكنون يظلم ويتجبر ويطلق أيادي كتامة على أموال الناس وممتلكاتهم، فثار الطرابلسيون[٢]كما سيأتي.

وبهذا دخلت طرابلس حقبة جديدة من التاريخ تحت حكم الإسماعيلية، غيرأن الصراع بين الطرابلسيين والإسماعيليين لم يتوقف؛ لأن طرابلس كانت سنية المعتقد مالكية المذهب منذ سنوات طويلة.

الصراع بين المذهب المالكي والفكرالإسماعيلي

أسباب الصراع ودوافعه:

ما إن بدأت الشيعة بجميع طوائفها وفروعها تظهر حتى فجر ذلك صراعًا متعدد الاتجاهات، وكان حظ المالكية في القرن الرابع الصراع مع الإسماعيلية الفاطمية التي ظهرت في بلاد المغرب، ونالت طرابلس قسطًا من ذلك الصراع الممتد على طويل الأراضي التي دخلتها الإسماعيلية.

وترجع أسباب الصراع ودوافعه إلى الأمور الآتية:

أولاً: نشرالإسماعيلية لأفكارهم الشيعية المضللة لأفراد المجتمع:

وذلك أن الإسماعيلية جاؤوا بمعتقدات جديدة لبيئة عاشت ما يقارب ثلاثة قرون على

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي (١/٦١)، وكذلك عباس، إحسان (١٩٦٧). تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري. ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ص٧٣.

(٢) تاريخ أوتيخاء للأنطاكي (ص٥٢٥)، وكذلك ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي،ص٥٢.

عقيدة السنة وسلف الأمة الصالح، بعيدًا عن الضلالات، يقول الهنتاتي: «وهذا يعني أن الدولة الفاطمية اتبعت اتجاهًا دينيًا مخالفًا للاتجاه السني المالكي، يعتبره المالكية من الاتجاهات المبتدعة، وأنها قامت على عاتق الجنس البربري، أي أنها ميزت ذلك الجنس على الجنس العربي، هذا الذي يرى في الاتجاه السني المالكي وسيلة للدفاع عن مصالحه؛ لذلك من الطبيعي جدًا أن تبرز بوادر التناقض بين الفاطميين وأنصار المذهب المالكي، ولا تزال دولتهم في مرحلة التأسيس، وقد أدى هذا التناقض إلى نزاع بين تلك الدولة وعلماء المالكية، تمخضت عنه مقاومة خاضها المالكية، ويظهر أن رائد هذه المقاومة هوجبلة بن حمود (ت ٢٩٩ / ٩١١)، وقد انفرد برفض الخروج لاستقبال أبي عبد الله الصنعاني وتهنئته بالانتصار»[1]. ويعقب على كلامه أن المذهب لم يكن في مرحلة التأسيس، بل تجاوز حينها التأسيس إلى مرحلة الرسوخ؛ وذلك أنه كان قدر مر عليه أكثر من قرن من الزمن.

ثانيًا: طمس هوية المجتمع الطرابلسي والمغربي بأسره:

لم يكتف الإسماعيليون بنشر عقيدتهم وأفكارهم، بل سعوا إلى تغيير ملامح المجتمع فكريًا وعقائديًا، ذلك المجتمع الذي يعتقد العقيدة السنية التي كان عليها السلف الصالح، والذي سعى المذهب المالكي لترسيخها في المجتمع المغربي، إلا أن الإسماعيليين -وكما مر معنا في ما سبق- يميلون إلى عقيدة الرفض والتفضيل، وضلالات صاحبت ذلك وتطورت إلى انحرافات عقدية، ادعوا فيها العصمة لأئمتهم، وأنهم أصحاب الحق الإلهي بالحكم، وأن الصحابة مغتصبون للإمامة، وكفرهم غلاة الشيعة، وغير ذلك من الضلالات الدخيلة على المجتمع المالكي؛ كانت هذه الأفكار كفيلة في تفجير الصراع بين المالكية والإسماعيلية في بلاد المغرب برمتها، إلا أن الإسماعيلية كانوا يملكون القوة العسكرية، وكان من أوائل الصراعات ذلك الاغتيال الذي راح ضحيته إبراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن برذون

(١) المذهب المالكي بالمغرب لهنتاتي (١٥٦).

وأبوبكر بن هذيل، وهما من كبار وخيرة علماء المالكية في عصرهما، بسبب وشاية بهما بأنهما يطعنان في إمامة عبيد الله المهدي وأنهما لا يقولان بأفضلية علي، فتوترت العلاقة بين أهل السنة والفاطميين[١].

ثالثًا: استخدام القوة في فرض أفكارهم ومعتقداتهم على المجتمع:

انتشر المذهب المالكي عبر علماء المالكية الذين نهجوا طريق التعليم والسلم، بعيدًا عن القوة والقهر في فرض مذهبهم، وكانت المدارس العلمية كالزيتونة والمساجد كافة تقدم الفقه المالكي، إلا أن ذلك لم يرق للإسماعيليين الذين حاولوا فرض معتقداتهم بالقوة، ومارسوا أساليب متعددة من التعسف والاضطهاد، ومن ذلك:

- اضطهاد المالكية بأسلوب حقير، حيث ركزوا على صغار اتباع المالكية، بهدف التقليل من الأتباع وإيصال رسائل من الرعب، دون أن يحدث ذلك مزيد من القلاقل والاضطرابات، يقول الخشني: «ودارت على ناس كثير دوائر من قتل وضرب، إلا أنهم ليسوا من العلماء، كدائرة عروس في خلع لسانه»[٢].
- قتل العلماء وحبسهم أونفيهم، يقول أبوبكر المالكي: «»فلمّا ولي القضاء المروذي في أيام أبي عبد الله الشيعي أخذ قومًا من أهل العلم فضرب بعضهم وسجن بعضهم»[٣]، ومنهم إسحاق بن إبراهيم الصائغ المعروف بابن بطريقة قاضي طرابلس،من رجال ابن سحنون، كان فقيهًا من أهل الحفظ والفهم، ضربه المروذي هووابن الطّوزيفي يوم واحد عندجامع القيروان، ضربه وحبسه بعد عزله من قضاء طرابلس، فأطلقه عبيد الله، وذلك أنّ عبيد الله تخاصم بطرابلس أولوروده مع قوم من الحمالين، وهو لا

(١) () ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ٤٨)، وأخبار بني عبيد للصنهاجي، ص٣٩.

(٢) (طبقات علماء إفريقية للخشني، (ص٢١٧).

(٣) ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/٤٨). وينظر: البيان المغرب للمراكشي (١/ ١٥٠).

يعرف بنفسه فلما نظر إليه أبو العباس قال: وكِّل من يخاصم عنك، ونزّه نفسك عن المناظرة، فحفظ له عبيد الله هذه اليد[١].

رابعًا: الظلم الذي مارسه العبيديون وولاتهم على الناس:

مارس الإسماعيليون أنواعًا مختلفة من الظلم والقسوة على الناس، ويرجع ذلك إلى دوافع مذهبية وعقدية، ومن صور الظلم والقسوة ما يأتي:

- بسط أيدي أتباعهم على أموال الناس وحقوقهم، فهذا ماكنون بن ضبارة اللحياني «أول وال على طرابلس لدولة العبيديين، ولاه عبيد الله المهدي...، فتطاول في الحكم وبسط أيدي بني عمه من كتامة في أموال الناس وامتدت إلى حرماتهم، فثار به أهل طرابلس سنة ٣٠٠، وأخرجوه منها، فلحق بالمهدي في رقادة، وأغلق أهل طرابلس أبواب المدينة وقتلوا أنصار ماكنون من كتامة»[٢].
- الحصار والتجويع وفرض الغرامات المالية، ومن ذلك ما فعله الإسماعيليون بعد ثورة طرابلس على ماكنون، وتولية محمد بن إسحاق القرشي عليهم، جهز عبيد الله أسطولاً عبر البحر فأحرقه الطرابلسيون وقتلوا من فيه، فأرسل عبيد الله جيشًا عبر البر بقياده ولده أبي القاسم، فحاصر طرابلس حتى فني قوتهم وكاد الجوع أن يفتك بهم، فقبلوا الصلح على أن يُسلَم محمد بن إسحاق، ودخل أبوالقاسم طرابلس وقتل من فيها من الأغالبة، وفرض على أهلها غرامة قدرها ٣٠٠ ألف دينار، وأما ابن إسحاق القرشي، فقد أخذه إلى رقادة، وشهر به شهرًا كاملاً في المدينة ثم قتله[٣].

---

(١) الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله (١٤٢٦). معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (ط١)، تحقيق: عبد المجيد الخيالي،، لبنان، بيروت: دارالكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، (٢/ ١٨٢).

(٢) الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠). ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح، ص٦٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون (٤/ ٤٩)، وولاة طرابلس للزاوي، ص٧٠.

مراحل الصراع بين المذهبين ومجالاته:

أولاً: مراحل الصراع بين المذهبين:

من خلال الاطلاع على نشوء الإسماعيلية في طرابلس، وكيف تعاملت مع المذهب المالكي المترسخ في مجتمع سني؛ ندرك أن الصراع كان على مرحلتين، هما[1]:

المرحلة الأولى: صراع فكري وعقدي:

وهي مرحلة النقاش بالفكر والإقناع، وكانت تدور النقاشات بين العلماء، وبما أن المجتمع كان قد ترسخ على المذهب المالكي، فقد كان وجهاء القوم والعامة من الناس يشتركونفي النقاشات، ويحضرون المجالس الجدلية، وما كانوا يسمعونه من الشيعة الإسماعيلية غريب وجديد على مجتمع سني منذ البداية، ولم يكن يألف أويأنس هذه الأفكار الدخيلة عليه. وقد تعمد الإسماعيليون المناقشة والجدل طمعًا منهم في التأثير على المجتمع؛ وتحول الناس من المالكية إلى الإسماعيلية، باعتباره أيسر وأسهل الطرق، إلا أنهم واجهوا رفضًا قويًا من المجتمع الطرابلسي الذي كان مغلقًا على العقيدة السنية دون سواها، مما اضطر الإسماعيلية إلى الانتقال إلى المرحلة الثانية.

المرحلة الثاني: صراع قهري وعسكري:

بعد رفض المجتمع الطرابلسي لأفكار الإسماعيليون انتقلوا إلى أسلوب القوة والقهر، وما فعله ماكنون وأبوالقاسم في طرابلس أحد الأدلة التي تشير إلى أن إخضاع الناس بالقوة هوالوسيلة البارزة في حياة هذه الطائفة، يقول المراكشي: «وكان أبوالعباس المخطوم عجولاً، كثير الكلام، ضعيف العقل، فأراد أن ينفى من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب

(١) المذهب المالكي بالمغرب لهنتاتي (ص١٥٨)، وتحديات وصمود علماء المالكية لبلهواري (ص٢)، وكذلك عباس، إحسان (١٩٦٧). تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري. ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع، ص٧٩.

أهل المدينة»[١]، ويقولأبوبكر المالكي: «وكان محمد بن عمر المروذي هذا معتقدً المذهب الشيعة معروفًا بذلك، فلمّا دخل الشيعي-لعنة الله عليه بادر إليه، ودخل في دعوته،ولزم هفولاه قضاء إفريقية، فتصلب وتكبر،وكانت أيامه صعبة جدًا،وأخاف أهل السنّة، ثم خرج الشيعي إلى سجل ماسة في طلب عبيد الله اللعين، فاستخلف فيمكانهأ باالعباس، فأطلق يد المروذي وقوى أمره، فأخذ أبا العباس بن بطريقة قاضي طرابلس وكان من الفقهاء العلماء، وأبا القاسم الطرزي قاضي صقلية والمحتسب بمدينة القيروان قبل القضاء فضربهما وهونبهما»[٢].

ثانيًا: مجالات الصراع بين المالكية والإسماعيلية:

لقد كان الصراع بين المالكية والإسماعيلية متنوع ومتعدد، ولم يكن ذا طابع واحد من الخلاف، ومن أبرز تلك المجالات ما يأتي:

١. مجال الحكم والسياسة: ويتمثل في ادعاء الإسماعيلية كغيرهم من فرق الشيعة أن الإمامة فيهم، معللين ذلك بأن النبي أوصى بها للإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي باقية في عقبه من بعده، ولذا فهم يسعون إلى تحقيق ذلك بالسر والعلن، بينما الفقهاء المالكية كغيرهم من مذاهب أهل السنة يرون أن الإمامة في الأمة وليست لأحد بعينه، وأن الصحابة اختاروا أبابكر الصديق ثم عمر عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما يدعيه الشيعة ليس له أدلة صحيحة صريحة[٣].
٢. مجال العقيدة: تطور الصراع من سياسي حول الحكم والإمامة إلى خلاف عقدي بين الأمة المتبعة لهدي السلف الصالح وبين فرق الشيعة، ومن ذلك ما يأتي:

- اعتقاد الإسماعيلية أن علي أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان، وتسمى هذه

---

(١) البيان المغرب للمراكشي (١/ ١٥٠).
(٢) ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ٥٥).
(٣) الموسوعة الميسرة (١/ ٣٨٧)،وأصول الإسماعيلية لبرنارد، ص١٨.

عقيدة الرفض، حيث رفضوا خلافة الثلاثة، وأما المالكية فعقيدتهم في هذا أنهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وفي هذا يقول سليمان بن خلاد:»قلت لابن أبي حسان] صاحب مالك[: أرأيت هذا الذي يقولا لن اسفي أبي بكر وعليّ؟ -يريدالتفضيل بينهما-فرفع يده فضربني الصدر ضربة واحدة أوجعتني، ثم قال: ليس هذا دين قريش ولا دين العرب، هذا دين أهل قم-قريةمنقرى خراسان-، ثم قال: والله ما يخفى علينا نحن من يستحق الولاية بعدو الينا، ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا، فكيف يخفى على أصحاب محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من يستحق الأمر بعد نبيهم»[١].

- يضف الإسماعيليون على أئمتهم صفات ترفعهم إلى ما يشبه الإله، ويخصونهم بعلم الباطن ويدفعون لهم خُمس ما يكسبون من الأموال، وهذا المعتقد ليس له وجود عند المالكية وأهل السنة عمومًا، بل يعتبرون ذلك من ضلال الاعتقاد، فلا أحد يضاهي صفات الله من المخلوقات مهما بلغت منزلته[٢].
- يقول الشيعة بأن القرآن مخلوق، وهي عقيدة المعتزلة، بينما يرى أهل السنة ومنهم المالكية أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكلام الله صفة من صفاته[٣].
- سب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، يقول المراكشي: «وأظهرعبيدالله التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأزواجه حاشى علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذرالغفاري، وزعم أن أصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ارتدوا بعده غيرهؤلاءالذين سميناهم»[٤]، وهذا الأمر ترفضه

---

(١) ابو بكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢٨٧/١).

(٢) الموسوعة الميسرة (٣٨٧/١)،وأصول الإسماعيلية لبرنارد، ص١٨.

(٣) المصدرين السابقين.

(٤) البيان المغرب للمراكشي (١٥٩/١).

المالكية وأهل السنة جملة وتفصيلاً.

٣. مجال العبادات: لما استقر الأمر للشيعة شرعوا في فرض المسائل التعبدية على الناس والتضييق عليهم، ومن ذلك ما فعله المروذيوالي طرابلس[١]:

- فرض على المؤذنين قول: (حي على خير العمل) في الأذان والإقامة، وهي جملة اعتبرها البعض بدعة، بينما اعتبرها البعض من الخلافات الفقهية، إلا أن المنكر فيها هوفرضها بالقوة على بيئة مالكية لا تؤمن بها.
- منع الناس من صلاة التراويح، باعتبارها -في نظرهم- بدعة لا أصل لها في الدين، وكان في بداية الأمر يسمح للناس بصلاة التراويح، ثم لم تمر سنة حتى منعهم منها، وهوالأمر الذي تصدى له المالكية، وحذروا من خطره على دينهم.
- أمر بأن يزال من مساجد طرابلس وحصونها أسماء الذين بنوها، وأمر بكتابة اسم عبيد الله المهدي الشيعي.

٤. مجال الأصول الفقهية: اشتد النقاش بين المالكية والإسماعيلية حول أصول الأحكام وأدلتها، فبينما يرى المالكية القرآن والسنة والإجماع والقياس وإجماع أهل المدينة أوعمل أهل المدينة، وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة، والعرف والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب، والاستحسان؛ يرى الإسماعيليون أن الأدلة هي القرآن والسنة وقول الصحابة من آل البيت، وينكرون بقية أدلة المالكية، وقد خاضوا في هذا مناقشات وجلسات جدلية كثيرة[٢].

٥. القضاء والفتيا: يعد القضاء من المناصب المهمة؛ حيث يلامس حاجة الناس، ويحل مشاكلهم وقضاياهم، وقد ركز عليه العبيديون (الإسماعيلية)، فولوا قضاتهم وعزلوا المالكية منها، وكذا فعلوا في الفتيا والمسائل النازلة، يقول الذهبي:»وأمرالشيعي

(١) بكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ٥٦)، والبيان المغرب للمراكشي (١/ ١٥١).
(٢) الذخيرة للقرافي (١/ ١٥٢)، وأصول الإسماعيلية لبرنارد، ص١٨.

الخبيث أن لايفتى بمذهب مالك، ولايفتى إلا بمذهب أهل البيت، ويرون إسقاط طلاق البتة، فبقي من يتفقه لمال كإنما يتفقه خفية»[١].

أثر الصراع ونتائجه على المجتمع الطرابلسي:

امتد الصراع بين المالكية والإسماعيلية على طول المدة الزمنية التي حكموا فيها، وقد أدى ذلك إلى نتائج وخيمة على المجتمع، ويمكن تقسيم نتائج الصراع إلى نوعين:

النوع الأول: الاستسلام المؤقت:

بعد فشل أغلب الثورات التي اندلعت في طرابلس جنح بعض المالكية إلى الاستسلام، ومنهم من اعتنق الفكر الإسماعيلي، وشارك معهم في القتال والفتيا، ومن ذلك ما يأتي:

١. يذكر أن أبا العباس خليل بن إسحاق بن ورد وكان من أهل طرابلس وولد فيها وكان في أول أمره يطلب العلم ويصحب الصوفية ويبيت في المساجد، ثم تحول إلى العبيديين سنة ٢٩٩هـ، وكان هوالمتولي لتعذيب أهل طرابلس، واستخراج الأموال المطلوبة منهم[٢]، وتعد هذه الحالة من الحالات الممقوتة من قبل المجتمع، فكيف لبعض أبناء طرابلس أن يتنكروا لأبناء جلدهم؟!

٢. من نتائج الصراع بين المالكية والإسماعيلية أنه بعد أن فرض الشيعة قول (حي على خير العمل) في الأذان، ومنعوا الناس من التراويح، وسبوا الصحابة على المنابر، وغيروا أسماء المساجد، وكتبوا عليهم اسم عبيد الله الشيعي؛ ترك الناس المساجد[٣].

٣. نتيجة للقتل والاضطهاد والتعسف الذي مارسه الإسماعيليون على الفقهاء عامة، ومنهم المالكية الذي كانوا هم الأكثر في طرابلس آنذاك؛ هاجر جموع منهم إلى الأندلس

(١) سيرأعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢١٦).

(٢) الحلة السيراء للقضاعي (١/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢/ ٥٦)، والبيان المغرب للمراكشي (١/ ١٥١).

وغيرها من بلاد الإسلام، وتقيدت حركة الفقه المالكي[(١)].

ويلاحظ مما سبق أن الذين أخذوا بالمذهب الإسماعيلي من أهل طرابلس إما تحت طائلة التهديد والتعذيب أوطمعًا في المناصب الإدارية والأموال الزائلة.

النوع الثاني: الصمود والانتصار:

بعد صراع مرير امتد لما يقارب قرنين من الزمن تنفست المالكية الصعداء، حيث انتصر المذهب المالكي بعد صراع فكري وعسكري، ومن نتائج هذا الصراع ما يأتي:

١. ازدهار المدرسة الكلامية إثر النقاش بين المالكية والإسماعيلية، وغالبًا ما يكون نتيجة المناقشات والحوارات فوائد جمة؛ إذ يطلع طلاب العلم وعامة الناس على الأدلة والحجج والبراهين، تقول بلهواري: «إن معارضة أهل السنة السلمية كانت خصبة في أثارها، وإيجابية في نتائجها؛ إذ انحصرت في مجالس خاصة للمناظرة، ولهذا أفادت الحضارة الإسلامية، وأغنت الفكر الديني وعمقته عن طريق استخداما الحجج العقلية، والآثار النقلية ونشاط حركة التأليف والخطابة والدعوة»[(٢)].

٢. المقاطعة الشاملة: فرغم جلسات النقاش وكثرتها إلا أنها لم تكن إلا لغرض بيان الحق والهدى، وإلا فإن «علماء المالكية قاطعوا الفاطميين اجتماعيًا ودينيًا من جهة، كما قاطعوهم اقتصاديًا من جهة فرفضوا كل صلات وهبات الخلفاء، التي أرادوا استمالتهم بها إلى جانبهم، فمات أغلبهم إما حاملاً للسلاح وإما سجينًا وإما نتيجة التعذيب الذي مورس ضده، ولا شك في أن موقف المالكية قد جعل حكم الفاطميين لا ينعم بالاستقرار، غير أنه تنوعت أسباب هذا الحدث التاريخي»[(٣)].

---

(١) ينظر: ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي. (٢ / ٤٨)، وأخباربني عبيد للصنهاجي، ص٣٩.

(٢) تحديات وصمود علماء المالكية لبلهواري، ص٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٢.

٣. رغم الممارسات التعسفية من قبل الفاطمية ورغم توتر العلاقة بين أهل السنة والفاطميين، إلا أن الاستثمار السياسي للدولة في المناظرات التي كانت تعقد في استمالة علماء السنة المالكية والشافعيةلم ينجح، خاصة وأنها استعادت نفس الإشكاليات الأولى التي حولها الافتراق في البداية كالإمامة ومنزلة علي والفاضل المفضول، وهي أفكار انتقلت إلى البيئة الطرابلسية والمغربية عن طريق الإسماعيلية من بغداد إبان ظهور المعتزلة وتمكنهم من الدولة[1].

٤. انتهاء عهد الإسماعيليين: فقد ظهر قادة وأبطال في المجتمع المالكي إلى جانب الفقهاء والعلماء، وعلى أيديهم تزلزل كيان الإسماعيلية، ونتيجة للثورات المتكررة ضعفت دولتهم، يقول الصلابي: «وقضى المعز بن باديس على كل المذاهب المخالفة لأهل السنة من الصفرية والنكارية والمعتزلة والإباضية، وفي سنة ٤٤٣هـ انضمت برقةكلها إلى المعز بن باديس بعد أن أعلن أميرها جبارة بن مختار الطاعة له، وكان أولمنقاد حملة التطهير على الإسماعيلية في طرابلس وحارب تقاليدهم الباطلة ودعوتهم المضلة هوالعلامة علي بن محمد المنتصر وكنيته أبوالحسن المتوفي عام ٤٣٢هـ»[2].

٥. قضي على العادات السيئة التي انتشرت أيام العبيد يين في طرابلس، ومن ذلك مثلاًأنه: «كان من عادة طرابلس أن يرصدوا لليوم العاشر من شهر محرم رؤوس الشياه التي ينحرونها، ثم يلبسوا في ذلك اليوم أزهى حلل الأعياد، ويأكلون رؤوس الشياه تعبيرًا عن فرحتهم، وفي مناسبة أخرى، تدعى يوم الجمل كانوا يخلعون على أحد الجياد أجمل الزينات، ثم يتنزهون به في شوارع المدينة، وينعت ابن غلبون هذه العادة التي ترجع إلى عهد بن زيري بأنها عادة قبيحة، ويقول أنها قد ظلت سارية المفعول أمدًا

(١) العقيدة والدولة في المغرب لأبي الدهاج (مقدمة ل م).
(٢) الصلابي، عَلي محمد محمد (٢٠٠٦). الدولة الفاطمية (ط١). مصر، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ص٩٧.

طويلاً، ولم تبطل إلا بعد أن شجبها المسلمون وتصدى لها الأئمة»[١].

(١) شارل فيرد (١٩٩٤م). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، نقلها للعربية: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي، ص٥٤.

الخاتمة والمراجع

تم بحمد الله المراد من بيان ما يتعلق بأسباب انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب، وجهود الفقهاء المالكيين في تحقيق الوحدة الليبية، ودور الفقه المالكي في حل مشكلات المجتمع وتأثيره على الحياة الاجتماعية برمتها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولم يتبق بعد ذلك إلا ذكر أهم نتائج البحث، وهي على النحو الآتي:

١. أن المذهب المالكي هو السائد في المغرب العربي بما فيها ليبيا بجميع أقاليمه، على الرغم من فترات الخمول والضعف إلا أنه استعاد مكانته في جميع المغرب العربي وكانت له السيادة المطلقة في بلاد المغرب العربي.

٢. أن عوامل انتشار المذهب المالكي في المغرب العربي تعود إلى تأثير رحلات الحج والعمرة والزائرين للمدينة المنورة التي كانت دار العلم، وكذا مكانة الإمام مالك العلمية في المجتمع، يضاف إلى ذلك تأثر أهل المغرب بمجتمع أهل الحجاز وتشابههم في الصفات البدوية البسيطة بعيدًا عن الحضارات المدنية التي كانت في العراق والتي لم تكن في طريقهم من وإلى البلاد المقدسة.

٣. قدم المذهب المالكي دورًا بارزًا في الحفاظ على وحدة ليبيا، فقد كان المذهب الوحيد، وكانت أمهات كتبه هي الأكثر تداولاً، وكان المذهب السني هو الهدف الأكبر لليبيين، وعليه توحدت عقيدتهم، وانتشرت الأحكام الفقهية المالكية في أوساط المجتمع، حتى أضحت جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية موحدة متماسكة بمذهب واحد.

٤. أثّر المذهب المالكي وتراثه في الحياة الاجتماعية تأثيرًا كبيرًا على الأمة الليبية، فقد انتظمت الحياة الاجتماعية في محاربة الأخلاق السيئة والعادات الرذيلة، وانتشرت الأخلاق الحسنة والعادات الحميدة التي يدعو إليها الإسلام.

٥. ظهرت آثار المذهب المالكي في الحياة الاجتماعية كلها حتى شملت الحياة الزوجية

بتفاصيلها، فظهرت في تربية الأبناء وأخلاق المجتمع، وظهرت صور وعادات وتقاليد المجتمع منسجمة في الغالب مع تعاليم الإسلام ومبادئه.

٦. أثر المذهب المالكي على تعامل الناس مع بعضهم البعض، ومع غيرهم من أهل الذمة، وكذا التعامل مع الحيوانات، وقدم العلماء أدوارًا عظيمة في محاربة البدع والخرافة.

كان لاكتشاف مخطوط تذييل المعيار وتحقيقه من قبل الزريقي،دور في تقدم الدراسات التّاريخية، تبين من خلالها أهمية المصادر الدفينة وكتب النوازل في إعادة كتابة تاريخ المغرب الإسلامي (الاقتصادي)

وقد خلصت هذه الدراسة الي النتائج التالية

١. لم تحظ نوازل تذييل المعيار بالاهتمام المطلوب الذي يتلاءم مع هذه النوازل القيّمة، ولا سيما أن مؤلفها عبد السلام التاجوري كان من جلّة الفقهاء وكبار العلماء بالنوازل في طرابلس.

٢. اشتملت نوازل تذييل المعيار على حوادث تاريخية وفقهية واقتصادية واجتماعية ربما لا تتوافر في كتب التاريخ أحيانًا؛ ذلك لأن النوازل تعمل على معالجة تلك الظواهر بحسب مقتضيات الزمان والمكان.

٣. تميزت نوازل تذييل المعيار بالتنوع في المصادر فلقد اعتمد المؤلف على الفتاوى التي صدرت عن علماء المغرب العربي ومصر، ومن فتاوى فقهاء طرابلس في النوازل التي عرضت عليهم. ومن أشهر العلماء الذين استفاد منهم التاجوري في فتاويه الشيخ يحيى الشاوي من علماء الجزائر، الذي ألتقي به أثناء مروره بطرابلس في طريقه إلى الحج، والشيخ أبي القاسم عظوم من تونس، ومن الشيخ عبد الله العروي السوسي، ومن علماء القطر (الليبي) الشيخ محمد الصالح الحضيري، ومن علماء طرابلس الشيخ محمد بن

محمد بن مقيل، مفتي طرابلس، والشيخ أحمد المكني شيخ بن مقيل الذي أجازة في كل العلوم. ومن علماء القطر المصري الشيخ أبور شاد نور الدين على بن زين الدين بن محمد بن عبد الرحمن الأجموري.

يمكننا في نهاية هذه الدراسة الخروج ببعض التوصيات، نجملها في التالي:

١. ضرورة وضع دراسات وبحوث تفصيلية في حقل النوازل الفقهية تصل إلى درجة الماجستير، وربما الدكتوراه، وذلك لقيمتها الكبيرة في ميدان دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الثقافي لبلاد المغرب.
٢. ضرورة تحقيق الموروث المالكي الذي لا يزال الكثير منه مخطوطا ونشره في مؤسسات علمية وبحثية كي يتسنى لأجيال الباحثين المقبلة الإطلاع على مساهمة علماء المدرسة المالكية في طرابلس الغرب، للكشف عن كثير من الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.
٣. لفت الباحثين إلى أهمية النوازل الفقهية وقيمتها، وإيجاد جيل واع من الدارسين يعمل على الكشف عن المظان الأخرى في البحث التاريخي الذي يُعَدّ مخزونًا حضاريًا وثقافيًا رفيع المستوى.
٤. ضرورة التعاون بين المهتمين بالنوازل الفقهية، وتنظيم ملتقيات ومؤتمرات علمية سنوية لتبادل الخبرات والبحوث من أجل إنتاج عمل موسوعي.
٥. ضرورة إدراج دراسة النوازل الفقهية ضمن برنامج أوالسنة التمهيدية للماجستير في الجامعات العربية التي تدرس التّاريخ الإسلامي.
٦. تخصيص أحد المؤتمرات المقبلة لموضوع النوازل الفقهية وتأثيرها في تطور علم التاريخ.

بعد الحديث عن جوانب صمودالمالكية أمام الإسماعيلية في طرابلس الغرب خلال القرن

الرابع الهجرين قف مع أهم نتائج البحث، وهي على النحو الآتي:

١. أن مذهب الإمام مالك يقوم على أدلة نقلية وعقلية، بينما يقوم المذهب الإسماعيلي على أدلة نقلية فقط؛ لأن أساس مذهبهم يرتكز على الإمام المعصوم ومع العصمة فلا حاجة للاجتهاد والنظر -كما يزعمون.

٢. أن ظهور المذهب المالكي في طرابلس كان في أواخر القرن الثاني الهجري، ثم انتشر وترسخ في القرن الثالث، وكان ظهوره كمذهب فقهي وعلمي، بينما كان ظهور الإسماعيلية في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري، وظهر كمذهب سياسي صاحبه البطش والرعب والقهر.

٣. أن أسباب ودوافع الصراع بين المالكية والإسماعيلية يرجع إلى تعسف الإسماعيليين الذي حاولوا تغيير هوية المجتمع، وكان أقوى تلك الدوافع التي فجرت الصراع المساس بعقيدة المجتمع الذي كان على هدي السلف الصالح، فتحرك العلماء وقدم الكثير منهم أرواحهم، وهاجر البعض إما فرارًا بدينه وأمانفيًا.

٤. أن مجالات الصراع بين المالكية لم تنحصر في جانب واحد، بل تعددت وتنوعت، بين مجالات الحكم والسياسة، والعقيدة، والعبادات، والأصول الفقهية، والقضاء والفتيا، وهي مجالات حاول الإسماعيليون في بداية الأمر إقناع الناس بها بالحوار والنقاش، ثم بالقوة والإكراه لما واجهوا الرفض المجتمعي في طرابلس الغرب.

٥. أن الصراع بين المالكية والإسماعيلية كانت آثاره وخيمة على المجتمع الطرابلسي، فقد أوذيت المالكية بعد موجات من المواجهات الفكرية والعسكرية، وكان من نتائج ذلك أن قتل العديد من العلماء وعزل من مناصب القضاء كل من يخالف الشيعة.

٦. أن الإسماعيلية لم تنل حظها من التأثير على المجتمع الطرابلسي، بل بمجرد زوال حكمها أفصح الناس عن مذهبهم، وعادت المراكز والمدارس والقضاء والفتيا لتؤدي دورها في تعليم ونشر الفقه المالكي وإزاحة بعض العادات التي نشرها الفاطميون.

قائمة المراجع:

الكتب:

١. القران الكريم.

٢. ابن الأثير (د.ت): الكامل في التاريخ، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

٣. أبوالفداء، عماد الدين إسماعيل بن عليين محمود (١٩٨٢) المختصر في أخبار البشر المطبعة الحسينية المصرية (ط١).

٤. ابن النديم، أبوالفرج محمد بن اسحق (١٩٧٨). الفهرست، بيروت، لبنان، بيروت.

٥. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر أبوحفص (١٩٩٦). تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية (ط١)، لبنان، بيروت.

٦. ابن بطوطة، أبوعبد الله محمد بن محمد بن أبراهيم اللواتي (١٩٦٤). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجاب الأسفار. بيروت، لبنان: دار صادر.

٧. ابن حجر، شهاب الدين محمد أحمد العسقلاني (١٩٦٠م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مصر، القاهرة: دار الكتب الحديثة.

٨. ابن حزم، على بن أحمد بن سعيد (د.ت): جمهرة أنساب العرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف.

٩. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٩٦٦). ديوان المبتد أوالخبر في تاريخ البربر ومن عاصرهم منذوي الشأن الأكبر. مصر، القاهرة:

١٠. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٦٦): المقدمة. مصر، القاهرة.

١١. ابن خلدون (١٩٧٠). تاريخ المبتدا والخبر (تاريخ ابن خلدزن). بيروت، لبنان.

١٢. ابن رشيد، السبتى أبي عبد الله محمد بن عمر(٢٠٠٣). رحلة ابن رشيدي. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط.

١٣. ابن سعيد، أبوالحسن على بن موسى (١٩٥٥). المغرب في حلى المغرب (ط٣)، تحقيق: د. شوقي ضيف. مصر، القاهرة: دارالمعارف.

١٤. ابن سعيد، المغربي (١٩٧٠). أبوالحسن علي بن موسي بن محمد،كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي، لبنان، بيروت،

١٥. ابن عبدون، محمد بن أحمد الحفصي (٢٠٠٩). رسالة في القضاء والحسبة، دارابن حزم.

١٦. ابن عذاري، أبوعبد الله محمد بن محمد (١٩٨٣). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ط٣)، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفيبروفنسال. لبنان، بيروت: دار الثقافة.

١٧. ابن عذاري، أبوعبد الله محمد (١٩٨٥). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: محمد ابراهيم الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء.

١٨. ابن غلبون، محمد بن خليل (٢٠٠٤). التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (ط١)، المدار الإسلامي.

١٩. ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (١٩٧٥). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبي النور، مصر، القاهرة: دار التراث.

٢٠. ابن منصور، عبد الوهاب (١٩٦٨). قبائل المغرب، المطبعة الملكية.

٢١. ابن موسي، تيسير (١٩٨٨). المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، ليبيا،

طرابلس: الدار العربية للكتاب.

٢٢. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (١٤١٤). لسان العرب(ط٣). مج٩، مج١٢. لبنان، بيروت: دار صادر.

٢٣. ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (ط٢)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري، دار الكتاب الإسلامي.

٢٤. ابوبكر، عبد الله بن محمد المالكي (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية (ط٢)، تحقيق: بشير البكوش، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

٢٥. أبوشامة، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي. الروضتين في أخبار الدولتين النورنية والصلاحية، دار الجيل، لبنان، بيروت (د، ت).

٢٦. أبومصطفى، كمال السيد (١٩٩٦). جوانب من الحياة الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي في خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي. مصر، الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

٢٧. إحسان، عباس ومحمد، يوسف نجم (١٩٦٨). ليبيا في كتب التاريخ والسير، ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع.

٢٨. أحمد، (د،ت). قيام الدولة المرابطين صفحة مشرفة من تاريخ العصور الوسيطي، مصر، القاهرة: دارالفكر.

٢٩. بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، دار الفكر.

٣٠. أسدرم،حافظ وياسر مصطفي الشيخ (٢٠١٦). إثبات زواج عمر رضي الله عنه

من أم كثلوم بنت على رضي الله عنه، ميرة الآل والاصحاب، الكويت: المكتبة الوطنية، ص ٤٤٩.

٣١. اغسطيني، هنري كودي (١٩٩٠). سكان ليبيا، ترجمة وتحقيق: د. خليفة التليسي. ليبيا، طرابلس: الدار العربية للكتاب.

٣٢. الآبي، صالح بن عبدالسميع. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني. لبنان، بيروت: المكتبة الثقافية.

٣٣. الإدريسي، محمد بن محمد عبد الله (١٩٩٤). نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج١، مكتبة الثقافة الدنية.

٣٤. الأصبحي، مالك بن أنس (١٩٩٤). المدونة، (ط) ١، دارالكتب العلمية.

٣٥. الأصبحي، مالك بن أنس (١٩٨٥). موطأ الإمام، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٦. الأنصاري، أحمد بك. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا، طرابلس: مكتبة الفرجاني، (د، ت).

٣٧. الأنصاري، أحمدبك النائب (١٩٦٣). نفحات النسرين والريحان في فيمن كان بطرابلس من الأعيان. تحقيق، علي مصطفى المصراتي، لبنان، بيروت.

٣٨. الباروني، أبوالربيع سليمان (١٩٨٧). الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق محمد على الصليبي، سلطنة عمان (المطابع العالمية، م) ج٢، ص ٢١٤.

٣٩. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي (٢٠٠٣). التعريفات الفقهية (ط١). باكستان: دار الكتب العلمية.

٤٠. البيروني، أبوالريحان محمد بن أحمد (١٩٢٣). الآثار الباقية عن القرون الخالية،

العراق، بغداد: مكتبة المثني.

٤١. البرزلي (٢٠٠٢). جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، المعروف بفتاوي البرزلي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة. لبنان بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٤٢. البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي (٢٠٠٢). فتاوي البرزلي جامع الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (ط١)، محمد الحبيب الهيلة. لبنان، بيروت: دار العرب الإسلامي.

٤٣. البرغوثي، عبد اللطيف محمود (١٩٦٧). التاريخ الليبي القديم: تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني (ط١)، منشورات الجامعة الليبية، لبنان، بيروت: دار صادر.

٤٤. البكري، أبوعبيد الله الأندلسي. المسالك والمالك، حققه وقدم له وفهرسه: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب.

٤٥. البلخي، محمد بن أحمد بن يوسف. مفاتيح العلوم (ط٢)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي،.

٤٦. الجيدي، عمر (١٩٩٣). مباحث في المذهب المالكي في المغرب (ط١). الحميري، محمد بن عبد المنعم(١٩٨٤).الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط (٢)، مطبعة لبنان، بيروت،

٤٧. الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (١٩٧٥). الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، بيروت.

٤٨. التاجوري، جحيدر عمار محمد عبد السلام العالم (٢٠٢١). الحالة الاجتماعية

لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني. ليبيا، طرابلس: مكتبة طرابلس العالمية. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات.

٤٩. التاجوري، عبد السلام عثمان (٢٠٠٦). تذليل المعيار، تحقيق: جمعة محمود الزريقي، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس.

٥٠. التجاني، أبومحمد عبد الله بن محمد بن أحمد(١٩٥٨). رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني الوهاب. تونس: المطبعة الرسمية.،

٥١. الثعلبي، عبد الوهاب بن علي (٢٠٠٧). شرح الرسالة، اعتنى به (ط١). أبوالفضل الدمياطي أحمد بن علي. دار ابن حزم.

٥٢. الجنحاني، الحبيب (١٩٧٧). المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، تونس: الدار التونسية للنشر.

٥٣. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض (٢٠٠٣). الفقه على المذاهب الأربعة (ط٢). لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

٥٤. الحضيري (١٩٩٦). المسك والريحان فيما احتوى عن بعض علماء فزان (ط١)، تحقيق: أبي بكر عثمان، ليبيا.

٥٥. الحنبلي، وانتشارها عند جمهور المسلمين (١٩٩٠). تقديم: الشيخ محمد أبي زهرة (ط١). بيروت، لبنان، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٦. الدارودي، سعيد بن عبد الله (٢٠١٢): حول عروبة البربر -مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، سلطنة عمان: دار فكر. ص ٢١.

٥٧. الدالي، الهادي مبروك (١٩٩٩). التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء - من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر.الدار

المصرية اللبنانية.

٥٨. الدالي، الهادي المبروك (١٩٩٩). مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن (ط٢)، ليبيا: الشركة العامة للورق والطباعة.الدرجيني، أبوالعباس أحمد بن سعيد (٢٠١١). طبقات المشايخ بالمغرب العربي. دار الزهراء للإعلام العربي.

٥٩. الدارمي، أبوحاتم محمد بن حبان (١٩٩١). مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار (ط١)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم. مصر، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٠. الدباغ، عبد الرحمن بن محمد أبوزيد. معالم الإيمان في معرفة اهل القيروان. تحقيق: محمد المجدوب، عبد العزيز المجدوب. تونس: المكتبة العتيقة.

٦١. الدباغ، عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله (١٤٢٦). معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (ط١)، تحقيق: عبد المجيد الخيالي، لبنان، بيروت: دارالكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

٦٢. الدرعي، شهاب الدين أحمد بن خالد. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء.

٦٣. الديب، عيسى (١٩٩٠). التجارة في عصر دولة المرابطين. مصر: جامعة القاهرة.

٦٤. الذهبي، أبوعبد الله الدين محمد (١٩٨٤). سير أعلام النبلاء. لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦٥. الذهبي، محمد بن أحمد (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء (ط٣)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٦٦. الرجيني (١٩٧٤). «فرورار «طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، ط (١) الجزائر، ٢/ ٤٠٧.

٦٧. الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). تاريخ الفتح في ليبيا (ط٤). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي.

٦٨. الزاوي، الطاهر أحمد(٢٠٠٤). أعلام ليبيا (ط ٣). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي.

٦٩. الزاوي، الطاهر أحمد (٢٠٠٤). تاريخ الفتح العربي في ليبيا (ط ٤). لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي.

٧٠. الزاوي، الطاهر أحمد (١٩٧٠) ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي لنهاية العهد التركي (ط١). لبنان، بيروت دار الفتح.

٧١. الزركشي، أبوعبد الله محمد بن إبراهيم (١٩٦٦). تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ط٢)، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، جامعة الزيتونة، تونس،..

٧٢. الزريقي، جمعة محمود (٢٠١١). تراجم ليبية دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء. ليبيا، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية.

٧٣. السباني، صالح الصادق (٢٠٠٦). ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية. الجماهيرية الليبية: منشورات مركز الجهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

٧٤. السخاوي، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة،.

٧٥. السيد أبا العزم داود (١٩٨٥): الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا

حتى قيام دولة المرابطين. المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة: منشورات المكتبة الفيصلية.

٧٦. الشيباني، عمر التومي (٢٠٠١م). تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، ليبيا، طرابلس: منشورات جامعة.

٧٧. الشيرازي، ابن إسحاق إبراهيم بن علي (١٩٧٠). طبقات الفقهاء (ط١)، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، بيروت: دار الرائد العربي

٧٨. الشيباني، محمد بن الحسن: (٢٠١٢). المبسوط (ط١). تحقيق وَدرَاسَة. د. محمَّد بوينوكالن. لبنان بيروت: دار ابن حزم.

٧٩. الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، لمحمد بن علي الصنهاجي القلعي أبي عبد الله، تحقيق: د. التهامي نقرة ود. عبد الحليم عويس، مصر، القاهرة: دار الصحوة.

٨٠. الطاهر: عبد الله (٢٠١٩). شرح المدونة الأسرة في إطار مذهب المالكي. المغرب: دار النجاح المغربية.

٨١. الطرابلسي، مصطفى عبد العزيز (١٩٩٩). درنة الزاهرة (ط١). ليبا، درنة: منشورات جامعة درنة.

٨٢. الطوير، محمد أمحمد (١٩٩١)، تاريخ الزراعة في ليبيا، مصراته،

٨٣. العبدريّ، أبوعبد الله محمّد بن محمّد. رحلة العبدري، تحقيق: علي إبراهيم كردي، تقديم: د. شاكر الفحّام، المكتبة الشاملة.

٨٤. العجّابي، حامد (١٩٨٨). جامع المسكوكات العربية، تونس: المعهد القومي للآثار والفنون.

٨٥. العرودي، عبد الله (١٩٨١). مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، بيروت.

٨٦. العمري، ابن فضل الله (١٩٠٨). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: دوريتنا كرافولوسكي، الجزائر: مطبعة بروفتانا الشرقية المركز الاسمية.

٨٧. العياشي، أبي سالم عبدا لله)١٩٧٧(. الرحلة العياشية طباعة حجرية، المملكة المغربية الرباط،

٨٨. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبوعبد الرحمن البصري: العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٨٩. الفيتوري محمد سعيد: ليبيا وتجارة القوافل، طرابلس الهيئة العامة للآثار الفيروزآبادي، أبوطاهر محمد بن يعقوب (٢٠٠٥.). القاموس المحيط (ط ٨)، تحقيق مكتب تحقيق التراث لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشروالتوزيع.

٩٠. القاسم، بدر الدين (١٩٨٣). تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ط(٣)، لبنان، بيروت،

٩١. القاضي عياض. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك. لبنان، بيروت: دار مكتبة الحياة.

٩٢. القزويني، أحمد بن فارس زكريا، (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مج ٥، دارالفكر.

٩٣. القضاعي (١٩٨٥)، محمد بن عبد الله بن أبي بكر، الحلة السيراء (ط ٢)، تحقيق: د. حسين مؤنس، مصر، القاهرة: دار المعارف.

٩٤. القشيري، مسلم بن الحجاج أبي الحسن (٢٠٠٩). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. لبنان، بيروت: دار

إحياء التراث العربي.

٩٥. القلقشندي أبوالعباس بن علي (د.ت). نهاية الآرب في معرفة انساب العرب. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

٩٦. القلقشنندي، أبوالعباس بن علي (١٩٦٣). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الانباري، مصر، القاهرة.

٩٧. الكتاني، لأبي عبد الله محمد بن جعفرا (١٨٩٦). الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاس قطب المغرب وتاج مدينة فاس، المملكة المغربية، فاس: طبعة حجرية.

٩٨. المالكي، أبوبكر عبد الله (١٩٩٤). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٩٩. الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد (١٩٧٨). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٠. المراكشي، عبد الواحد (١٩٦٣). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب. دار الفرجاني.

١٠١. المرزوقين محمد (١٩٨٤). مع البدوفي حله وترحالهم (ط٢)، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب.

٢٠١. المزيني، صالح (١٩٩٤). ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلي مصر (ط ٢)، ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة بنغازي، ص ١٦٧

١٠٣. المقريزي (١٩٤٨). اتعاظ الحنفاء

١٠٤. المقريزي، تقي الذين أحمد بن علي (د.ت). البيان والإعراب عما بأرض مصر

من الأعراب، مصر، القاهرة: مكتبة الآداب.

١٠٥. المقدسي، أبوعبد الله شمس الدين بن أبي بكر الشامي (١٩٩١). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط١)، مصر، القاهرة.

١٠٦. الملي، مبارك محمد (١٩٣٠). تاريخ الجزائر القديم والحديث. الجزائر: المطبعة الجزائرية.

١٠٧. الناصري، شهاب الدين أحمد بن خالد (١٨٩٥). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. مصر، القاهرة: مطبعة بولاق.

١٠٨. الهنتاتي، نجم الدين (٢٠٠٤). المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي، تونس.

١٠٩. الهواري، عبد السلام بن محمد (١٢٦٦). شرح نوازل محمد بن احمد حمد ونبناني. مصر: مطبعة الاعلام.

١١٠. الورثيلاني: الحسين بن محمد (١٩٧٤): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار - المشهورة بالرحلة الورثيلانية (ط٢). تحقيق محمد أبي شنب، لبنان، بيروت.

١١١. الونشريسي، أبوالعباس أحمد بن يحيى (١٩٨١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب.لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١١٢. الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (١٩٩٣). وصف أفريقيا(ط ٢). ترجمه عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر. لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١١٣. باكير، حسين سالم. تاريخية ليبيا، طرابلس.

١١٤. برنشفيك، روبار(١٠٨٨). تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية

القرن ١٥م (ط١). نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، لبنان، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

١١٥. بروشين، ن. أ (١٩٨٨).تاريخ ليبيا، ترجمة: عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص٣٩

١١٦. بشير، عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، ٢٠٠١م)

١١٧. بشير، عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، ٢٠٠١م)

١١٨. بناني: محمد أحمد بن حمدون (١٣٧٧). شرح الهواري عبد السلام بن سيد محمد. مصر: مطبعة الاعلام.

١١٩. بوعزيز، يحى. طرق القوافل والاسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر - تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر. منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

١٢٠. بوتشيش، إبراهيم القادري (٢٠٠٢): الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط تنظيماتها ومعطياتها الاجتماعية. لبنان، بيروت: دار الطليعة.

١٢١. بولبيض، عبد الفتاح رجب (٢٠٠٩). تاريخ برقة الإسلامي من القرن الخامس حتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري، الجماهير العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.

١٢٢. جحيدر، عمار (١٩٩١). آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث، الدار العربية للكتاب.

١٢٣. جمال الدين، عبد الله محمد (١٩٩١). الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر. دار الثقافة والنشر والتوزيع.

١٢٤. حامد، زينب محمد (٢٠١٩). مظاهر الحياة الاجتماعية في المغرب الاسلامي. الجزائر: مجلة مدارات تاريخية.

١٢٥. حسين: أحمد إلياس. الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى، (د، ت).

١٢٦. حمدان، جمال (١٩٧٠). الجمهورية العربية الليبية دراسة في الجغرافيا السياسية. مصر، القاهرة: عالم الكتب.

١٢٧. حمودة، إدريس مفتاح (٢٠٠٤). إمارة بن ثابت في طرابلس الغرب. ليبيا، زليتن: منشورات مكتبة حمودة جوهر، حسن محمد وآخرون (١٩٦٠). ليبيا. مصر، القاهرة: دار المعارف.

١٢٨. دي أعسطيني: سكان ليبيا، ترجمة خليفة التليسي، (الدار العربية للكتاب، ١٩٩٠م) ص١٢.

١٢٩. روسي، أتوري (١٩٧٣م). ليبيا منذ الفتح حتى سنة ١٩١١م، ترجمة: خليفة التليسي، دار الثقافة.

١٣٠. رينه ارتبيترآندُوزِي: تكملة المعاجم العربية (ط١)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، من ١٩٧٩ إلى ٢٠٠٠م.

١٣١. سالم: السيد عبد العزيز(١٩٦٦). المغرب الكبير، الدار القومية للطباعة والنشر، ص ١٣٣ـ ١٣٤.

١٣٢. سوسي، محمد(٢٠٠١). أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى

العهد الحفصي. تونس: مركز النشر الجامعي.

١٣٣. شارل فيرد (١٩٩٤م): الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزوالإيطالي، نقلها للعربية: محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة بنغازي، بنغازي.

١٣٤. شارل، فيرو(١٩٩٤). حوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزوالإيطالي، نقلها إلى العربية وحققها (ط٣). محمد عبد الكريم الوافي. ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

١٣٥. شكر، عبد الفتاح فتحي أبوحسن. الإحياء بعد الأنساء في أعقاب طبقة الأشراف الأولى بالحجاز «الأشراف الموسويين الحسنيين»، دار الكلمة للتوزيع والنشر.

١٣٦. شاكر، مصطفي (١٩٨٨). المدن في الإسلام حتى العهد العثماني، دار ذات السلاسل، الكويت، ٢ ٦٩٥.

١٣٧. شلوف، مسعود رمضان وآخرين، موسوعة الاثار الاسلامية في ليبيا، مصلحة الاثار الجماهيرية (دار العربي للكتاب، د.ت)

١٣٨. شماخي، أحمد بن سعيد (٢٠٠٩): كتاب السير(ط١)، ترجمة، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي.

١٣٩. طويلي، أحمد (١٩٩٦). الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي ٦٠٠-٩٥٠/١٢٠٤-١٤٤٣م، مج١، تونس: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية.

١٤٠. عباس، إحسان (١٩٦٧). تاريخ ليبا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري. ليبيا، بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع.

١٤١. عبد الجليل، مفتاح (٢٠٠٠). وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية.

ليبيا، طرابلس: منشورات الدعوة الإسلامية.

١٤٢. عثمان، شوقي عبد القوي (٢٠٠٠). التجارة بين مصر وأفريقيا في عهد سلاطين المماليك. مصر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

١٤٣. علال، خالد كبير (٢٠٠٨). الأخطاء المنهجية والتاريخية في مؤلفات أركون والجابري (ط١)، دارالمحتسب.

١٤٤. على، لمحمد إبراهيم علي (٢٠٠٢).اصطلاح المذهب عند المالكية(ط١). الامارات العربية، دبي: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.

١٤٥. غالب، مصطفى(١٩٦٥). تاريخ الدولة الإسماعيلية(ط٢). لبنان، بيروت: دار الأندلس.

١٤٦. ف. هايد (١٩٩١). تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: د. أحمد رضا محمد، مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤٧. فخار، إبراهيم (١٠٧٢). تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور التجار الليبيين في حضارة الصحراء الكبرى،تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

١٤٨. كامب، غابرييل(٢٠١٤). البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب أفريقيا، الشرق، ص ١٢٥.

١٤٩. كمالي، إسماعيل (١٩٧٩): سكان طرابلس الغرب، تعريب وتعليق: حسن الهادي بن يونس، سلسلة الدراسات المترجمة، مركز الجهاد الليبيين التاريخية.

١٥٠. مارمول كرنبال (١٩٨٤). إفريقية، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع م، ج٣، ص ١٢١.

١٥١. محمد، إسماعيل علي (٢٠١٤). مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية. تركيا: دار النداء.

١٥٢. مخلوف، محمد بن محمد بن عمر (٢٠٠٣). شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ط١)، تعلق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان: دار الكتب العلمية.

١٥٣. مجهول (١٩٧٧م). دليل المؤلفين العرب الليبيين، دار الكتب، طرابلس بيروت.

١٥٤. مسعد، سامية مصطفي(٢٠٠٣). الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة أيام المرابطين والموحدين، مصر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ص ١١٩.

١٥٥. معمر، علي يحيي: الإباضية في موكب التاريخ.، السيب- سلطنة عمان: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع.

١٥٦. معمر، يحي (١٩٥٦م) النظر والأحكام في جمعي أحوالا السوق، نص استخرجه محمود على مكي وعلق في صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد.

١٥٧. منفروني، كامللو(١٩٨٢م). العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا، ترجمة: إبراهيم أحمد المهدوي، ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

١٥٨. موسى، عز الدين أحمد (١٩٨٣). النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي القرن السادس الهجري (ط١). لبنان، بيروت: دار الشرق.

١٥٩. ميغا، أبوبكر إسماعيل(١٩٩٧).الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي (ط١). المملكة العربية السعودية، الرياض: مكتبة التوبة.

١٦٠. لعظم، صادق مؤيد(١٩٩٨). رحلة في الصحراء الكبرى، ترجمة: عبد الكريم أبوشويرب، ليبيا، طرابلس: منشورات مركز جهاد اللبيبين، ص١٠٥-١٠٦.

١٦١. ناجي محمود: ١٩٧٠تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق: عبدالسلام أدهم ومحمد

الأسطى، الجامعة الليبية (ط١). ليبيا، بنغازي: منشورات الجامعة الليبية.

١٦٢. ناصر الدين محمد الشريف (١٩٩١). الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، الاردن،عمان: دار البيارق للطباعة.

١٦٣. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله الحموي (١٩٦٠م). معجم البلدان، مطبعة السعادة.

١٦٤. يوسف، محمد يوسف (١٩٩٦). الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين ٧/ ٨ الهجري، دراسة تحليلة، مقارنة.مكتبة الملك فهد الوطنية.

ثانيا: الرسائل العلمية

١. أبوالقاسم، عبد الله محمد(٢٠٠١). الحرف والأصناف في طرابلس الغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ص٣٩-٤٠.

٢. الطنطاوي، وليد علي (٢٠٠٨). الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في برقة وطرابلس منذ القرن ٦-٨ هـ، رسالة دكتوراه، جامعة الفيوم،

٣. بن قرية، صالح (١٩٨٣): المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد. الجزائر: جامعة الجزائر.

٤. جبودة، مريم محمد عبد الله (٢٠٠٨). التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب، أطروحة دكتوراه. مصر: جامعة الزقازيق

٥. دحروج، إلهام حسين (٢٠٠٠). مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية من ٤٤٢-٦٢٥ هـ، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، ص ١٥١.

٦. سميو، علي محمد (٢٠١١). أوضاع برقة وطرابلس من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين مع المقارنة بما جاء في المصادر التاريخية من منتصف القرن ٥هـ حتى نهاية القرن ٨ هـ، رسالة دكتوراه،جامعة القاهرة، مصر: لم تنشر، ص٢٣٧

٧. شنعة، خديجة (٢٠١٢). اعتناق البربر للإسلام، (رسالة ماجستير)، جامعة وهروان، الجزائر.

٨. عبد الله، محمد محمود (د.ت). واحة أوجلة وتجارة القوافل خلال القرنين الثامن والتاسع، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس.

٩. عثمان، صلاح (٢٠٠٩).الحياة الاجتماعية في ولاية إفريقية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ص٢٧٢.

ثالثا: منشورات المؤتمرات

١. أبوحمزة، أبوفارس (١٩٩١). من وثائق التواصل الثقافي بين ليبيا وتونس، مجلة الوثائق والمخطوطات.(٦) السنة السادسة.

٢. أبودياك، صالح فياض (١٩٩٦). النظام المالي عند الحفصيين، مجلة الدراسات التاريخية، العدد (٢١،٢٢) السنة السابعة. سوريا، دمشق: إشبيلية للنشر والتوزيع.

٣. ابوصيقع، سامية (٢٠٢٠). أهمية كتب النوازل في الدراسات التاريخية الاقتصادية والاجتماعية، مجلة تاريخ العلوم، م (٥) (١٣) لسنة السادسة.

٤. أبوعبد الله محمد على الخروبي (١٩٨١). الفقيه الصوفي حياته ونشاطاته الفكرية والسياسية. مجلة البحوث التاريخية.(٢) السنة الثالثة.

٥. أبوفارس، خالد حمزة(٢٠١٧). الحياة العلمية في ليبيا من خلال رحلة العياشي (فتاوى أحمد المكني نموذجًا). مجلة البحوث الأكاديمية، كلية الآداب جامعة المرقب، (٨).

٦. الحسناوي: حبيب وداعه (١٩٩٩). تسهيل قوافل حجاج السودان الاوسط حتى القرن الثامن، (اعمال ندوة، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقيية على جانبي الصحراء - تنظيم كلية الآداب المغرب، كلية الدعوة الاسلامية طرابلس.

٧. السعيدي، أحمد (٢٠٠٩).النوازل الفقهية والعلوم الإنسانية «علم التاريخ مثالا» مجلة كان الخطيب، إسماعيل (١٩٩٦). أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية. مجلة دعوة، العدد ٣١٦ (يناير فبراير)، المملكة المغربية، الرباط.

٨. السيد، محمود (٢٠٠٠). تاريخ دول المغرب العربي ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا. مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

٩. الشريف، منصور علي (٢٠٠٣). الشيخ أحمد محمد المكني. ليبيا،طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

١٠. الصلابي، عَلي محمد محمد (٢٠٠٦). الدولة الفاطمية (ط١). مصر، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

١١. العالم، عز الدين عبد السلام (٢٠٠٩). دور الشيخ عبد السلام التاجوري في تحديث تجربة جده الاعلي الشيخ عبد السلام الاسمر الصوفية ونشر افكارة مجلة الجامعة الاسمر.

١٢. العاني، عبد الكريم بن زيدان بن بيج (١٩٨٩). نظام القضاء في الشريعة الإسلامية. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.العربي، خالد (٢٠١٧). أهمية كتاب المعيار المعرب في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاوسط، مجلة القرطاس، (٤)، جامعة سيدي العياس.

١٣. العبادي: أحمد مختار (٢٠٠٨). دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مصر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة،

١٤. العبيدي، عبد العزيز بن راشدي (١٩٨٨). وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا دراسة تاريخية، دراسات أفريفيا (٦). ص ١٢٣.

١٥. العسري،عبد الواحد (١٩٩٩). أجوبة مغربية عن إشكاليات عقدية وردت من بلاد السودان الغربي خلال القرن (٦هـ / ١٢م) (أعمال ندوة، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقيية على جانبي الصحراء - تنظيم كلية الآداب المغرب ن كلية الدعوة الإسلامية طرابلس).

١٦. الغناي، رجعة فضيل (٢٠١٩). هجرة بني سليم وأثرها في إقليم برقة. ليبيا، سبها: مجلة الآداب، جامعة سبها.

١٧. القابسي، نجاح (١٩٨٠). لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس في العصور الوسط -الإسلامية، مجلة البحوث التاريخية، مركز الجهاد الليبي، السنة الثانية.

١٨. الكندي، وفاء كاظم (٢٠٠٥).دراسة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لولاية طرابلس الغرب، كلية التربية للبنات، العراق، بغداد، ص٥٨.

١٩. الوزاني، الطيب (١٩٩٩). مقومات التفاعل الثقافي والحضاري بين دول غرب أفريقيا والمغرب الاقصى (اعمال ندوة، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقيية على جانبي الصحراء - تنظيم كلية الآداب المغرب، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس.

٢٠. بشا، نجاه (١٩٧٦): التجارة في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى الثامن الهجري، مجلة كلية الآداب والعلوم، مكتب الجامعة التونسية.

٢١. جلو، خليل أحمد والرجب، جاسم محمد (٢٠١٧). أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية (ط١). لبرنارد لويس، نقله إلى العربية. العراق، المركز الأكاديمي للأبحاث.

٢٢. حاتم، على عبد الله (١٩٨٧). التعليم الإسلامي في غرب أفريقيا، دراسات أفريقية، (٣) حركات، ابراهيم (١٩٨٢). دور الصحراء الافريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية (١).

٢٣. حامد، سعيد علي (١٩٩٣)، من صناعات التقليدية (النسيج) مجلة تراث الشعب العدادان ٣ـ٤، ليبيا، طرابلس، ص٦٣.

٢٤. حسن، محمد (١٩٩٩). المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١.حياوي، فراس سليم (٢٠١٠). طرابلس الغرب في عهد بني خزرون دراسة دراسة في احوالها السياسية والحضارية، مجلة التربية الأساسية، جامعة بابل،العراق ص ٩٠

٢٥. سعد زغلول، عبد الحميد (١٩٥٨). الاستبصار في عجائب الامصار. مصر، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية.

٢٦. سعيدوني، ناصر الدين (١٩٨٢). ليبيا كما وصفها رحالة جزائري - مجلة البحوث التاريخية السنة الرابعة - (١).

٢٧. شلابي، سالم سالم،(١٩٩٧). بعض الصناعات في ليبيا، مجلة تراث الشعب، العدد٢، ليبيا، طرابلس، ص ٦٣ـ٦٤

٢٨. زناتي: أنور محمد (٢٠١٤). دور الفقهاء في الحياة الاجتماعية خلال المرابطين، مجلة كان التاريخية، الكويت، (٧).

٢٩. زيدان، محمد زيدان، مازن مصباح مصباح (٢٠١٢). أحكام الكفالة بالمال، جامعة القدس المفتوحة، غزة، مجلة جامعة الأزهر سلسلة العلوم الإنسانية، غزة، (١٤) (١).

٣٠. سعيد، عمر حمد (١٩٨٨). دور حركات التجديد في غرب إفريقيا، مجلة دراسات افريقة (٦).

٣١. مؤنس، حسين (١٩٨٥). تاريخ المغرب وحضارته، ١/ ٤١.

٣٢. مفتاح البكوش، علي الذويب: بيوت الحفر. دراسة نشرت في مجلة الهندسي، العدد، ٣٨

٣٣. نوازل الونشريسى، مصر، جامعة الإسكندرية: مؤسسة شباب ص ٣٩

رابعا: المطبوعات الرسمية

١. الطيب، أحمد (د.ت): قبائل بني سليم في ليبيا موسوعة القبائل. بدون طبعة.

خامسا: شبكة المعلومات الدولية

١. بعيص، كريمة بلعيد، واقع الصناعات الجلدية بليبيا، مدونة الميراث //:http -mirathlibya.blogspot.com/2010/10/blog

٢. بوبرنوسة، سعاد أحمد٢٠٠٦. تاريخ صناعة الحلي في الليبي، www. tawalt. com

٣. الزركلي: الاعلام ٣/ ٣٣٢ الموسوعة الشاملة الاكترونية، موقع -tajuraa.blog .spot.com

4. http://alwasat.ly/news/art-culture
5. https://libyan.org.ly
6. http://alwasat.ly/news/art-culture
7. .https://www.alukah.net/sharia/0/92735/#ixzz7438jT5FO
٨. بوبرنوسة، سعاد أحمد (٢٠٠٦). التاريخ النسيج في الليبي، www.tawalt.comK
٩. عوض، هناء: http://www.ahram-canada.com/156858/ شبكة الحياة الاجتماعية.
10. Creative Commons Attribution .
11. .https://www.instagram.com/p/BLLwOJIjrjO
١٢. دى ماثيسيو(٢٠٠٥). عبر طرابلس الغرب. ترجمة جاد الله عزوز الطلحي. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.ص.١١٧ نقلا عن حامد، سعيد على: بيوت الحفر (الدواميس) في جبل نفوسة (موقع الميرات، ٢٥/١٢/) https:// blog-post_25.html/12/mirathlibya.blogspot.com/2015